من كنوز كلمتك

بقلم

د. ريمون جوزيف

بقلـــم : **د. ريمون جوزيف**

الناشر : د. ريمون جوزيف

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٣٥٣٢

تصميم وتجهيز فنى وطباعة : شركة سباركل لحلول الطباعة

٤ ش المسعودى - من المقريزى - روكسى

ت: ٢٤٥١١٧٦١ - ٢٢٥٧١٤٤٥ - ٠١٢٢٢١١٧٨١٢

يناير ٢٠١٥

المحتويات

مُقَدِّمة ٥

لَمْ يَكُنْ الوحْشُ رَدِيئًا ١٧

البحرُ المَجْرُوح بِالسِّرِّ يبُوح ١٩

مكسور الساقين يطير ٢١

اللّقمَةُ الشَّافِية وَالْحِوارُ غَير الْمُبَاشر ٢٣

الرَّأْسُ بَيْنَ الْمُوسِ وَالسَّيف ٢٥

الْجَمَلُ بَيْنَ الثُّقبِ وَالْبَاب ٢٧

الإنسَانُ بَينَ الخردلِ وَالجَردل ٢٩

أَعْمَالُ النَّامُوسِ وَخُطَواتُ الْإيمَان ٣١

صَوتُ الْآبِ أَجَاب وَصَمْتُ الْآبِ أَجَاب ٣٣

ديكٌ أَمْ سَاعَةٌ أَمْ جِهَازُ إِنْذار؟ ٣٥

ذَبذبَاتُ إِشَارة الإيمَان مِنْ دَاخِلِ غَوَّاصَةِ يُونَان ٣٨

رَجُلٌ يُحَقِّقُ الْانْتِصَارَ بِمَصَابِيحٍ وَجِرَارٍ ٥١

مُصَارعَةُ الْمُحْتَرِفِين وَشِفَاء الْمرأة النَّازِفة ٥٧

الْكَنِيسة وَعَقَارب السَّاعة ٦٠

العَينُ بَيْنَ القشُورِ وَالخَشَبَةِ وَالقَذَى ٦٢

العَلامةُ المَائِية وَالعَلامةُ الدَّمَويَّة ٦٤

الْجِرُوحُ بَيْنَ الْقِرَاءةِ وَالْعِلَاجِ ٦٦

الإنسَانُ بَيْنَ روعَةِ التَّخْلِيقِ وَسطوة التَّقليدِ ٦٨

طِينٌ أَمْ عَجِين؟ ٧٠

مُهْتَزٌّ أَمْ مُرتَدٌّ؟ ٧٢

نَجْمُ الْمَشَارق يُوقِظُ مَنْ فِي النَّوم غَارِقٌ..... ٧٤
كُلُّهَا قَبْلَ مَا تسيح ٧٧
كُلُّنَا دَرَاهِم يَا صَدِيقِي ٧٩
مُسْمَارٌ يُلْزِمُني بِتَقدِيمِ اعْتِذَارٍ... لِمَا الْمسمَار؟ ٨٠
آل هِيرُودُس بَيْنَ الْمَعْمَدَانِ وَالدِّيدَانِ ٨٠
أَزْمةٌ مُرُورِيَّة بِعَقْلِي ٨٤
رَجُلٌ وَامْرأةٌ ٨٦
الأَرْمَلةُ بَيْنَ إِيلِيَّا وَأَليشع ٨٨
أَخَذتْ بِالْجُمْلَةِ بِدُونِ عُمْلَةٍ ٩٠
امْرَأةٌ تواجِهُ الأَخْطَار بِكُوزٍ وَكِوار ٩٢
الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْأَحْدَاثِ الْوَاقِعِيَّة وَالْمَوَاقِفِ الْافْتِرَاضِيَّة ٩٥
اللَّمْسَةُ بَيْنَ الْوَهمِ وَالْفَهمِ ٩٧
اللهُ بَرِيءٌ ١٠١
حَاجِزٌ تُرَابِيٌّ بَيْنَ النَّسَمَةِ وَالأَنْفَاسِ ١٠٣
مطْلُوبٌ ١٠٥
الْعِجْلُ الْمُسَمَّن وَالْمَسِيحُ الْمُثَمَّنْ ١١٠
خَرِبش بِرِفقٍ ١١٤
الْمُؤمِنُ بَيْنَ رَغِيفٍ وَرَغِيفٍ ١١٦
وَأَنَا أُعَلِّمُكَ مَاذَا تَصنعُ ١١٨
حَبَبتَنِي أَمْ حَسَبتَنِي؟ ١٢٦
غَرِيبٌ أَمْ غُرَاب؟ ١٣٤

تقديم

(وقراءة شبه نقدية)

لرجل الله الشيخ /نعيم عاطف

يقول كاتبنا في أحد مقالاته إن الناس لا يعلمون أن "**وراء الكلام كلام، وبداخل الكلام معان ونور!**". ومع أنه قال هذه العبارة في سياق مختلف عما أعنيه، إلا أنها تعبر بحق عن محتوى هذا الكتاب الفريد. فكاتبنا المبدع يرتب كلماته ومفرداته وجُمَله وعباراته بطريقة الصائغ الذي يشكل خاماته ويصوغ ابداعاته ويلمّعها، ثم يضعها في علبة من القطيفة، ويحملها بأطراف أصابعه- ليعرضها في واجهة المحل!

والملاحظ في نتاج فكر هذا الكاتب أنه لا يحترف الكتابة بقدر ما يحترف التأمل. وقد استوقفني في هذا الكتاب بعض السمات الخاصة والمتميزة ومنها أن الكاتب:

يهتم بعناصر من خارج المشهد قد لا تلفت غيره. فهو يهتم مثلاً بـ "الوحش الرديء" في قصة يوسف، وهو وحش لا وجود له في الحقيقة، لكن الكاتب يتخذ منه مدخلاً مثيراً لمناقشة صُلب القضية!

وينتقي شخوصه وموضوعاته من هامش الأحداث. ففي مشهد العبور المثير للبحر الأحمر- لا يتحدث عن المعجزة ولا عن الشعب ولا عن الكهنة، لكن ما يشغله هو "البحر الجريح" الذي شقته الرياح، ومنه يدخل في تطبيقات حياتية وروحية عميقة حول المشرط في يد الله الذي "يجرح ويعصب.. يسحق ويداه تشفيان". ويقول إن جُرح المسيح كان عميقاً وواسعاً كاتساع البحر!

وهو يستخدم المقابلات بذكاء ويربط بين المترادفات. فيتحدث عن الجوع والشبع، وعن الكلام والصمت، وعن البدعة والإبداع، وعن الطين والعجين، وعن السمين والمثمن. كما يقابل بين الحوت الذي ضم يونان والقبر

الذي ضم المسيح. وهو يرى ثمة علاقة بين الموس الذي حلق رأس شمشون والسيف الذي قطع رأس المعمدان، ويرى في موس شمشون هواناً وذلاً ويرى في سيف يوحنا كرامة ومجداً. وفي موضع آخر يقارن بين ثقب الإبرة الضيق الذي لا يسمح بدخول أحد، وباب الفلك الواسع الذي يرحب بالجميع. وفي موضع ثالث يقارن بين حبة الخردل الصغيرة والدلو الكبير في يد السامرية، كما يقابل بين حنه في الهيكل والسامرية عند البئر، ويقابل بين رأس يونان الملفوف بعشب البحر ورأس المسيح الملفوف بمنديل من الكتان. وغير ذلك من المقابلات الذكية والعميقة.

ويستدعي عقل الكاتب أشياءً وأشخاصاً من أبعاد ساحقة. فحينما يتناول حديث المسيح عن ثقب الإبرة تستدعي ذاكرة الكاتب مشهد حواء وآدم يخيطان لنفسيهما ردائين من ورق التين، ثم ينتقل من مشهد سفر التكوين ألى مشهد الجلجثة ليتأمل في قميص المسيح الذي لم تمسه يد الحائك. ومن ذات المنطلق يربط بين شخصيات متباعدة من العهدين القديم والجديد تجمعهما أو تفرقهما الصفات أو المواقف. ومن ذلك المقارنة بين "الأرملة الصيدونية" و"الغني الذي أخصبت كورته"!

ويفترض كاتبنا أحياناً حدوث أشياء لم تحدث أو يفترض عدم حدوث ما حدث. وهو يهدف من ذلك إلى فتح مداخل فكرية تعمق الرؤية. ومثال لذلك افتراض أن الحوت لم يبتلع يونان، وما كان سيترتب على ذلك من نتائج.

ويمنح كاتبنا اسماءً تعبيرية خاصة للمسميات العامة. فهو يسمي الحوت بالغواصة، ويشبه موقع شفاء نازفة الدم بحلبة المصارعة، ويشبه العقل البشري بالشارع، كما يشبه تخليق الفكرة داخل العقل بحركة المرور. ويصف الصلاة بأنها ذبذبات وإشارات لاسلكية تكشف عن أحاديث متباينة بين الشك واليقين واليأس والأمل. وغير ذلك من التسميات والتشبيهات.

ولا يتردد كاتبنا في اقتحام القضايا والاشكاليات الفكرية. فيتحدث عن الأصولية الفكرية، والمستنسخات، وعشق الموروثات، والتمسك

بالاطر الخارجية، والاستسلام للتلقين، وافتقاد روح الإبداع، والتفكير النمطي، وخطر التلقين، والهلاوس الدينية ذات الطابع الوثني، وتقديس المتعلقات الدينية وغير ذلك من القضايا.

ويجيد الكاتب التنقل بين كتابه المقدس ومشاهداته المعاصرة. فيُتبع الآيات بالمشاهدات، ويذيّل المشاهدات بالنصوص والأحكام، ويتبع الأفكار بالتعليم، ويتبع التعليم بالصلاة. كما نلمس فيه روح الطبيب ودقة الجرّاح، فنراه يتحدث عن "قراءة الجروح"، وعن "مشرط المسيح" وعن الشفاء والعلاج وغير ذلك.

الحق أنني استمتعت بقراءة هذا الكتاب الرشيق، وإذ أحيي الكاتب الملهم الدكتور ريمون جوزيف، فإنني أصلي أن يستخدمه الرب في إيقاظ أذهاننا، وبناء قدرات جديدة في تفهم الكلام وما وراء الكلام من نور ومعرفة.

كلمة تقديم

بقلم د / فايز فؤاد خادم الإنجيل

في مَثَل العبد الأمين الحكيم (مت٢٤: ٤٥-٥١) يضع الرب يسوع المسيح أمامنا مسؤولية المؤمنين في نشر كلمة الله التي هي بمثابة خبزنا اليومي، وليست كعكة لمناسبات خاصة. وهذا يتطلب أمرين: الأمانة لنعرف كلمة الله ولا نهملها، والحكمة لنشرها حسب حاجة وظروف الآخرين. والعبد الأمين هو الذي يكون في شركة مع الله ليُعطي قديسيه الطعام في حينه. وكل عمل لا بد أن يُكافأ «طُوبَى لِذلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا». وهذا الكتاب خلاصة جهد مشكور للأخ ريمون جوزيف، وهو دارس مجتهد ومُحب لكلمة الله. يتميز بالفهم العميق لها، وإمكانية استخلاص الدروس العملية والأفكار النافعة، التي يستطيع أن يُقدمها لقارئيه بأسلوب يتميز بالرشاقة والسلاسة والبساطة، وبالعمق والتأثير الروحي والأدبي أيضًا. أصلي أن كل من يقرأ هذا الكتاب تنفتح شهيته على قراءة ودراسة الكتاب المقدس بأكثر تدقيق وعمق.

كلمة تقديم

بقلم د / عادل حبيب خادم الإنجيل

يسعدني ويشرفني جداً أن أكتب تقديماً لكتاب « من كنوز كلمتك » للأخ الحبيب والصديق العزيز د. ريمون جوزيف.

هذا الكتاب – والذي هو عبارة عن تجميع لمقالات كان الكاتب قد سبق وكتبها على صفحات Facebook ونالت إعجاب الكثيرين ممن قراؤها – هو كتاب يحوي فائدة كبيرة، لاسيما أن الأخ الحبيب لم يكن نمطياً في تفكيره، لكنه كالعادة يمتلك خيالاً خصباً طوعه لتقديم افكاراً جديدة.

عندما يكتب الكاتب عن قصة كتابية مألوفة، يكتب افكارا غير مطروقة، من منظور شخصي تأملي غير منقول. لم يكن قصد د. ريمون أن يقدم دراسة تفصيلية، لكنه أراد أن يقدم تأملات هادئة تعبر عن شخص محب لكلمة الله، دائم التلذذ بها. كما تميز الكاتب بأنه استخدم عناوين جذابة لمقالاته ، مثل عنوان « مكسور الساقين يطير » معبراً به عن اللص التائب.

عزيزي قارئ هذا الكتاب اصلي أن يكون الكتاب الذي بين يديك الأن بركة لك، وأرجو أن يؤثر فيك تأثيراً إيجابياً طيباً؛ لتدرك قيمة وعظمة الكتاب المقدس العظيم، فتلهج فيه نهاراً وليلاً (مزمور١: ٢).

كما أصلي أن يبارك الرب د. ريمون مستخدما إياه بأكثر قوة، معطياً إياه انتاجاً اكثر. وكتابات أوفر.

تقديم الكاتب

د. ريمون جوزيف

أمام كتاب ليس فقط مسطور بأقلام بل مرسوم بريشة فنان، لا تكفى القراءة العابرة لإستبيان الخفايا لكن لابد من التأمل و التخيل و الإعلان للكشف عن أجزاء الصور المختفية وراء الكلام .. ففى كتاب كاتبه روح الله أشعر أن ذكائى غباء و قدراتى كالعدم و أن هناك إحتياج عميق لذكاء المسيح لفك شفرات النصوص و إعلان الروح لتحريك جمود الشرائع

إنه الكتاب المقدس

فى زمن إختفت فيه الألوان البسيطة السهلة المعروفة و كثرت درجات الألوان و كسورها حتى أننا فى كثير من الأحيان ما عدنا نعرف لها أسماء فنعرفها بأنها (تميل الى ....)

فى زمن الرمادى يتعمق الإحتياج الى نور هادى

فى زمن إختفت فيه الفواصل و تداخلت المعانى ، فى زمن تهشمت فيه الحواجز و إختلطت المياه أصبحنا فى إحتياج شديد الى تعريفات جديدة، أصبحنا فى إحتياج شديد لأن ينطق المولى بسلطان من جديد (**ليكن فاصلاً بين مياه و مياه**) ، نعم ففقدان المعنى و التوصيف يتبعه حتما حيره و إحتياج للتعاريف كما أن تعدد المعانى و التفاسير يتبعه حتما تيه و إحتياج للتعابير .

عندما تأكل الأسئله خلايا ذهنك و تشعر أن نسيج عقلك يتمزق و يتآكل، عندما تنهش علامات الإستفهام ثوابتك فتنهار أساساتك، عندما تضرب

الشكوك صلابتك فترتعش جزيئاتك، عندما يحصرك الزمن و يحشرك فى حقبة بلا إجابات ... لا تجزع ... الله يحرث الارض لتستقبل بذار الإجابات الشافية ...

الله يصلحها و يفلحها ، الله يحرثها و يحرسها

و عندما تشرق الشمس ستختفى العتمة، عندما يهطل المطر ستمتلىء الحفر و تختفى النقر، عندما يعلن الله ستنحل المعضلات و تنفك العقد، عندما يتكلم المعلم يصمت التلميذ و يكتب .

عزيزى القارىء قبل أن أضع بين يديك هذا الكتاب وضعته بين يدى الله ليباركه و يستخدمه لبركة الكثيرين راجياً و مصلياً من قلبى أن يمنحك الله من خلاله مزيداً من النور و الثبات و اليقين .. ليكن إيجابات لعقلك المجهد و ماء لروحك العطشى .. أمين

شكر خاص

من أعماق قلبى أشكر الرب صاحب الأفكار ومصدر كل نور حقيقى فى الوجود.

كما أتقدم بالشكر العميق لكل من ساهم فى إنجاح هذا العمل، وأخص بالذكر كل من تفضل وشّرف الكتاب بكلمه تقديم . رجل الله الوالد الشيخ نعيم عاطف، وخادم الرب الدكتور فايز فؤاد وخادم الرب الدكتور عادل حبيب .

بصدق كلماتكم قد أضافت للكتاب قيمة عظيمة .

كما أتقدم بشكر خاص للأستاذة نورا حليم فارس صاحبة شركة سباركل للطباعة وفريق العمل لأجل الجهد الذى بذلوه فى إعداد وطبع هذا الكتاب، كما أشكرها على كونها صاحبة فكرة إصدار الكتاب لتكون الأفكار فى متناول قطاع أكبر من القراء .

كما أشكر القس چوزيف فتحى على المراجعة اللغوية للكتاب.

للتواصل مع الكاتب ولطلب كميات من الكتاب

برجاء زيارة صفحة الكاتب علي الفيس بوك : Remoon joseph

أو مراسلته على البريد الألكترونى : dr.remo.jo@gmail.com

أو صفحة شركة سباركل : Sparkle Printing Solutions

وموقعها الألكترونى : www.sparkleegypt.net

لَمْ يَكُنْ الْوَحشُ رَدِيئًا

هَذِهِ الْمَقَالَة الشِّعْرِيَّة يَدُورُ مَوضُوعُهَا حَولَ عِبَارةِ « وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ » وَالَّتِي قَالَهَا يَعْقُوب لِأَولَادِهِ عِنْدَمَا أَحْضَرُوا إِلَيْهِ قَمِيصَ يُوسُف الْمَغْمُوس فِي الدَّم. وَهَذَا الشِّعْر هُوَ كَلَامٌ يُصوّرُ لِسَانَ حَالِ التَّيسِ الَّذِي ذُبِحَ وَالَّذِي ظَنَّهُ يَعْقُوب وَحْشًا رَدِيئًا.

كَيْفَ أَأَكُلُ مَنْ سَيُصْبِحُ قَرِيبًا رَئِيسًا لِلرُّؤَسَاء؟!

كَيْفَ أَأَكُلُ مَنْ بِيَدِهِ سَيُعْطِي كُلَّ الدُّنْيَا الْغَذَاء؟!

بَلْ كَيْفَ أَتَجَرَّأُ وَأَأَكلُ ابْنَ صَاحِبِ الْإِيوَاء؟!

فَالْقَمِيصُ لَيْسَ عَلَيهِ آثَارٌ لِأَنْيَابِي أو إِعْتِدَاء

وَالْقَمِيصُ سَلِيمٌ وَلَمْ يَتَمَزَّقْ إِلَى أَجْزَاء

بَل الْقَمِص مَغْمُوسٌ فِي دَمِي، فَيَا لَيْتَهُ تَحَقَّقَ الدِّمَاء

وَلَوْ كُنْتُ قَدْ عِشْتُ أَوْ كُتِبَ لِيّ الْبَقَاء

لَأَبْلَغْتُهُ عَنِ الْوَحْشِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُفَرِّقُ الْأَقْرِبَاء

قَدْ كَانَ الْوَحْشُ فِيهِمْ وَالْعُيُونُ كَانَتْ عَمْيَاء

الْحَسَدُ كَادَ يَفْنِيهُمْ وَالْمَشَاعِرُ كَانَتْ سَوْدَاء

بِشَرَاسَةٍ بَاعُوا أَخِيهِمْ وَلَمْ يَخْشُوا رَبَّ السَّمَاء

لَكِنْ يُوسُف لَمْ يَمُتّ وَمَازَالَ مِنَ الْأَحْيَاء

فَلَا تُمَزّقْ يَا يَعْقُوب ثِيَابَكَ وتجهش بِالْبُكَاء

وَلَا تَضَعْ عَلَيْكَ مِسُوحًا وَتَأْبَى الْعَزَاء

فَيُوسُفُ ابْنُكَ مَحْرُوسٌ بِقُوَّةٍ مِنَ الْعَلَاء

أَمَّا أَنَا فَذَبَحُونِي لِيُخْفُوا فِعْلَتَهُمْ الشَّنْعَاء

فَكَيْفَ صَدَّقْتَ كِذْبَتهمْ وَحَكَمْتَ عَلَيَّ حُكْمَ افْتِرَاء

لَا تُؤاخِذُنِي إِنْ قُلْتَ إِنَّهُمْ وحُوشٌ وَلَيْسُوا أَبْنَاء

وَصَدِّقنِي إِنِّي بَرِيءٌ وَالْمُذْنِبُون هُم الْأَشِقَاء

وَلَا تَحْسِبَنِي رَدِيئ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هُمْ الْأَرْدِيَاء.

الْبَحْرُ الْجَرِيحُ بِالسِّرِّ يُبِيح

اسْتَخْدَمَ اللهُ الرِّيَاحَ كَمَشْرَطِ جَرّاحٍ وَشَقَّ الْبَحْرَ الْأَحْمَرَ (فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ) فَنَتَجَ جَرْحٌ غَرِيبٌ .. جَرْحٌ عَمِيقٌ (غَائِرٌ)حَتَّى إِنَّ الْيَابِسَةَ ظَهَرَتْ ..جَرْحٌ طَوِيلٌ (عَرْضِ الْبَحْرِ بِأَكْمَلِه)جَرْحٌ عَرِيضٌ (وَاسِعٌ يَكْفِي لِعبُورِ سِتِّ مِئَة أَلْف مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الْأَولَاد وَمَعَهُمْ لَفِيفٌ كَثِيرٌ مِنْ غَنَمٍ وَبَقَرٍ وَمَوَاشٍ وَافِرَة جِدًّا.) وَمِنَ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّنَا نُرَكِّزُ عَلَى عَمَلِ اللهِ الْمُعْجِزِيِّ فِي شَقِّ الْبَحْرِ وَلَا نَنْتَبِهُ أَنَّ عَودَةَ الْمِيَاهِ وَالْتِئَامَ الشَّقِّ أَيْضًا مُعْجِزَةٌ لَوْ لَمْ يَصْنَعْهَا اللهُ لَظَلَّ الْبَحْرُ مَشْقُوقًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، فَهَيَّا مَعِي لِتَعْرِفَ دَلَالَةَ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْبَدِيعَةِ عَلَى مُسْتَوى التَّطبِيقِ الْعَمَلِيِّ وَعَلَى الْمُسْتَوى النَّبَوِيّ وَالرَّمْزِي :

١ . خَرَجَ يَوْمًا مَحْبُوبُ أَبِيهِ لِيَتَفَقَّدَ سَلَامَةَ إِخْوَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْمِشْرَطَ الْإِلَهِيّ سَيَصْنَعُ شَقًّا كَبِيرًا فِي حَيَاتِهِ، فَلَمْ يَعُدْ يُوسُفُ لِحِضْنِ أَبِيهِ، وَظَلَّ الشَّقُّ وَالْجَرْحُ وَالْحِرْمَانُ يَتَّسِعُ ١٣ سَنَة ..نَعَمْ صَنَعَ الْمَوْلَى جَرْحًا عَمِيقًا وَوَاسِعًا، وَالسُّؤَالُ لِمَاذَا هَذَا الْاتِّسَاع؟ وَالْإِجَابَةُ بِبَسَاطَةٍ هِيَ أَنَّ الْعَابِرِينَ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْجَرْحِ كَانُوا كَثِيرِينَ، فَقَدْ عَبَرَ يُوسُفُ بِالْعَالَمِ كُلِّهِ مِنْ خِلَالِ جَرْحِهِ هَذَا سَبْعَةَ سِنِينِ عِجَافٍ كَانَتْ كَفِيلَةً بِأَنْ تَقْضِي عَلَيهِ

لَكِنَّ الْقِصَّةَ لَمْ تَنْتَهِ عِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ، فَمَرَّةٌ أُخْرَى رَأَينَا يُوسُف يُعَانِقُ أَبِيهِ، رَأَيْنَاهُ فِي حِضْنِ أَبِيهِ (وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ وَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَبَكَى عَلَى عُنُقِهِ زَمَانًا) زَمَانًا .. كَلِمَةٌ أَرَى فِيهَا الْتِئَامَ الشَّقِّ وَامْتِزَاجَ الْمِيَاهِ وَالتَّعْوِيضَ، وكَمَا لَمْ نَسْتَطِعْ إِلَى الْيَوْمِ أَنْ نَسْتَدِلَّ عَلَى أَثَارِ شَقِّ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، هَكَذَا عَبَّرَ يُوسُفُ أَيْضًا عِنْدَمَا دَعَا اسْمَ ابْنِهِ مَنَسَّى قَائِلًا إِنَّ اللهَ أَنْسَانِي كُلَّ تَعَبِي..فَالشِّفَاءُ الْإِلَهِيُّ يَمْحُو أَثَارَ الْجَرْحِ .. نَعَمْ هُوَ يَجْرَحُ وَ يَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ.

٢.وَعَلَى الْمُسْتَوى الرَّمْزِي أَرَى ابْنَ الْأَحْضَانِ الْأَزَلِيَّةِ مَجْرُوحًا جَرْحًا عَمِيقًا «مَجْرُوحٌ

لأَجْلِ مَعَاصِينَا». أَرَى الشَّقَّ الْوَاسِعَ فِي صَرْخَةِ الْمَسِيحِ (إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي) أَرَاهُ فِي قَولِ الآبِ (اسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ..اضْرِبِ الرَّاعِي) أَرَاهُ فِي كَلَامِ الرُّوحِ الْقُدُس (الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ) كَانَ جُرْحًا عَمِيقًا وَشَقًّا كَامِلًا بِعَرْضِ الْبَحْرِ «قَدْ أُكْمِلَ»،غَيْرُ مَطْلُوبٍ مِنْكَ إِكْمَالَهُ، الْمَطْلُوبُ مِنْكَ فَقَطْ هُوَ الْعُبُورُ

كَمَا أَرَى فِي الْتِئَامِ الشَّقِّ وَامْتِزَاجِ الْمِيَاهِ مَرَّةً أُخْرَى ظِلَالًا لِلْقِيَامَةِ وَالصُّعُودِ ..أَرَى فِي عَودَتِهِ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ وَجُلُوسِهِ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ عَودَةَ الْبَحْرِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَقَدْ عَادَ ابْنُ الْأَحْضَانِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ التَّرْكِ علي الصليب إِلَى الْأَحْضَانِ، وَكَمَا أَغْرَقَتْ الْمِيَاهُ الْعَدُوَّ بِامْتِزَاجِهَا، أَرَى مَسِيحًا غَلَبَ الْمَوْتَ بِقِيَامَتِهِ وَسَبَى سَبْيًا بِصُعُودِهِ .فَيَالَهَا مِنْ لَوحَةٍ بَدِيعَةٍ وَمُعَبِّرَةٍ

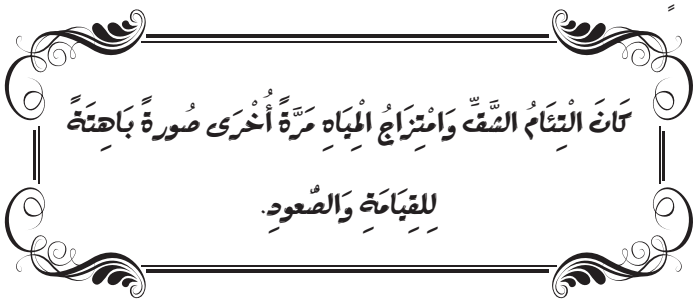

مَكْسُورُ السَّاقَيْنِ يَطِيرُ

صُورَةٌ بَدِيعَةٌ رَسَمَتْهَا أَمَامِي عِبَارَةُ «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» الَّتِي قَالَهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَيْسَ لِبُولُس الرَّسُول بَلْ لِلِصٍّ تَابَ فِي لَحَظَاتِهِ الْأَخِيرَةِ .. سَأَتَكَلَّمُ عَنْ ثَلَاثَةِ مُقَابَلَاتٍ بَيْنَ الْمَسِيحِ وَهَذَا اللِّصِّ.

١- الْأُولَى عَلَى الصَّلِيبِ: لَمْ يَلْتَقِ اللِّصُّ بِالْمَسِيحِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ رَغْمَ أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ مُتَاحًا لِلْجَمِيعِ .. لَمْ يُفَكِّرْ فِي حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ .. عَاشَ ضَائِعًا فَاسِدًا بِكُلِّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ .. لَكِنَّ التَّرْتِيبَ الْإِلَهِيّ وَلَيْسَ الْصُّدَفَةَ .. النِّعْمَةُ الْإِلَهِيَّة وَلَيْسَ الْاسْتِحْقَاقَ هِيَ الَّتِي جَادَتْ وَاخْتَارتهُ مِنْ بَيْنَ آلَافِ اللُّصُوص لِيَكُونَ وَاحِدًا مِنْ اثْنَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ مَعَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ .. كَانَ جَوهَرُ صَلْبِهِ لَيْسَ عِقَابًا مُؤلِمًا فَقَطْ بَلْ لِقَاءً مُحْيِيًا أَيْضًا .. وَمَا لَمْ يَكْتَشِفهُ عَنِ الْمَسِيحِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ اكْتَشَفَهُ فِي سَاعَاتِ الصَّلِيبِ .. اكْتَشَفَ أَنَّ الْمَسِيحَ رَبٌّ (اذْكُرنِي يَا رَبُّ). اكْتَشَفَ أَمَامَ قَدَاسَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ خَاطِئٌ (نَحْنُ بِعَدْلٍ نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا) وَبِرجُوعٍ حَقِيقِيٍّ طَلَبَ (اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ) لَكِنَّ الْمَسِيحَ فَاجَئَهُ بِأَحْلَى وَعَد «الْيَومُ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» .. لَمْ يَقُلْ لَهُ الْيَوْم تَكُونُ فِي الْفِرْدَوْسِ، لَكِنْ قَالَ لَهُ الْيَوْم تَكُونُ مَعِي. فَمَا أَحْلَى تِلْكَ الْعِبَارَة.

٢- الثَّانِيَةُ فِي الْفِرْدَوْسِ: اسْتَودَعَ الْمَسِيحُ رُوحَهُ (الْإِنْسَانِيَّة) بَعْدَمَا أَكْمَلَ الْعَمَلَ فِي يَدِ الْآبِ لِتَنْطَلِقَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ وَهُنَاكَ قَضَت رُوحُ الْمَسِيحِ ٣ لَيالٍ (بالحساب اليهودي) فِي زِيَارَةٍ خَاطِفَةٍ إِلَى الْفِرْدَوْسِ .. سَبَقَ اللِّصَّ وَانْتَظَرَهُ هُنَاكَ .. وَأَتَخَيَّلُ أَنَّهُ مَا إِنْ وَصَلَتْ رُوحُ اللِّصِّ الْمُبَرَرَة إِلَى الْفِرْدَوْسِ أَنَّ الْمَسِيحَ قَالَ لَهُ وَعَدتُ فَأَوفَيْتُ وَهَا أَنْتَ مَعِي الْيَوْمَ فِي الْفِرْدَوْسِ .. أَتَخَيَّلُ اللِّصَّ يَقُولُ لَهُ كَسّرُوا رِجْلَيَّ بَعْدَمَا تَرَكْتَنِي .. فَيُجِيبُ الْمَسِيحُ حَانِيًا لَا تَحْزَنْ فَقَرِيبًا سَأُعْطِيكَ جَسَدًا مُمَجَدًا وَأَرْجُلًا جَدِيدَةً .. وَوَسَطَ شعُورٍ بِالْامْتِنَانِ أَتَخَيَّلُ اللِّصَّ يَقُولُ وَأَنَا أَتَعَهَّدُ بِأَنْ اسْتَخْدِمَ أَرْجُلِي لِمَجْدِ اسْمِكَ .. فَيُجِيبُ الْمَسِيحَ لَنْ يُسْعِفَكَ الْوَقْتُ لِكَيْ تَقِفَ عَلَى

أَرْجُلِكَ لِأَنَّهُ فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَينٍ سَتَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ .. وَفِي لَحَظَاتٍ مُؤَثِّرَة تُغَادِرُ رُوحُ الْمَسِيحِ الْفِرْدَوْسَ لِيَقُومَ مِنَ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ بِجَسَدٍ مُمَجَدٍ وَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ تَارِكًا رُوحَ اللِّصِّ هُنَاكَ.

• **الثَّالِثَةُ عَلَى السَّحَابِ:** عِنْدَ سَمَاعِ الْبُوقِ الْأَخِيرِ سَيَقُومُ هَذَا اللِّصُّ الَّذِي كَانَ فَاسِدًا بِكُلِّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ، لَكِنْ فِي حَالَةٍ جَدِيدَةٍ يَصِفُهَا الْكِتَابُ بِالْقَولِ عَدِيمِي فَسَادٍ .. وَكَمَا انْتَظَرَ الْمَسِيحُ اللِّصَّ فِي الْفِرْدَوْسِ سَيَنْتَظِرُهُ هُنَاكَ عَلَى السَّحَابِ حِينَمَا يَلْقَاهُ مَعَ جُمُوعِ الْمَفْدِيِّينَ .. وَلَا اسْتَبْعِدُ أَنَّ الْمَسِيحَ سَيَحْتَضِنُهُ هُنَاكَ وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنْ كَانَ الصَّلِيبُ قَدِيمًا مَنَعَنِي مِنْ أَنْ أَحْتَضِنَكَ فَالْيَوْمُ لَا تُوجَدُ مَوَانِع .. وَإِنْ كَانَتْ الْقِيَامَةُ قَدِيمًا مَنَعَتْ رُوحِي مِنَ الْبَقَاءِ مَعَ رُوحِكَ فَالْيَوْمُ أَعِدُكَ أَنْ تَبْقَى مَعِي إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ. فَأَيُّ نِعْمَةٍ هَذِهِ الَّتِي حَوَّلَتْ هَذَا الْفَاسِدَ إِلَى عَدِيمِ الْفَسَادِ .. أَيُّ نِعْمَةٍ هَذِهِ الَّتِي فَعَلَتْ كُلَّ هَذَا مَعَ إِنْسَانٍ مِثْلَ هَذَا.

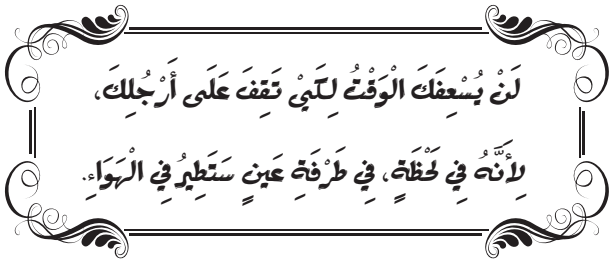

اللُّقمَةُ الشَّافِية وَالْحِوَارُ الْغَيْر مُبَاشِر

الشَّكُّ مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ وَلَا يُوجَدُ مِنَّا شَخْصٌ لَمْ يُعَانِ مِنْهَا بِدَرَجَةٍ مَا .. وَدَائِمًا مَا نُعْزِي سَبَبَ الشَّكِّ إِلَى ضَعفِ الْإِيمَانِ بِاللهِ (مُشْكِلَةٌ رُوحِيَّةٌ)وَنَتَجَاهَلُ تَمَامًا أَنَّ هُنَاكَ سَبَبٌ آخَر لِلشَّكِّ وَهُوَ فُقْدَانُ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ (مُشْكِلَةٌ نَفْسِيَّةٌ)وَالْفَارِقُ بَيْنَ ضَعفِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَفُقْدَانِ الثِّقَةِ بِالنَّفسِ طَفِيفٌ.

فِي أُمْسِيَةٍ مَا قَالَ الْمَسِيحُ لِلِاثْنَي عَشَرَ (إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي) وَأَمَامَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي طَرَحَهَا الْمَسِيحُ ظَهَرتْ أَعْرَاضُ الشَّكِّ وَفُقْدَانِ الثِّقَةِ فِي النَّفْسِ إِذْ ابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لِلْمَسِيحِ (هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟) وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ فِينَا شخص لَمْ يَسْأَلْ نَفْسَهُ يوماً هَذَا السُّؤَال عِنْدَ سَمَاعِ عِظَةٍ مَا أَوْ عِنْدَ قِرَاءةِ جُزءٍ مَا مِنَ الْكِتَابِ .. مَوقِفٌ صَعبٌ يَذْكُرُ فِيهِ الْكِتَابُ أَنَّ التَّلَامِيذَ حَزِنُوا جِدًّا وَاحْتَارُوا لَكِنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَتْرُكْهُمْ فِي حَيرَتِهِمْ، إِذْ قَالَ: «الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي » لَكِنْ الْكِتَاب لَمْ يَذْكُرْ فِي كل الْأَرْبَعَةِ أَنَاجِيل أَنَّ أَحَدًا مِنَ الِاثْنَيْ عَشَرَ بِمَا فِيهِمْ يَهُوذَا تَجَرَّأَ وَغَمَسَ يَدَهُ فِي الصَّحْفَةِ مَعَ الْمَسِيحِ .. لِقَدْ ظَلَّ يَهُوذَا مُخْتَبِئًا أَمَامَهُمْ .. وَهَذَا جَعَلَ الْمَسِيحَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا١٣: ٢٦ يَقُولُ (هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ، فَغَمَسَ اللُّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الْإِسْخَرْيُوطِيِّ). وَهُنَا أَقِفُ مَذْهُولًا مِنْ دِقَّةِ الْكِتَابِ وَرَوعَةِ الْمَسِيحِ ..

قَالَ الْمَسِيحُ بِرُوحِ النُّبُوَّةِ «أَيْضًا رَجُلُ سَلَامَتِي الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ» (مز٤١: ٩) .إِنَّ النُّبُوَّةَ تَقُولُ (خُبْزِي)أَيّ أَنَّ اللُّقْمَةَ مِنْ خُبْزِ الْمَسِيحِ (الَّذِي أَمَامَهُ) (الْآكِلُ مَعِي)سَتَتِمُّ سَواء غَمَسَ الْمَسِيحُ خُبْزَهُ وَأَعْطَى أَوْ غَمَسَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ خُبْزَهُ فِي الصَّحْفَةِ مَعَ الْمَسِيحِ .. فِي الْحَالَتَينِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ (الْآكِلُ مَعِي) لَكِنْ الْآكِلُ خُبْزِي لَنْ تَتِمَّ إِلَّا إِذَا غَمَسَ الْمَسِيحُ خُبْزَهُ وَأَعْطَى، لِهَذَا قَالَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ.

لَكِنْ هُنَاكَ سُؤالٌ آخرٌ يَطْرَحُ نَفْسَهُ .. لِمَاذَا كَانَتْ عَلَامَةً مَادِيَّةً وَاضِحَةً؟ هَلْ كَانَ يَهُوذَا لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَلَا يَعْرِفُ مَا يَنْوِي أَنْ يَفْعَلَهُ؟ .. بِالتَّأْكِيدِ كَانَ يَعْرِفُ، لَكِنِّي أَقُولُ إِنَّ هَذِهِ اللُّقْمَةَ كَانَتْ لِبَقِيَّةِ التَّلَامِيذِ أَيْضًا .. نَعَمْ، إِنَّهَا كَانَتْ مُوجَّهَةً لِفَمِ يَهُوذَا وَلَكِنَّهَا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ أَرْسَلَتْ رِسَالَةً غَيْرَ مُبَاشِرَةٍ لِبَاقِي التَّلَامِيذِ شَفَتَهُمْ مِنَ الشُّعُورِ بِالْحَيْرَةِ وَفُقْدَانِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ. كَانَتْ تَقُولُ لَهُمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ. كَانَتْ تُجِيبُ عَلَى سُؤَالِ (هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ ؟) وأَقُولُ يَا صَدِيقِي .. بَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ (أَي يَهُوذَا)الشَّيطَانُ، وَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُمْ (بَقِيَّةُ التَّلَامِيذِ) الْاطْمِئْنَانُ بِالرَّغمِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بِالتَّفْصِيلِ مَا كَانَ يَنوي يَهُوذَا أَنْ يَفْعَلَهُ .. فَيَا لِدِقَّةِ النُّبُوَّةِ وَيَا لِذَكَاءِ الْمَسِيحِ فِي تَتَمِيمِهَا وَيَا لَهَا مِنْ لُقْمَةٍ مَحْشُوةٍ بِرِسَالَةٍ مُتَعَدِدَةِ الْأَبْعَادِ.

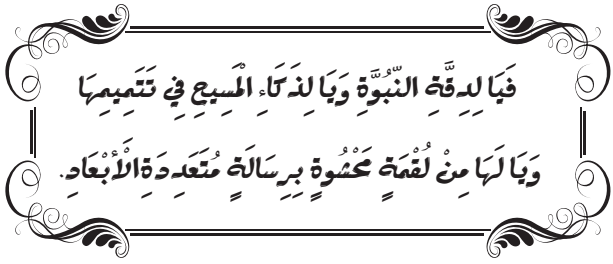

الرَّأْسُ بَيْنَ الْمُوسِ وَالسَّيفِ

يَذْكُرُ الْكِتَابُ فِي سِفْرِ الْعَدَدِ الْإِصْحَاح السَّادِس شَرِيعَةَ النَّذِيرِ وَيَسْرِدُ مُواصَفَاتِ النَّذِيرِ :

١ . لَا يَمُرُّ الْمُوسُ عَلَى رَأْسِه، وَيُرَبِّي خُصَلَ شَعْرِ رَأْسِه: وَهِيَ عَلَامَةٌ خَارِجِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ لِلنَّاسِ تُبَيِّنُ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ نَذِيرٌ لِلرَّبِّ .. وأَرَى فِيهَا أَنَّ التَّكْرِيسَ لِلرَّبِّ عَلَاقَةٌ تَنْمُو وَلَا تَحْدُثُ بِاخْتِبَارٍ مُعْجِزِيٍّ كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ .. وَكَمَا أَنَّ نُمُوَ الشَّعْرِ مُرْتَبِطٌ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالْغِذَاءِ أَرَى أَنَّ قُوَّةَ وَعُمْقَ التَّكْرِيسِ لِلرَّبِّ مُرْتَبِطٌ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالْكِتَابِ .. كَمَا أَرَى فِي ارْتِبَاطِ التَّكْرِيسِ بِطُولِ الشَّعْرِ أَنَّ التَّكْرِيسَ دَرَجَاتٌ، فَلَسنَا جَمِيعًا فِي نَفْسِ مُسْتَوى التَّكْرِيسِ لِلرَّبِّ .. وَفِي عَدَمِ اهْتِمَامِ الْكِتَابِ بِذِكْرِ لَونِ شَعْرِ النَّذِيرِ أَرَى رِسَالَةً هَامَّةً تَقُولُ إِنَّ التَّكْرِيسَ لَيْسَ لَهُ أَلْوَانٌ كَثِيرةٌ، فَهُوَ إِمَّا حَقِيقِيٌّ وَإِمَّا مُزَيفٌ.

٢ . لَا يَشْرَبْ الْخَمْرَ وَلَا يَأْكُلْ الْعِنَبَ لَا رَطِبًا وَلَا يَابِسًا :وَهُنَا أَقُولُ إِذَا كَانَتْ الصِّفَةُ الْأُولَى ظَاهِرِيَّةً وَيُمْكِنُ أَنْ تُقَلَّدَ فَإِنَّ الصِّفَةَ الثَّانِية سِرِّيةٌ لَا يَرَاها النَّاسُ، وَتُعَبِّرُ عَنِ الْحَالَةِ الدَّاخِلِيَّةِ و عَنْ مَدَى التَّحَكُّمِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَمَدَى الْقُدْرَةِ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ.

شَمْشُون قَوِيُّ الْبِنْيَةِ جَبَّارٌ احْتَارَ فِيهِ الْأَعْدَاءُ وَظَلَّ اسْمهُ رَمْزًا لِلقُوَّةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .. لَكِنَّهُ يَوْمًا مَا فِي لَحْظَةِ ضَعْفٍ اقْتَرَبَ الْمُوسُ مِنْ شَعْرِهِ .. أَرَى فِي لِسَانِ دَلِيلَة وَهِيَ تَتَمَلَّقهُ مُوسًا .. أَرى فِي أَفْعَالِهَا (أَنَامَتْهُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا)مُوسًا .. وَفِي النِّهَايَةِ يَقُولُ الْكِتَابُ (دَعَتْ رَجُلًا وَحَلَقَتْ سَبْعَ خُصَلِ رَأْسِه)

وفِي المقابل أَرَى فِي الْمَعْمَدَان نَمُوذَجًا أَعْظَم لِلنَّذِيرِ .. شَخْصٌ رَفَضَ التَّنَعُّم. قَالَ عَنْهُ الْمَسِيحُ لِلجُمُوعِ: «مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا أَإِنْسَانًا لَابِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً. هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الْفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ». وَعِنْدَهَا شَهَدَ عَنْهُ الْمَسِيحُ أَنَّه نَبِيٌّ وَأَعْظَمُ مِنْ نَبِيٍّ بَلْ

وَأَعْظَمُ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ .. إِنْسانًا لَمْ يَلِنْ مَعَ الْخَطِيَّةِ وَلَمْ يَصْمُتْ عِنْدَمَا إِشتم عِفُونَتَهَا بَلْ وَبَّخَ الْمَلِكَ دُوْنَ خَوفٍ قَائِلًا « لَا يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ» .. فَأَرْسَلَ هِيرُودُس سَيَّافًا وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ

صَدِيقِي قَدْ يَكُونُ مَنْطِقُ النَّاسِ أَنَّ الرَّأْسَ أَغْلَى مِنَ شَعْرِ الرَّأْسِ وَأَنَّ السَّيفَ أَخْطَرُ مِنَ الْمُوسِ .. لَكِنْ مَنْطِق اللهِ مُخْتَلِفٌ، فَشَعْرُ الرَّأْسِ أَغْلَى مِنَ الرَّأْسِ وَالْمُوسُ أَخْطَر مِنَ السَّيفِ. مِنْ قَلبِي أُصَلِّي أَنْ نَحْذَرَ الْمُوس وَلَا نَخْشَى السَّيف، وَأَنْ يَكُونَ التَّكْرِيسُ دَائِمًا أَغْلَى مِنَ الْحَيَاةِ.

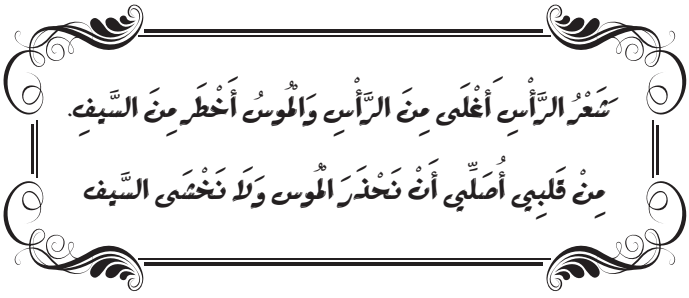

الْجَمَلُ بَيْنَ الثُّقبِ وَالْبَابِ

بِالْمَنْطِقِ الْبَشَرِيّ مرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثُقْبِ إِبْرَةٍ أَمرٌ مُسْتَحِيلٌ .. وَمَهْمَا انْكَمَشَ الْجَمَلُ أَوِ اتَّسَعَ ثُقْبُ الْإِبْرَةِ فَسَيَظَلُّ مُرُور الْجَمَلِ مِنْ ثُقْبِ الْإِبْرَةِ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا .. وَأَرَى فِي هَذَا التَّشْبِيهِ الْجَمِيلِ الَّذِي نَطَقَ بِهِ السَّيِّدُ الْمَسِيح أَبْعَادًا كَثِيرةً أَكْتَفِي بِالتَّحَدُّثِ عَنْ بُعْدَينِ فَقَطْ مِنْهَا:

الْمَعْنَى الْمُبَاشِر ذَكَرَهُ السَّيِّدُ عِنْدَمَا تَكَلَّمَ عَنْ صُعُوبَةِ دُخُولِ الْأَغْنِيَاءِ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، وَكَانَ يَقْصِدُ أَنَّ هَؤلاءِ أَصْحَاب الْقُلُوبِ الْمُزْدَوَجَةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْمَالَ لَا يَصْلُحُ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَّفِقَ مَحَبَّةُ اللهِ مَعَ مَحَبَّةِ الْمَالِ .. وَكَانَ يَقْصِدُ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْغِنَى لَنْ يُجْدِيَ نَفْعًا فِي مُحَاوَلَةِ الدُّخُولِ إِلَى السَّمَاءِ، فَالسَّمَاءُ أَغْلَى مِنْ أَنْ تُشْتَرَى بِالْمَالِ.

تُحَدِّثُنَا الْإِبْرَةُ عَنْ الْخِيَاطَةِ وَهَذَا مَا أَخَذَ فِكْرِي فِي الْحَالِ إِلَى آدَم وَحَوَّاء فِي الْجَنَّةِ قَدِيمًا عِنْدَمَا حَاوَلَا بِمَجْهُودِهِمَا الْبَشَرِيّ أَنْ يَسْتُرَا عرْيّهِمَا فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لِأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. وَالَّتِي فَشَلَتْ فِي النِّهَايَةِ أَنْ تَسْتُرَ عرْيّهِمَا. فَالْأَعْمَالُ لَا تَصْلُحُ بِأَيِّ حَالٍ أَنْ تَسْتُرَ أَمَامَ اللهِ .. وَهُنَا وَقَفتُ مَذْهُولاً عِنْدَمَا كُشِفَ لِعَينِي لِمَاذَا أَرَاد الرُّوحُ الْقُدُس أَنْ يُسَجِّلَ لَنَا أَنَّ الْقَمِيصَ الَّذِي كَانَ يَرْتَدِيهُ الْمَسِيحُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ مَنْسُوجًا كُلّهُ مِنْ فَوْقٍ .. كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ هَذَا الْقَمِيصَ صِنَاعَةٌ إِلَهِيَّة .. كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ أن خَلَاص الْمَسِيحُ ليس فيه أي تدخل بَشَرِيّ ولم تشترك أو تساعد فيه أي أيادٍ بشرية .. نُزِعَ عَنْهُ لِيَسْتُرَكَ .. مَا أَبْعَدُ الْفَارِق بَيْنَ خَلَاصٍ يَصْنَعهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ (صَنَعَا لِأَنْفُسِهِمَا) وَخَلَاصٍ يَصْنَعهُ اللهُ بِنَفْسِهِ (صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطهِيرًا)

لَكِنْ أَمَامَ هَذَا الْفَرِيقِ الَّذِي يُحَاول جَاهِدًا بِأَعْمَالِهِ وَغِنَاه أَنْ يَدْخُلَ السَّمَاءَ. يُحَاولُ جَاهِدًا أَنْ يُمَرِّرَ الْجَمَلَ مِنْ ثُقْبِ الْإِبْرَةِ .. أَرَى فِي الْجَانِبِ الْآخَر جَمَلاً مَرَّ فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ

مِنْ بَابِ الْفُلْكِ .. لِقَدْ عَبَرَ بِدُوْنِ عَنَاءٍ .. لِقَدْ كَانَ الْبَابُ كَافِيًا لِأَنْ يَعْبُرَ دُوْنَ مُحَاوَلَاتِ الْحَشرِ .. صَدِيقِي مِنْ أيِّ الْفَرِيقَينِ أَنْتَ؟ .. لِمَاذَا يَدْفَعُكَ فِضُولُكَ إِلَى طُرقٍ مُبْتَدَعَةٍ حَدِيثَةٍ تُسْقِطُكَ فِي الْفَشَلِ وَالْإِحْبَاطِ لِأَنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ .. لِمَاذَا لَا تَسْلُكُ طَرِيقَ اللهِ الَّذِي أَعْلَنَهُ قَدِيمًا وَالَّذِي اخْتَبَرتهُ أَجيَالاً كَثِيرةً قَبْلَكَ وَعَبَرَتْ بِسهُولَةٍ صديقىأَمَامَكَ ثُقْبِ إِبْرَةٍ وَأَمَامَكَ بَابِ الْفُلْكِ. وَالْمَسِيحُ أَعْلَنهَا صَرَاحَةً أَنَّهُ هُوَ الْبَابُ وَ الْبَابُ يتسمَع لِمُرُورِ أى جَمَل. فَقَدْ وعد الْمَسِيحُ مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا .. فَهَيَّا أُدْخُل الْآنَ.

مَا أَبْعَدَ الْفَارِقَ بَيْنَ خَلَاصٍ يَصْنَعُهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ (صَنَعَا لِأَنْفُسِهِمَا)

وَخَلَاصٍ يَصْنَعُهُ اللهُ بِنَفْسِهِ (صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا).

الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْخَرْدَلِ وَالْجَرْدَلِ

قَدْ تَعْتَقِدُ يَا صَدِيقِي أَنَّ الْفَارِقَ بَيْنَ الْخَرْدَلِ وَالْجَرْدَلِ نُقْطَةٌ انْتَقَلَتْ مِنْ أَعْلَى الْحَرفِ إِلَى أَسْفَلِه، لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ الْفَارِقُ كَبِيرٌ جِدًّا. إِنَّ الْخَرْدَلَ يُمَثِّلُ مَدْرَسَةَ الْإِيمَانِ، وَالْجَرْدَلُ يُمَثِّلُ مَدْرَسَةَ الْأَعْمَالِ وَالْمَجْهُودِ الذَّاتِيّ.

وَفِي الْبِدَايَةِ أُرِيدُ أَنْ أَضَعَ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ آيَتَيْنِ يَنْطَلِقُ مِنْهُمَا حَدِيثِي .. قَالَ الْمَسِيحُ لِلتَّلَامِيذِ « لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ؛ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ » .. وَقَالَتْ السَّامِرِيَّةُ لِلْمَسِيحِ « لَا دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ .» .. هَلْ لَاحَظْتُمْ هَذَا التَّضَّاد « لَوْ كَانَ لَكُمْ .. لَا دَلْوَ لَكَ » قَدْ تَقُولُ يَا صَدِيقِي إِنَّ الْجَرْدَلَ كَبِيرٌ فِي الْحَجْمِ، لَكِنَّ الْخَرْدَلَ حَبَّة صَغِيرَة فِي الْحَجْمِ، وَبِالْكَادِ تُرَى. أَقُولُ لَكَ يَا صَدِيقِي لَيْسَ مُهِمًّا مَا تَرَاهُ أَنْتَ لَكِنْ الْمُهِمّ مَا يَرَاهُ اللهُ .. إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ يَرغَبُونَ فِي امْتِلَاكِ الْجَرْدَلِ لِكَيْ تُرْضِي نَفْسَكَ وَلِكَيْ يَرَى النَّاسُ أَعْمَالَكَ فَلَا تَنْتَظِر رِضَا اللهِ، لِأَنَّكَ فِي الْوَاقِعِ لَا تَبْحَث عَنْ مَا يَرَاهُ اللهُ. وَمِنْ حَيْثُ الْقِيمَةِ .. ، فَإِنَّ القِيمَةَ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى الْحَجْمِ يَا صَدِيقِي .. فَإِنَّ جِرَامًا وَاحِدًا مِنَ الذَّهَبِ أَقْيَمُ مِنْ ١٠٠٠ جِرَامٍ مِنَ التِّبْنِ .. وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ أَقُولُ إِنَّ حَبَّةَ إِيمَانٍ وَثِقَة قَلبِيَّة عَمِيقَة بِاللهِ فِي نَظَرِهِ أَقْيَمُ مِنْ جَرَادِلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْمَجْهُودِ الذَّاتِيِّ الْمُضْنِي الَّذِي تَبْذُلُهُ. أَقُولُ أَيْضًا يَا صَدِيقِي إِنَّ الْجَرْدَلَ فَارِغٌ فِي ذَاتِهِ وَأَجْوفُ وَيَحْتَاجُ إِلَى بِئْرٍ لِكَيْ يَمْتَلِئ بِالْمَاءِ لِيُعْطِي رَيًّا مُؤَقَّتًا تَشْعُرُ بَعْدَهُ بِالْعَطَشِ مَرَّةً أُخرَى .. لَكِنَّ الْخَرْدَلَ حَبَّةٌ حَيَّةٌ مُفْعَمَةٌ بِالْحَيَاةِ الْكَامِنَةُ فِي دَاخِلِهَا .. حَيَاةٌ تَتَكَاثَرُ وَتَنْمُو وَتُؤَثِّرُ وَتُشْبِعُ .. فَمَا أَبْعَد الْفَارِق. إِنَّ الْجَرْدَلَ يَبْحَثُ عَنْ الْمَاءِ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ (يَتَدلَّى إِلَى أَسْفَلِ) يَبْحَثُ عَنِ الْأَرْضِيَّاتِ لِكَيْ يَمْلَأَ فَرَاغَهُ .. أَمَّا الْخَرْدَلُ دَائِمًا (يَنْظُرُ إِلَى الْعَلَاءِ) مُنْتَظِرًا أَمْطَارَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَنْمُوَ وَيَتَكَاثَر وَتَتَفَتَّق الْحَيَاةُ مِنْ دَاخِلِه.

صَديقِي إِنَّ رَئِيسَ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلَهُ يَسُوع كَانَ لَا يَمْتَلِكُ جَرْدَلًا .. قَالَتْ عَنْهُ السَّامِرِيَّةُ هَذِه الشَّهَادَة « لَا دَلْوَ لَكَ » مُعْتَبِرَةً أَنَّ هَذَا نَقْصٌ فِيه وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ هَذَه شَهَادَةُ فَخْرٍ لَهُ .. إِنَّ رَئِيسَ الْإِيمَانِ يَدْعُونَا أَنْ نَمْتَلِكَ حَبَّاتِ الْخَرْدَلِ .. الْخَرْدَلُ الَّذِي فَاقَ فِي قُدْرَتِه الْمُعدَّات الثَّقِيلَة .. فَالْمُعدَّاتُ الثَّقِيلَةُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفَتِّتَ الْجَبَلَ وَتَنْقُلُهُ كَقِطَعٍ صَغِيرَةٍ، لَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْقُلَهُ ككُتلَةٍ وَاحِدَةٍ .. بَلْ مِنَ الرَّائِعِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ فِي قُدْرَتِه لَا يَنْقُلُ فَقَطْ الْجَبَلَ مِنْ مَكَانِه، لَكِنَّهُ يُحَدِّدُ لَهُ أَيْضًا أَيْنَ يَسْتَقِرُ .. لِعَلَّكُمْ لَاحَظْتُمْ « مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ »

أَخِيرًا يَا صَدِيقِي إِنَّ الْخَرْدَلَ (الْإِيمَان) سَيُعْطِيكَ شِبَعًا حَقِيقِيًّا بِالْمَسِيحِ عَلَى الْأَرْضِ وَحَيَاةً أَبَدِيَّةً مَعَ الْمَسِيحِ فِي السَّمَاءِ .. أَمَّا الْجَرْدَلُ (الْأَعْمَال وَالْمَجْهُود الذَّاتِيّ) سَيُعْطِيكَ شِبَعًا وَهْمِيًّا مُؤَقَّتًا بَعِيدًا عَنِ الْمَسِيحِ عَلَى الْأَرْضِ وَمَوتًا أَبَدِيًّا بَعِيدًا عَنِ الْمَسِيحِ فِي جُهَنَّمٍ ..فَأَيُّ الْاثْنَين تَتَمَنَّى أَنْ تَمْتَلِكَ؟ الْخَرْدَلُ أَمْ الْجَرْدَل؟

خَرْدَلُ الإِيمَانِ وَالثِّقَةِ فِي اللهِ أَقْيَمُ مِنْ جَرْدَلِ الْأَعْمَالِ وَالثِّقَةِ فِي الذَّاتِ

أَعْمَالُ النَّامُوسِ وَخُطَواتُ الْإِيمَانِ

يَظُنُّ الْكَثِيرُ مِنَّا أَنَّ تَدْبِيرَ النِّعْمَةِ وَالْإِيمَانِ بَعْدَ تَدْبِيرِ النَّامُوسِ هُوَ رَاحَةٌ وَاسْتِرْخَاء بَعْدَ الْعَمَلِ وَالْعَنَاءِ فَفِي النَّامُوسِ لَابُدَّ أَنْ أَفْعَلَ (افْعَلْ هَذِه فَتَحْيَا) أَمَّا فِي الْإِيمَانِ فَسَأَحْصُلُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَا مُسْتَلْقِي عَلَى الْفِرَاشِ، فَقَطْ إِنْ آمَنْتَ وَصَدّقْتَ .. وَهَذِه الْفِكرةُ فِي حَدِّ ذَاتِهَا ضَلَالةٌ كَبِيرةٌ تَسرَّبَتْ لِلمَسِيحِيَّة .. يَا صَدِيقِي إِذَا كَانَ النَّامُوسُ لَهُ أَعْمَالٌ كَانَ لَابُدَّ أَنْ نَفْعَلَهَا لِكَي نَحْصُلَ عَلَى .. فَالْإِيمَانُ لَهُ خُطوَاتٌ لَابُدَّ أَنْ نَسْلُكَهَا لِكَي نَصِلَ إِلَى .. وَأَذْكُرُ لِلتَّدلِيلِ عَلَى هَذِه الْفِكْرَةِ النَّصَّ الصَّرِيح الَّذِي وَرَدَ فِي رِسَالَة رُومِيَة٤: ١٢عَنْ إِبْرَاهِيم (وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ) .. وَهذا يَا صَدِيقِي مَا يُفَسِّر أَنَّنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ رَغْمَ الْإِيمَانِ الَّذِي بِدَاخِلِنَا إِلَّا إِنَّنَا نَنْتَظِرُ كَثِيرًا وَلَا نَصِلُ إِلَى مَا انْتَظَرنَاهُ وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ يَتَعَثَّرُ إِيمَانُنَا .. وَنَسْأَلُ هَلْ يَخْذِلُ اللهُ الْإِيمَانَ ؟؟ حَاشَا يَا صَدِيقِي وَأَلفَ حَاشَا .. الْمُشْكِلَةُ هِيَ أَنَّنَا لَمْ نَسْلُكْ فِي خُطُوَاتِ الْإِيمَانِ لِكَيْ نَصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ الْوَعدِ .. لَمْ نَخْطُ نَحْوَ الْوعدِ. وَحَتَّى يَكُونَ الْكَلَامُ أَكْثَرَ وضُوحًا، سَأُحَاوِلُ مِنْ خِلَالِ حَيَاةِ إِبْرَاهِيم أَنْ أُلْقِيَ الضَّوءَ عَلَى خُطْوَةٍ مِنْ خُطُوَاتِ الْإِيمَانِ هَذِه الَّتِي سَلَكَهَا إِبْرَاهِيم ..

وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ بِنَسْلٍ .. لَكِنْ كَانَ أَمَامَ تَحْقِيقِ هَذَا الْوعد عَوائِقُ:(عَائِقٌ دَاخِلِيٌّ) جَسَدهُ وَقَدْ صَارَ مُمَاتًا إِذْ كَانَ نَحْوَ مِئَة سَنَة و(عَائِقٌ خَارِجِيٌّ) مُمَاتِيَّةُ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ زَوجَتَهُ .. كَانَ الْمَوتُ فِيه وَحَولهُ .. لَكِنَّهُ بِخُطْوةِ إِيمَانٍ جَرِيئَةٍ دَاسَ الْعَوائِقَ .. تَخَطَّى الْمَوتَ .. مَا أَرْوعَ الْكَلِمَةَ الَّتِي سَطَّرَهَا الْوَحيُ لِوصْفِ هَذِه الْخُطْوةِ الَّتِي أَخَذَهَا إِبْرَاهِيم بِالْإِيمَانِ (لَمْ يَعْتَبِرْ) جَسَدَهُ وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا وَلَا مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ .. كَانَ إِيمَانُ إِبْرَاهِيم يَمْتَلِكُ أَقْدَامًا قَوِيَّةً (إِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الْإِيمَانِ).. إِيمَانٌ لَمْ يُقِمْ وَزنًا أَوْ اعْتِبَارًا لِلْمَوتِ .. لَقَدْ تَضَائَل الْمَوتُ جِدًّا أَمَامَ إِيمَانِ إِبْرَاهِيم حَتَّى أَصْبَحَ بِلَا اعْتِبَارٍ .. هَذِه يَا صَدِيقِي خُطْوةٌ مِنْ خُطُوَاتِ إِيمَانِ إِبْرَاهِيم تَخَطَّى بِهَا مَوتهُ وَمَوتهَا ..

مَوتُهُ × مَوتِهَا + إيمَان = جُمْهُورٌ كَثِيرٌ .. قَدْ تَسْأَلُنِي كَيْفَ؟..أَقُولُ ضَعْ (مَوتَهُ × مَوتِهَا) بَيْنَ قَوسِين وَأَشْطُبْ عَلَيهُمَا (لَمْ يَعْتَبِرْ) عِنْدَهَا تَسْتَقِيمُ الْمُعَادَلَة .. نَعَمْ الْإِيمَان بِاللهِ يُمْكِنهُ أَنْ يُنْتِجَ جُمْهُورًا كَثِيرًا.

يَا صَدِيقِي إِنْ أَيَادِينَا كَانَتْ عَاجِزَةً وَقَاصِرَةً عَنْ تَتَمِيم وَصَايَا وَأَعْمَالِ النَّامُوسِ، لَكِنْ مَا يُؤْلِمُنِي وَيُحْزِنُنِي أَنَّي أَرَى الْيَوْمَ أَرْجُلَنَا تَكَادُ تَكُونُ مَشْلُولَةً عَنْ أَنْ تَخْطُوَ خُطُوَاتِ إِيمَانٍ .. وَالَّذِي يُؤْلِمُنِي أَكْثَر قَنَاعَتُنَا الْخَاطِئَةُ أَنَّهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا، فَالْإِيمَانُ فَقَطْ ثِقَةٌ دُوْنَ أَيِّ خُطُوَاتٍ إِيمَانِيَّةٍ.

مِنْ قَلبِي أُصَلِّي أَنْ يُجَدِّدَ اللهُ أَذْهَانَنَا بِكَلِمَتِه وَيُصحِّحُ أَفْكَارَنَا لِكَي نَخْطُوَ خُطُوَات إِيمَانٍ.

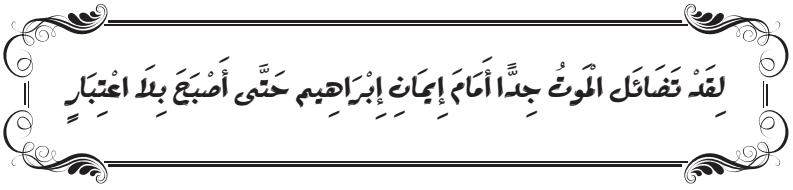

صَوتُ الْآبِ أَجَابَ وَصَمْتُ الْآبِ أَجَابَ

فِي حِوَارٍ جَمِيلٍ بَيْنَ السَّيِّد الْمَسِيحِ وَالْآبِ فِي يُوحَنَّا ١٢ يَقُولُ الْمَسِيحُ .. «الْآنَ نَفْسِي قَدْ اضْطَرَبَتْ .وَمَاذَا أَقُولُ .أَيُّهَا الْآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الْآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضًا. فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ قَالَ قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ .وَآخَرُونَ قَالُوا قَدْ كَلَّمَهُ مَلاَكٌ. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هَذَا الصَّوْتُ بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ» .. عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ هُنَا يَتَكَلَّمُ كَابْنِ الْإِنْسَانِ لأَنَّهُ يَقُولُ الْآنَ نَفْسِي قَدْ اضْطَرَبَتْ. وَلَيْسَ كَالْابْنِ فِي جَوهَرِ لَاهُوتِهِ لأَنَّهُ فِي جَوهَرِ لَاهُوتِهِ رُوحٌ وَلَيْسَ نَفْس .. هُنَا سَمِعنَا السَّمَاءَ تُجِيبُ بِصَوْتٍ (فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ) وَعَلّقَ السَّيِّدُ (لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هَذَا الصَّوْتُ بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ) هَيَّا مَعِي لِلْمَشْهَدِ الثَّانِي لِتَرُوا عَظَمَةَ الْآبِ فِي كَلَامِهِ وَفِي صَمْتِهِ أَيْضًا.

فِي الْبُسْتَانِ قُبَيلَ الصَّلِيب حَدَثَ حِوَارٌ آخَر بَيْنَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَالْآبِ .. «فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلًا يَا أَبَتَاهُ إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» (مَتَّى ٢٦: ٤٢). وَهُنَا أَتَوقَّفُ وَأَقُولُ كَانَ الْمَسِيحُ يَعْلَمُ مُسَبَّقًا الْإِجَابَةَ وَهَذَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ مَعَ يَعْقُوب وَيُوحَنَّا» لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا. (مَتَّى٢٠: ٢٢)، كَأَنَّ يَقُولُ إِنَّهُ سَوْفَ يَشْرَبُهَا. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ كَأْسَ الصَّلِيبِ حَتْمِيَّةٌ، وَإِنَّهُ كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْن الْإِنْسَانِ. وَإِنَّهُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ قَدْ أَتَى .. إِذًا فَلِمَاذَا هَذَا الطَّلَب وَهَذَا الْحِوَار؟ :

• أَظْهَرَ الْمَسِيحُ هُنَا كَمَالَ طَاعَتِهِ وَخضُوعِهِ لِلْآبِ .. وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ كَابْنِ اللهِ مُتَّفِقٌ مَعَ الْآبِ فِي الْمَشِيئَةِ .. وَكَابْنِ الْإِنْسَانِ طَائِعٌ وَخَاضِعٌ لِلْمَشِيئَةِ .. فَآدَمُ الْأَوَّل عَصَى عِنْدَمَا أَكَلَ، وَآدَمُ الْأَخِير أَطَاعَ عِنْدَمَا شَرِبَ .. آدَمُ الْأَوَّل عَصَى الْوَصِيَّةَ، وَآدَمُ الْأَخِير أَطَاعَ

الْمَشُورَةَ .. وَكَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا.

• قَالَ الْمَسِيحُ إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ .. فَصَمَتَ الْآبُ وَصَمْتُهُ رِسَالَةٌ تَقُولُ لَا يُوجَدُ حَلٌّ آخَرُ إِلَّا أَنْ تَشْرَبَهَا .. صَدِيقِي يَا مَنْ تَتَخَيَّل أَنَّ لِلْخَلَاصِ طُرُقٌ كَثِيرةٌ (فُرُوضٌ وَطُقُوسٌ وَمُمَارَسَاتٌ دِينِيَّة أَوْ أَعْمَالٌ أَوْ أَصْوَامٌ .) لَوْ كَانَتْ هَذِهِ حلُولٌ لَكَانَ الْآبُ أَجَازَ الْكَأْسَ عَنِ الْمَسِيحِ؛ فَلَا تُحَاوِلُ يَا صَدِيقِي أَنْ تُجِيبَ عَنْ طَلَبِ صَمَتَ الْآبُ عَنِ الْإِجَابَةِ عَلَيْهِ، لَا تُحَاوِلُ أَنْ تَبْتَدِعَ طُرقًا لِلْحَلِّ غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ (إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا).. إِقْبَلْ الْحَلَّ مِنَ الْآبِ وَأَشْكُرْ الْمَسِيحَ الَّذِي أَطَاعَ .. فِي الْحِوَارِ الْأَوَّل صَوْتُ الْآبِ أَجَابَ، وَفِي الْحِوَارِ الثَّانِي صَمْتُ الْآبِ أَجَاب.

آدَمُ الْأَوَّل عَصَى عِنْدَمَا أَكَلَ، وَآدَمُ الأَخِير أَطَاعَ عِنْدَمَا شَرِبَ

دِيكٌ هَذَا أَمْ سَاعَة أَمْ جِهَاز إِنْذَار؟

قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

•لقَدْ أَنْكَرَ بُطْرُس الْمَسِيحَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .. الْمَرَّةُ الْأُولَى قَبْلَ الصَّيحَةِ الْأُولَى لِلدِّيك، وَأَرَى فِي هَذَا التَّرتِيبِ مَعْنَى جَمِيلًا يُرِيدُ الرُّوحُ الْقُدُس أَنْ يُوصِّلهُ إِلَينَا أَنَّهُ يُوجَدُ فِينَا شَيْءٌ يَصِيحُ كُلَّمَا نُخْطِئُ .. فِي دَاخِلِنَا ضَمِيرٌ يَصْرُخُ مُعْتَرِضًا كُلَّمَا انْحَرَفْنَا أَوْ سَقَطْنَا. (فَالصَّيحَةُ لَمْ تَسْبِقْ الإِنْكَار ولكن الإِنْكَارَ هُوَ الذي سَبِقْ الصَّيحَةُ) .

•صَاحَ الدِّيكُ مَرَّتَين وَلَيْسَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَفِيهَا أَرَى أَيْضًا مَعْنَى جَمِيلًا يُوضِّحُ طَبِيعَتَنَا الْبَشَرِيَّة الْغَافِلَة عَنِ الْمُنَبِّهَاتِ الْإِلَهِيَّة ، فَنَحْنُ يَا صَدِيقِي فِي غَمْرَةِ الضُّغُوطِ وَازْدِحَامِ الْأَفْكَارِ وَضَعفِ الْإِدْرَاك غَالِبًا مَا لَا نَتَنَبَّهُ لِلصَّيحَةِ الْأُولَى، وَاللهُ فِي نِعْمَتِهِ الْغَنِيَّة يَظَلُّ يُنَبِّهُنَا وَيَتَكَلَّمُ إِلَينَا مَرَّاتٍ ثَانِيةً حَتَّى يُوقِظَنَا مِنْ غَفْلَتِنَا وَيَجْعَلُنَا نَسْتَفِيقُ.

سَأَلْتُ نَفْسِي لِمَاذَا اسْتَخْدَمَ اللهُ دِيكًا لِكَيْ يُذَكِّرَ بُطْرُس بِكَلَامِهِ؟ لِمَاذَا لَمْ يَسْتَخْدِمْ إِنْسَانًا؟ أَحَدُ التَّلَامِيذِ مَثَلًا. أَقُولُ فَضْلًا عَنْ أَنَّ جَمِيعَهُمْ هَرَبُوا .. اسْتَخْدَمَ اللهُ دِيكًا رِفْقًا بِبُطْرُس الْعَاثِر، فَالدِّيكُ صَاحَ فَقَطْ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ يُضِيفَ أَيَّ كَلِمَةٍ قَاسِيَةٍ، لَكِنْ الْبَشَرَ كَانُوا مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُجَرِّحُوهُ بِكَلِمَاتٍ أَوْ نَظَرَاتٍ قَاسِيَّةٍ وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا تَحْتَمِلُ الْقَسْوَةَ. فَيَا لَهُ مِنْ إِلهٍ رَقِيقٍ.

صَاحَ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ صِيَحَاتِهِ تِذْكَار.

صَاحَ مَرَّتَينِ لَيْسَ صُدفَةً أَوْ تِكْرَار.

قَبْلَهُمَا وَبَيْنَهمَا أَنْكَرَ بُطْرُس الْبَارّ.

مُبَرمَجٌ بِدِقَّةٍ لِيُنْجِزَ الْمُهِمَّةَ بِاقْتِدَار.

يَعْرِفُ مَتَى يَصِيحُ وَمَتَى يَصْمُتُ فِي انْتِظَار.

مَضْبُوطَةٌ عَقَارِبُهُ بِأَمرِ صَاحِبِ الْقَرَار.

دِيكٌ هَذَا أَمْ سَاعةٌ أَمْ جِهَازُ إِنْذَار؟

قَصِيرٌ صِغِيرٌ بَيْنَ الطُّوَالِ وَالِكِبَار.

مَرْكُونٌ فِي رُكْنٍ أَوْ خَلْفَ أَيِّ جِدَار.

لَمْ يُخِفهُ الزِّحَامُ لَمْ يَدْفَعهُ لِلْفِرَار.

فَكَيْفَ يَهْرُبُ وَمَولَاهُ يُعَانِي مِنْ هُزْءٍ وَاحْتِقَار

لَمْ يَخْشَ لَسْعَةَ كِربَاجٍ أَوْ وَطْأَةَ قَدَمِ جَبَّار.

ظَلَّ صَامِدًا وَسَطَ الثَّورةِ وَرَغْمَ الشِّجَار.

صَيحَاتُهُ أَشْعَلَتْ فِي قَلْبِ بُطْرُس الشَّرَار.

صَدَمَتهُ فِي ذَاتِهِ فَبَكَى بِحُرقَةٍ وَإِنْهَار.

أَنْكَرَ بُطْرُس الْحَبِيبَ بَدَلَ الْمَرَّةِ مِرَار.

وَبُطْرُس قَابِعٌ فِينَا مُخْتَفِيٌّ خَلْفَ السِّتَار.

وَالضَّمِيرُ فِينَا دِيكٌ يَصِيحُ عَلَى ذَاتِ الْغِرَار.

الضَّمِيرُ مَخْلُوقٌ مَعنَا وَلِلْمَولَى بَرَاءَةُ الإِبْتِكَار.

يَصْرُخُ كُلَّمَا تُهْنَا أَوْ انْحَرفنَا عَنِ الْمَسَار.

إِلْتَفَتَ يَسُوعُ لِبُطْرُس وَالْتَقَتْ الْأَنْظَار.

لَحْظَةٌ لَمْ يَحْتَمِلهَا فَاخْتَفَى عَنِ الْأَبْصَار.

خَرَجَ خَارِجًا وَبَكَى إِذْ تَزَاحَمَتْ الْأَفْكَار.

فَيَا أَعْظَم طَبِيبٍ يَا مَنِ لَدَيكَ الدَّواءُ وَالْعَقَار.

إِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَبَكِّتنِي وَأَرِنِي آثَارَ الْمِسْمَار.

وَابْعَثْ لِي بِرِسَالَةٍ مَعَ الْمَرْيَمَاتِ الْأَطْهَار.

وَالْتَقِينِي عِنْدَ الْبَحْرِ بَعْدَ فَشَلٍ وَانْتِظَار.

وَأَطْعِمنِي مِنْ يَدِيكَ سَمَكًا مَشْوِي بِنَار.

كَلِّمنِي عَلَى إِنْفِرَادٍ وَجَدِّد لِآذَانِي الْحِوَار.

كَلَامُكَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ يُغَيِّرُ طَعْمَ الْمَرَار.

ذَكِّرنِي أَنَّكَ مَازِلتَ وَسَتَظَلُّ بِاسْتِمْرَار،

تَرَانِي نَافِعٌ وَلَازِمٌ رَغْمَ ضَعفِي وَالْخَوَار.

وَأَحْفَظْنِى مِنَ الْجَوَارِي وَمِنْ جَلَسَاتِ الْأَشْرَار.

واحْمِنِي مِنَ الْبُعْدِ عنك، فَالْبُعْدُ عَنْكَ انْتِحَار.

ذَبْذَبَاتُ إِشَارَةِ الْإِيمَانِ مِنْ دَاخِلِ غَوَّاصَةِ يُونَان.

١. إِيمَانٌ مُهْتَزٌّ

ظَلَمنَا كَثِيرًا الْحُوتَ عِنْدَمَا اعْتَبَرنَاهُ وَسِيلَةَ التَّأْدِيبِ وَالتَّهْذِيبِ الْإِلَهِيَّ فَقَطْ وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ أَيْضًا وَسِيلَةُ الْإِنْقَاذِ الْإِلَهِيِّ لِنَبِيٍّ رَفَضَ تَنْفِيذ كَلَام اللهِ وَفَضَّلَ الْانتِحَارَ غَرَقًا .. هَلْ تَخَيَّلتَ لِلَحْظَةٍ يَا صَدِيقِي مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ لَمْ يُدَبِّرْ اللهُ هَذَا الْحُوت؟؟

بِبَسَاطَةٍ شَدِيدَةٍ كَانَ يُونَانُ سَيَغُوصُ بِفِعْلِ الْجَاذِبِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ إِلَى قَاعِ الْمِيَاه مَمَا يُؤَدِّي إِلَى انْفِجَارِ قَفَصِه الصَّدرِيّ لِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ تَحَمُّل ضَغْطَ عَمُودِ الْمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ .. لَكِنَّ اللهَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَطُولِ أَنَاةٍ عَلَى يُونَان أَنْقَذَهُ مِنْ مُحَاولَتِه الْانْتِحَار بِأَنْ قَامَ بِسُلْطَانِه الْمُطلَق بِتَدبِيرِ هَذَا الْحُوت لِيَكُونَ بِمَثَابَةِ غَوَّاصَةٍ تَحْمِي يُونَانَ مِنَ الْمَوتِ غَرَقًا وَمِنَ الْانْفِجَارِ بِفِعْلِ ضَغْطِ عَمُودِ الْمَاءِ، أَيّ تَحْمِيه مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ أَفْكَارِهِ.

وَحَيْثُ أَنَّ قَائِدَ أَيِّ غَوَّاصَةٍ يَتّصِلُ بِإِشَارَاتٍ لَا سِلْكِيَّةٍ بِالْقِيَادَةِ الْمَركَزِيَّةِ تَحَسُّبًا لِحدُوثِ أَيّ عُطلٍ بِالْغَوَّاصَةِ، هَكَذَا نَرَى بِوضُوحٍ ذَبْذَبَاتِ إِشَارَاتٍ إِيمَانِيَّةٍ تَصْدُرُ مِنْ يُونَان مُنَاجِيَةً الْقِيَادَةَ الْمَركَزِيَّة .. فَمَرَّةً نَجِدهُ يَقُولُ " وَلَكِنَّنِي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ " يَا لَهَا مِنْ إِشَارَةٍ قَوِيَّةٍ يُطْلِقُهَا إِيمَانُ يُونَان، تُعْلِنُ ثِقَتَهُ بِأَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَيَعُودُ يَنْظُرُ هَيْكَلَ قُدْسِ اللهِ .. وَلَكِنْ مَرَّةً أُخرَى نَجِدهُ يَقُولُ " مَغَالِيقُ الْأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الْأَبَدِ " وَفِيهَا نَرَى إِشَارَةَ ضَعِيفَةً يُطْلِقُهَا إِيمَانُ يُونَان، تُعْلِنُ فُقْدَانَ ثِقَتِهِ فِي الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَبِأَنَّهُ سَيَبْقَى فِي جَوْفِ الْحُوتِ لِلْأَبَدِ.

هَلْ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي اهْتِزَازَ ذَبْذَبَاتِ إِشَارَةِ الْإِيمَانِ الصَّادِرَةِ مِنْ يُونَان بَيْنَ الثِّقَةِ وَضَعْفِهَا، بَيْنَ الْأَمَلِ وَغِيَابِهِ، بَيْنَ الرَّجَاءِ وَانْعِدَامِه (كَثِيرًا مَا يَنْطَلِقُ الْإِيمَانُ مِنْ دَاخِلِنَا فِي

صُورَة ذَبْذَبَات) لَكِنْ يَا صَدِيقِي اطْمَئِنْ فَإِنَّ اهْتِزَازَ الشَّيْءِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِهِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَهْتَزَّ شَيْءٌ غَيْر مَوجُود أَصْلاً ، وَكَمَا أَنَّ اهْتِزَازَ الْمَوجَات الصَّوتِيَّة الصَّادِرَة مِنَ الْعُود تُؤَكِّدُ وُجُود الْأَوتَار، كَذَلِكَ اهْتِزَازُ ذَبْذَبَات اشارة الْإِيمَان تُؤَكِّدُ وُجُودَهُ، وَاللّٰهُ يُقَدِّرُ وجُودَ الْإِيمَان وَيُشَجِّعُهُ وَيُكَرِّمُهُ .. وَمَهْمَا صَغُرَ فِي حِجْمِهِ أَوْ قَلَّ فِي عُمْقِهِ أَوْ اهْتَزَّ فِي حَالَتِهِ تَأَكَّدْ أَنَّ اللّٰهَ سَيَسْنِدُهُ وَلَنْ يَفْنَى إِيمَانُكَ أَبَدًا فِي النِّهَايَة .

٢ . عُشْبٌ مُلْتَفٌّ

«الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي» عِبَارَةٌ أَثَارَتْ تَسَاؤلِي .. حَدَثٌ غَرِيبٌ حَدَثَ لِيُونَان دَاخِلَ جَوْفِ الْحُوتِ، أَهْتَمَّ الرُّوحُ الْقُدُس أَنْ يُسَجِّلَهُ لَنَا ضِمْنَ أَحْدَاث الثَّلَاثَة لَيَالٍ الَّتِي قَضَاهَا يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ .. حَتْمًا لَهُ مَعْنَى وَحَتْمًا هُنَاكَ قَصْدٌ مِنْ بَعِيدٍ .. فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّس لَيْسَ بِهِ حَشْو زَائِدٌ، وَالرُّوحُ الْقُدُس رِيشَتُهُ لَا تَسْطُرُ حَرْفًا بِلَا قِيمَةٍ، طَلَبْتُ نُورًا فَأَعْطَانِي أَبُو الْأَنْوَارِ نُورًا وَفَهْمًا أَذْهَلَنِي.

جَلَسْتُ أَتَخَيَّلُ هَذَا الْمَشْهَدَ بِخَيَالِي، يُونَانُ دَاخِلَ جَوْفِ الْحُوتِ وَرَأْسُهُ مَلْفُوفٌ بِعُشْبِ الْبَحْرِ، وَتَذَكَّرتُ وَقْتَهَا عِبَارَةً مِنْ كَلِمَتَين « وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ » .. اسْتَطَاعَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ أَنْ تَفُكَّ رُمُوزَ الْكَلَامِ وَتَكْشِفُ عَنْ أَحْلَى الْمَعَانِي. «الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي » (يُونَان٢: ٥) «وَأَنْزَلَهُ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ مَنْحُوتٍ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ وُضِعَ قَطُّ» (لُوقَا٢٣: ٥٣) «فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ» (مَتَّى٢٧: ٥٩).. «وَالْمِنْدِيلُ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوضُوعًا مَعَ الْأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوضِعٍ وَحْدَهُ » (يُوحَنَّا٢٠: ٧).

رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ ذَهَبَ إِلَى بِيلَاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ؛ لِيَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيد الْمَنْحُوتِ فِي الصَّخْرِ، وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَضَعَهُ فِي الْقَبْرِ لَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ. وَالرُّوحُ الْقُدُس بِرِيشَةِ رَسَّامٍ مُبْدِعٍ رَسَمَ ذَلِكَ الْحَدَثَ بِصُورَةٍ بَاهِتَةٍ عِنْدَمَا صَوَّرَ يُونَان دَاخِلَ جَوْفِ

الْحُوت وَرَأْسهُ مَلْفُوفٌ بِعُشْبِ الْبَحْرِ ... وَيَا لَلدَّقَّة يَا صَدِيقِي عِنْدَمَا تَعْلَم أَنَّ عُشْبَ الْبَحْرِ نَبَاتٌ وَالْكَتَّانَ النَّقِيَّ أَيْضًا نَبَاتٌ، يَا للرَّوعَة فِي اسْتِخْدَامِ ذَاتَ الْفِعْلِ (الْتَفَّ) وَ(لَفَّهُ).

يُونَان فِي جَوْفِ الْحُوتِ وَرَأْسُهُ مَلْفُوفٌ بِعُشْبِ الْبَحْرِ، وَرَبُّ الْحَيَاةِ فِي جَوْفِ الْقَبْرِ ..(وَرَأْسُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ) يَا للعَجَب، رَبُّ الْحَيَاةِ اللَّابِسُ النُّورَ كَثَوْبٍ، الْجَالِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ فِي جَوْفِ الْقَبْرِ، مَلْفُوفٌ بِالْكَتَّانِ، أَتَعَجَّبُ كُلَّ الْعَجَبِ وَأَقِفُ صَامِتًا مَذْهُولًا مِنْ رَوعَةٍ وَدِقَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ كَلَامٍ أَنْ يَصِفَهَا .. كَمَا أَتَعَجَّبُ كُلَّ الْعَجَبِ أَيْضًا مِمَّنْ يَقُولُونَ إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّس -هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ- مُحَرَّفٌ .. قَالُوهَا دُوْنَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ وَرَاءَ الْكَلَامِ كَلَامٌ وَأَنَّ دَاخِلَ الْكَلَامِ مَعَانِي وَنُورٌ يَجْلُو الظَّلَام .. أُصَلِّي لَهُمْ لِكَيْ تَسْتَنِيرَ عِيُونهمْ فَيُبْصِرُوا « لِكُلِّ كَمَالٍ رَأَيْتُ حَدًّا، أَمَّا وَصِيَّتُكَ فَوَاسِعَةٌ جِدًّا » (مَزْمُور١١٩: ٩٦).

٣ . ابْتِلَاعٌ وَلَيْسَ افْتِرَاس ثُمَّ قَذْفُهُ وَقَفْزُهُ

«وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَان» .. «وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ» ..مَا أَقْوَى الْفِعْلَين (يَبْتَلِعُ) وَ (قَذَفَ) وَمَا أَدَقَّهُمْ فِي وَصف حَدَثَيّ الدَّفْنِ وَالْقِيَامَة. ابْتِلَاعٌ وَلَيْسَ افْتِرَاس أَعَدَّ اللهُ حُوتًا عَظِيمًا لَا لِيَفْتَرِسَ يُونَان أَوْ يَأْكُلَهُ بَلْ فَقَطْ لِيَبْتَلِعَهُ ..يَا للعَجَب أَنَّ الْمَهمَّةَ الَّتِي كَلَّفَ بِهَا اللهُ الْحُوتَ مَهَمَّةٌ مُحَدَّدَةٌ، وَهِيَ أَنْ يَبْتَلِعَ يُونَان فقط، فَلَمْ يَذْكُرْ الْكِتَابُ أَنَّ الْحُوتَ غَرَسَ نَابًا مِنْ أَنْيَابِهِ فِي جِسْمِ يُونَان أَوْ أَنَّه كَسَرَ لَهُ عَظْمَةً. وَكُلُّ هَذِهِ لَيْسَتْ صُدَف يَا صَدِيقِي وَإِنَّمَا يُرِيدُ الرُّوحُ الْقُدُس أَنْ يُشِيرَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى شَخْصِ الرَّبِّ يَسُوع الْمَسِيح وَالَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ الْقَبْرُ أَنْ يَهْضُمَهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ الْمَوْتُ أَنْ يَغْلِبَهُ ، وَشَوكَةُ الْمَوتِ عِنْدَمَا حَاوَلَتْ أَنْ تَنْغَرِسَ فِي جَسَدِهِ الْكَرِيمِ وَالْقُدُّوسِ انْكَسَرَتْ .. نَعَمْ، فَلَمْ تَجِدْ تِلْكَ الشَّوكَةُ فِي جَسَدِهِ الْقُدُّوسِ أَيّ خَطِيَّةٍ تُعْطِيهَا الْحُجَّةَ لِأَنْ تَتَشَبَ وَتَنْغَرِسَ فِيهِ فَانْكَسَرَتْ .. مَا أَروعَ كَلِمَاتِ التَّرنِيمَةِ «ضَمَّهُ قَبْرٌ وَلَكِنْ غَلَبَ الْمَوْتَ وَقَامَ » (فَقَطْ ضَمَّهُ). لَفَتَ أَيْضًا نَظَرِي

اسْتِخْدَامُ الرُّوحِ الْقُدُس للفِعْلِ « قذف » لِلتَّعْبِيرِ عَنْ خُرُوجِ يُونَان مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ .. وَوَجَدْتُ أَنَّ فِي ذَلِكَ أَيْضًا إِشَارَة جَمِيلَة وَمُعَبِّرَة لِوصْفِ حَدَثِ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ مِنْ بَيْنَ الأَمْوَاتِ .. فَكَمَا قَذَفَ الْحُوتُ يُونَانَ أَي دَفَعَهُ بِقُوَّةٍ خَارِجَهُ. وَالْفِعْلُ فِي اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّة «تَقَيَّأ» أَي أَرْجَعَهُ لأَنَّهُ سَبَّبَ لَهُ مَشَاكِل أَوْ أَتْعَبَهُ. كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي إِمْكَانِ الْمَوْتِ أَنْ يَمْسِكَ الْمَسِيحَ، فَمَا أَجْمَل التَّعْبِير الصَّرِيح وَالْوَاضِح الَّذِي وَصَفَ بِهِ الرُّوحُ الْقُدُس عَمَلِيَّةَ الْقِيَامَةِ «إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ» (أع٢: ٢٤). وَكَأَنَّ الْحُوتَ يَقُولُ إِنَّ يُونَان هَذَا لَيْسَ أَكْلَةٌ مِنْ أَكَلَاتِي ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْقِيَهُ فِي جَوْفِي فَلَيْسَ مَكَانهُ هُنَا .. أَوْ كَأَنَّهُ يُرَدِّد كَلَامَ الْمَلَاكِ لِلْمَرْيَمَاتِ «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هُنَا لَكِنَّهُ قَامَ». (لُو ٢٤: ٥، ٦).

فَمَا أَدَقّ الْكِتَاب الْمُقَدَّس وَمَا أَروع الْقِيَامَة. وَيَا لَهَا مِنْ قَذْفَةٍ جَمِيلَةٍ أَحْدَثَتْ قَفْزَةً جَدِيدَةً فِي حَيَاةِ يُونَان.

٤ . إِعْدَادٌ عَجِيبٌ وَقَبْرٌ قَرِيبٌ

فِي هَذَا الْجُزءِ أَتَحَدَّثُ إِلَيكُمْ عَنْ فِعْلٍ مِنْ فِعْلَيْنِ آخَرين لَهُمَا دَلَالَتُهمَا الْقَوِيَّة فِي وَصْفِ حَدَثَي دَفْن وَقِيَامَة الْمَسِيحِ « وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ » (يُونَان١: ١٧). «وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرّ» (يُونَان٢: ١٠) «أَعَدَّ» وَ«أَمَرَ». ارْتَبَطَ حَدَثُ ابْتِلَاعِ وَدخُول يُونَان إِلَى جَوْفِ الْحُوتِ بِالْفِعْلِ (أَعَدَّ) أَيّ أَنَّ الرَّبَّ قَامَ بِعَمَلِيَّةِ إِعْدَاد لِكَيْ يَتَمَّ هَذَا الْحَدَث .. أَمَّا قَذْفُ يُونَان وَخُرُوجهُ خَارِجَ جَوْفِ الْحُوتِ ارْتَبَطَ بِالْفِعْلِ (أَمَرَ) أَوْ (كَلَّمَ) طِبْقًا لِبَعْضِ التَّرجَمَاتِ الإِنْجِلِيزِيَّة .. وَلِذَلِكَ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ وَمُعَبِّرَةٌ جِدًّا فِي وَصْفِ حَدَثِ دَفْنِ وَقِيَامَة الْمَسِيحِ. أَكْتَفِي بِأَنْ أَتَحَدَّثَ فِي هَذَا الْجُزْءِ عَنِ الْفِعْلِ الأَوَّل (أَعَدَّ) فَهَيَّا مَعِي لِتَعْرِفَ كَيْفَ كَانَ هُنَاكَ إِعْدَاد رَائِع وَدَقِيق لِعَمَلِيَّةِ دَفْنِ الْمَسِيحِ

١ . دَبَّرَ اللهُ رَجُلًا اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ وَآخَرُ اسْمُهُ يُوسُفُ مِنَ الرَّامَةِ وَزَوَّدَ الأَخِيرَ بِالْمَالِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا غَنِيًّا.

٢ . أَعْطَى يُوسُف الْقُدْرَةَ الْمَادِيَّة لِأَنْ يَمْتَلِكَ قَبْرًا جَدِيدًا فِي الْبُسْتَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْمَوضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ الْمَسِيح «فَهُنَاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا» (يُوحَنَّا١٩: ٤٢). وَيَا للدِّقَّة فَفِي تَوَاجُدِ الْحُوتِ قَرِيبًا مِنْ يُونَان وَالْتِقَاطهُ لَهُ فِي اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ وَالَّتِي تَزَامَنَتْ مَعَ أَلْقَائِهِ فِي الْبَحْرِ أَرَى صُورَةً بَاهِتَةً وَلَكِنْ وَاضِحَة لِتِلْكَ الْعِبَارة الَّتِي ذَكَرَهَا الرُّوحُ الْقُدُس فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا «لِأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا» .. فَيَا لَهُ مِنْ إِعْدَادٍ دَقِيقٍ.

٣ . أَعْطَاهُ الْقُدْرَةَ الْجُسْمَانِيَّة وَالْمَهَارِيَّة، لِأَنْ يَنْحَتَ هَذَا الْقَبْرَ فِي الصَّخْرِ .. «نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ» (مَتَّ٢٧: ٦٠). فَيَا لَهُ مِنْ إِعْدَادٍ.

٤ . أَعْطَاهُ أَيْضًا الْقُوَّةَ الْبَدَنِيَّة لِكَيْ يُدَحْرِجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ.

٥ . لَمْ يَسْمَحْ اللهُ بِأَنْ يُوضَعَ أَيُّ شَخْصٍ قَطّ فِي هَذَا الْقَبْرِ قَبْلَ الْمَسِيحِ .. فَيَا لَهَا مِنْ سَيطَرَةٍ.

٦ . أَعْطَى اللهُ هَذَا الرَّجُلَ الرَّغبَةَ وَالشَّجَاعَةَ لِكَيْ يَذْهَبَ إِلَى بِيلَاطُسَ وَيَطْلُبَ جَسَدَ يَسُوع وَخَاصَّةً فِي زَمَنٍ شَكَّ فِيهِ التَّلَامِيذُ فِي الْمَسِيحِ وَهَرَبُوا كُلٌّ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَذَهَبُوا إِلَى الْعُلِّيَّة وَأَغْلَقُوا عَلَيهِمْ الْأَبْوَابَ خَائِفِينَ.

٧ . لين قَلْبَ بِيلَاطُس لِكَيْ يَسْتَجِيبَ لِطَلَبِ يُوسُف الرَّامِيّ، وَيَأْمُرَ بِأَنْ يُعْطَى الْجَسَدَ .. بِيلَاطُس الَّذِي بِكُلِّ قَسْوَةٍ أَمَرَ بِصَلْبِ الْمَسِيحِ هُوَ بِعَينِهِ الَّذِي بِكُلِّ بَسَاطَةٍ وَسهُولَةٍ أَمَرَ بِأَنْ يُعْطَى الْجَسَدَ .. فَيَا لَهَا أَيْضًا مِنْ سَيطَرَةٍ وَإِعْدَادٍ. يَا لَهَا مِنْ دِقَّةٍ مُنْقَطِعَة النَّظِيرِ فِي اسْتِخْدَامِ الْفِعْلِ «أَعَدَّ» لِوصَفِ أَحْدَاثِ الدَّفْنِ.

٥ . أَمْرٌ مُبَاشِرٌ وَلَيْسَ إِعْدَاد مُسَبَّق

«وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ». تَأْتِي عِبَارَةٌ جَمِيلَةٌ عَنْ يُوسُف الرَّامِيِّ ذَلِكَ التِّلْمِيذ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِيَقُومَ بِدَفْنِ جَسَدِ الْمَسِيحِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى عَمِيقٍ، وَهِيَ «وَدَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى» (مَتّ٢٧: ٦٠). نَعَمْ مَضَى وَكَأَنَّ الرُّوح الْقُدُس يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ انْتَهَتْ مُهِمَّتُكَ يَا يُوسُف عَلَيكَ أَنْ تَتْرُكَ الْمَشْهَدَ، فَالْمَرحَلَةُ الْقَادِمَة لَا يَصْلُحُ لَهَا إِنْسَانٌ كَائِنٍ مَنْ كَانَ .. إِنَّهَا الْقِيَامَة الَّتِي يَقِفُ أَمَامَهَا الْبَشَرُ مَكْتُوفِي الْأَيدِي .. إِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى أَمْرٍ وَلَيْسَ إِعْدَاد .. وَكَأَنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ أَعْرَف يَا يُوسُف أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُدَحْرِجَ الْحَجَرَ عَلَى بَابِ الْقَبْرِ لِتُغْلِقَهُ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَيْضًا أَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ لَا أَنْتَ وَلَا الْمَرْيَمَات وَلَا التَّلَامِيذ وَلَا كُلُّ قُوَّاتِ الْبَشَرِ أَنْ تُدَحْرِجَ الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ لِتَفْتَحَهُ .. إِنَّهَا الْقِيَامَةُ .. «وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ» (مَتّ٢٨: ٢). مَا أَجْمَلَ الْكَلِمَات الَّتِي قَالَهَا بُطْرُس لِلْيَهُودِ فِي عِظَتِهِ الشَّهِيرَةِ: «وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أَع٣: ١٥). أَقَامَهُ اللهُ (أَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ)

يَا صَدِيقِي أَنَا لَا أَعْرِفُ كَثِيرًا عَنْ حَيَاتِكَ وَعَنْ صِرَاعَاتِكَ وَعَنْ الضُّغُوطِ الَّتِي تَعَرَّضتَ لَهَا .. لَكِنْ عِنْدَمَا تَجِد الظَّلَامَ يَلِفُّكَ وَلَا نُور؛ عِنْدَمَا لَا تَجِدُ أَمَامَكَ بَابًا لِلْخُرُوجِ؛ عِنْدَمَا تَعْطَش وَلَا تَجِدُ أَمَامَكَ إِلَّا الْمَاء الْمَالِح لِتَشْرَبَ فَتَشْعُرُ بِمَرَارَةِ طَعْمِ الْحَيَاة؛ عِنْدَمَا تَشْعُرُ بِالْوحدَة وَالْإِعْيَاء؛ عِنْدَمَا تَشْعُرُ بِجِبَالٍ فَوْقَ رَأْسِكَ، عِنْدَمَا تَفْقِد الْقُدْرَةَ عَلَى تَمْيِيزِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ عِنْدَمَا تَشْعُرُ بِالْبُرُودَةِ وَفُقْدَانِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ؛ عِنْدَمَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَيِّزَ أَوْ تَقْرَأَ مَلَامِحَ مَا حَولكَ جَيِّدًا. فَأَعْلَمْ أَنَّكَ مُبْتَلَعٌ فِي حُوتٍ .. أَنَا لَا أَعْلَمُ مُدَّةَ بَقَائِكَ فِي جَوْفِ هَذَا الْحُوتِ، لَكِنِّي أَعْرِف أَنَّ وَسِيلَةَ الْخُرُوجِ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَتْ فِطْنَتَكَ وَحِكْمَتَكَ وَقُوَّة عَضَلَاتِكَ،

فَلَا طَرِيقٌ لِلْخُرُوجِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ إِلَّا الْأَمْرِ الْمُبَاشِرِ مِنَ اللهِ بِالْقَذْفِ خَارِجَ ظُرُوفِكَ .. صِرَاعَاتُكَ وَمُحَاوَلَاتُكَ لَنْ تُجْدِيَ نَفْعًا بَلْ بِالْعَكْسِ سَتُزِيدُكَ إِعْيَاءً وَإِحْبَاطًا وَفُقْدَانًا لِلْأَمَلِ .. كُلُّ مَا عَلَيْكَ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ تَصْرُخَ مِنْ قَلْبِ ظُرُوفِكَ إِلَى اللهِ حَتّى وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ حَولكَ لَا يَسْمَعُ صُرَاخكَ تَمَامًا كَيُونَان الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ صُرَاخَهُ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ .. لَكِنْ مَا أَرْوَعَ مَا فَعَلَهُ يُونَان «حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلَاتِي» (يُونَ٢: ٧). وَأَنْتَ فِي حَالَةِ الْإِعْيَاءِ هَذِهِ تَأَكَّدْ أَنَّ الْمَسِيحَ جَرَّبَ تِلْكَ الْحَالَةَ وَيَشْعُرُ بِكَ، قَالَ عَنْهُ الرُّوحُ الْقُدُسِ بِالنُّبُوَّةِ فِي مَزْمُور ١٠٢ صَلَاةٌ لِمِسْكِينٍ إِذَا أَعْيَا وَسَكَبَ شَكْوَاهُ قُدَّامَ اللهِ (أنه يشعربك)

كَانَ شَغَفُ قَلْبِ بُولُس «لِأَعْرِفَهُ وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ» (فِيلِبِّي٣: ١٠). وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْفِعْلَ " قَذَفَ "لَهُوَ اخْتِيَارٌ دَقِيقٌ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الْقِيَامَةِ الْقَوِيَّةِ ... فَانْتَظِر يَا صَدِيقِي أَوامرَ اللهِ بِصَبْرٍ، وَالَّتِي سَتَقْذِفُكَ مِنَ الرُّكُودِ وَالْحَيرَةِ وَالتِّيهِ لَيْسَ فِي الْبَحْرِ لِتُكَمِّلَ لِلْبَرِّ سِبَاحَةً، بَلْ لِلْبَرِّ مُبَاشَرَةً، فَتَخْتَبِرُ بِحَقٍّ قُوَّةَ قِيَامَتِهِ.

٦ . خَرَجَ بِالْأَكْفَانِ أَمْ خَرَجَ مِنَ الْأَكْفَانِ؟

مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَفَتَتْ نَظَرِي أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُس لَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْحُوتَ قَذَفَ يُونَان إِلَى الْبَرِّ وَرَأْسُهُ مَلْفُوفٌ بِعُشْبِ الْبَحْرِ .. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّس يَا صَدِيقِي عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ يَقْصِدُ وَعِنْدَمَا يَصْمُتُ فَهُوَ أَيْضًا يَقْصِدُ .. وَفِي ذِكْرِ الْكِتَابِ أَنَّ يُونَان قُذِفَ إِلَى الْبَرِّ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ رَأْسَهُ مَلْفُوفٌ بِعُشْبِ الْبَحْرِ أَرَاهُ يَرْسِمُ صُورَةً بَاهِتَةً وَلَكِنْ جَمِيلَة لِشَخْصِ الْمَسِيحِ، الَّذِي خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ تَارِكًا الْأَكْفَانَ مَوضُوعَة فِي الْقَبْرِ وَالْمِنْدِيلَ مَلْفُوفاً دَاخِلَ الْقَبْرِ.

وَأَرَى يَا صَدِيقِي الْعَجَبَ الْعُجَاب عِنْدَمَا أَتَأَمَّلُ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ وَقِيَامَةَ لِعَازَر مِنَ الْأَمْوَاتِ ... يَقُولُ الْكِتَابُ عَنْ لِعَازَر «فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ

بِمِنْدِيلٍ، فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ» (يُوحَنَّا١١: ٤٤).

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ لِعَازَر خَرَجَ بِالْأَكْفَانِ وَاحْتَاجَ الْأَمْرُ أَنْ يَحُلُّوهُ لِأَنَّهُ كَانَ مَرْبُوطًا، أَمَّا الْمَسِيحُ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْأَكْفَانِ دُوْنَ أَنْ تُحَلَّ وَتَرَكَهَا مَوضُوعَة بِالْقَبْرِ، وَالْمِنْدِيلُ مَلْفُوفٌ؛ فَيَا لَهُ مِنْ شَخْصٍ عَظِيمٍ .. وَرُبَّ سَائِلٍ كَيْفَ خَرَجَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَكْفَانِ وَهِي مَلْفُوفَةٌ دُوْنَ أَنْ تُحَلَّ؟ .. أَقُولُ لَكَ يَا صَدِيقِي إِنَّ الْجَسَدَ الَّذِي قَامَ بِهِ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ جَسَدٌ مُمَجَّدٌ اسْتَطَاعَ أَنْ يَدْخُلَ الْعُلِّيَّةَ عَلَى التَّلَامِيذِ وَالْأَبْوابُ مُغْلَقَة دُوْنَ أَنْ تُفْتَحَ فَلَا عَجَب أَبَدًا أَنْ يَخْرُجَ هَذَا الْجَسَدُ مِنَ الْأَكْفَانِ وَهِيَ مَلْفُوفَةٌ دُوْنَ أَنْ تُحَلَّ .. أَمَّا الْجَسَدُ الَّذِي قَامَ بِهِ لِعَازَر فَهُوَ جَسَدٌ تُرَابِيٌّ.

وَأَتَعَجَّبُ أَيْضًا كُلَّ الْعَجَبِ وَأَنَا أَرَى الْمَسِيحَ صَاعِدًا مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ غَالِبًا قُوَّةً أُخرَى مِنْ أَصْعَبِ الْقُوى وَهِيَ قُوَّةُ الْجَاذِبِيَّةِ الْأَرْضِيَّة .. فَمَا أَرْوَعَ مَا سَطَّرَهُ الْوَحِيُ الْمُقَدَّس فِي سِفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُل١: ١١ «إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» .. وَرُبَّ قَائِلٍ لَيْسَ الْمَسِيح أَوَّل مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَدْ سَبَقَهُ إِيلِيَّا وَأَخْنُوخ .. نَعَمْ يَا صَدِيقِي أَنْتَ مُحِقٌّ لَكِنَّكَ لَمْ تَلْحَظْ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي صَعَدَ بِسُلْطَانِهِ، صَعَدَ كَفَاعِلٍ وَلَيْسَ كَمَفْعُولٍ بِهِ، أَمَّا إِيلِيَّا فَيَذْكُرُ عَنْهُ الْكِتَابُ فِي ٢مُل٢: ١ «وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبُّ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ». وَعَنْ أَخْنُوخ يَذْكُرُ الْكِتَابُ فِي عب١١: ٥ «بِالْإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ ... وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ.»

فَشَخْصٌ لَمْ تَسْتَطِعِ الْأَكْفَانُ أَنْ تَرْبِطَهُ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْقَبْرُ أَنْ يَحْبِسَهُ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْمَوْتُ أَنْ يُمْسِكَهُ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الْجَاذِبِيَّةُ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنَ الِانْطِلَاقِ، أَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تَضَعَ فِيهِ ثِقَتَكَ؟!

٧ . أُسْطُورَةٌ خَيَالِيَّةٌ أَمْ قِصَّة حَقِيقِيَّة؟

يَعْتَبِرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قِصَّةَ يُونَان أُسْطُورَة خَيَالِيَّة وَلَيْسَتْ قِصَّة حَقِيقِيَّة وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى كَوْنِ الْقِصَّة غَرِيبَةً وَنَادِرَةً .. غَرِيبَةٌ فِي مُحْتَوَاهَا وَهُوَ أَنَّ إِنْسَانًا يَبْتَلِعهُ حُوتٌ ثُمَّ يَقْذِفهُ مُرَّةً أُخْرَى دُوْنَ أَنْ يُؤْذِيَهُ .. وَنَادِرَةٌ لِأَنَّنَا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ تَتَّخِذُ مِنْ تِكْرَارِ الْحَدَثِ دَلِيلًا عَلَى وَاقِعِيَّتِهِ وَمِصْدَاقِيَّتِه ، وَلِهَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ يَعْتَبِرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تِلْكَ الْقِصَّة أُسْطُورَة خَيَالِيَّة وَلَيْسَتْ قِصَّة وَاقِعِيَّة. وَأَنَا فِي الْحَقِيقَةِ أَتَّفِقُ مَعَهُمْ فِي أَنَّ قِصَّةَ يُونَان فِعْلًا غَرِيبَةً وَنَادِرَةً (لَمْ تَتَكَرَّر). وَلَكِنِّي لَا أَتَّفِقُ مَعَهُمْ فِي أَنَّهَا أُسْطُورَةٌ خَيَالِيَّةٌ وَاسْتَخْلِصُ مِنْ ذَاتِ السَّبَبَيْنِ السَّابِقَيْنِ الْحُجَّةَ لِكَيْ أُثْبِتَ أَنَّهَا قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ وَلَيْسَتْ أُسْطُورَة.

١ . كَوْنُ هَذِهِ الْقِصَّة غَرِيبَة فَهَذَا شَيْء طَبِيعِيّ جِدًّا لِأَنَّهَا تُصَوِّرُ حَدَثًا غَرِيبًا (فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَلْتَقِطَ صُورَةً لِشَخْصٍ جَالِسٍ رَأْسُهُ إِلَى أَسْفَل وَكَعْبَاهُ إِلَى أَعْلَى حَتْمًا سَتَكُونُ الصُّورَةُ غَرِيبَةً لَيْسَ لِأَنَّهَا أُسْطُورَةً لَكِنْ لِأَنَّهَا تُصَوِّرُ وَضْعًا غَرِيبًا) وَأَنَا شَخْصِيًّا أَرَى أَنَّ دَفْنَ الْمَسِيحِ حَدَثٌ فِي ذَاتِهِ غَرِيبٌ .. إِنَّ شَخْصَ الْمَسِيحِ الَّذِي قَالَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ، وَوَصَفَهُ بُطْرُس بِرَئِيسِ الْحَيَاةِ، نَرَاهُ مَقْتُولًا وَجَسَدَهُ مَلْفُوفٌ بِكَتَّانٍ وَمَوضُوعٌ فِي قَبْرٍ، فَهَذَا حَدَثٌ مَعَ كَوْنِهِ حَقِيقَةٌ مُؤَكَّدَةٌ إِلَّا أَنَّهُ غَرِيبٌ جِدًّا؛ وَعَلَيهِ فَلَا عَجَب أَنْ تَكُونَ صُورَتُهُ أَيْضًا غَرِيبَةً.

٢ . كَوْنُ هَذِهِ الْقِصَّة نَادِرَةً أَوْ لَمْ نَسْمَعْ أَنَّهَا حَدَثَتْ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ آخَرُ عَلَى كَوْنِهَا حَقِيقَةً وَلَيْسَتْ أُسْطُورَة، وَهَذَا لِأَنَّهَا صُورَةٌ لِحَدَثٍ حَدَثَ مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَنْ يَتَكَرَّرَ ... فَدَفْنُ وَقِيَامَةُ الْمَسِيحِ حَدَثٌ حَدَثَ مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَنْ يَتَكَرَّرَ مَرَّةً أُخْرَى .. فَإِنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ مَرَّةً وَاحِدَةً «لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ» (عب٧: ٢٧). وَلَا لِيُقَدِّمَ

نَفْسَهُ مِرَارًا كَثِيرَةً (عب٩: ٢٥). فَبِمَا أَنَّ حَدَثَ الصَّلبِ لَنْ يَتَكَرَّرَ مَرَّةً أُخرَى إِذًا فَحَدَثُ الدَّفْنِ أَيْضًا لَنْ يَتَكَرَّرَ تَبَاعًا لِذَلِكَ .. مَا أَرْوَعَ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ عَنْ نَفْسِهِ « وَالْحَيُّ وَكُنْتُ مَيْتًا وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ » (رُؤ١: ١٨). كَمَا أَنَّ كَوْنَ الْقِصَّةِ فَرِيدَةً وَغَيْرَ مُتَكَرِّرَةٍ يُعْطِينَا مِنْ بَعِيدٍ صُورَةً لِمَا ذَكَرَهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّس مِنْ أَنَّ هَذَا الْقَبْرَ لَمْ يُوضَعْ بِهِ أَحَدًا قَطّ قَبْلَ الْمَسِيحِ وَلِمَا يُؤَكِّدُهُ التَّارِيخِ بِأَنَّهُ لَمْ يُوضَعْ بِهِ أَحَدًا بَعْدَ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، فَهُوَ مَازَالَ فَارِغًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. فَلَا تَنْسَاقُ يَا صَدِيقِي وَرَاء أَرَاءٍ قَدْ تَبْدُو فِي ظَاهِرِهَا مَنْطِقِيَّة، لَكِنْ ابْحَثْهَا وَأُطْلُبْ مِنْ رُوحِ اللهِ أَنْ يَعْطِيَكَ نُورًا فَسَتَكْتَشِفُ أَنَّ أَدِلَّةَ الشَّكِّ هِيَ ذَاتُهَا أَدِلَّةُ الْيَقِينِ، وَأَدِلَّةَ التَّجْرِيحِ هِيَ ذَاتُهَا الَّتِي سَتُشْفِي حِيرَةَ ذِهنِكَ.

٨ . هَارِبٌ لَيْسَ فَقَطْ مِنَ اللهِ بَلْ أَيْضًا مِنْ نَفْسِهِ

رِحْلَةٌ غَرِيبَةٌ حَقًّا لَيْسَتْ مِنْ بَرٍّ إِلَى بَرٍّ (أَي مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى) وَلَكِنَّهَا مِنْ بَرٍّ إِلَى بَحْرٍ. وَحَتَّى يَكُونَ الْكَلَامُ وَاضِحًا وَسَهلَ الْفَهْمِ أَتَكَلَّمُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ عَنْ يُونَان كَإِنْسَانٍ وَلَيْسَ كَرَمْزٍ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِنَتَعَلَّمَ -مِمَّا سَجَّلَهُ الرُّوحُ الْقُدُس عَنْهُ- كَيْفَ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ لَدَيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الآلِيَّاتِ الَّتِي تَسْتَخْدِمُهَا حَتَّى تَهرُبَ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ.

كَانَتْ فِكْرَةُ الطَّرحِ فِي الْبَحْرِ وَالْهرُوبِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَلِيدَةَ عَقْلِ يُونَان نَفْسِهِ وَهَذَا نَلْحَظُهُ مِنْ نَصِّ الآيَاتِ «فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ» (يُونَ١: ٣).

فَقَالَ لَهُمْ :خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنُ الْبَحْرُ عَنْكُمْ (يُونَ١: ١٢) أَي لَمْ يَقْتَرِحْ أَحَدٌ عَلَى يُونَان هَذَا التَّصرُّفَ وَلَمْ يُجْبِرهُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَهُ .. لَكِنى أتعجب كُلَّ الْعَجَبِ وأنا أَسْمَعُ يُونَان يَقُولُ للهِ مِنْ دَاخِلِ جَوْفِ الْحُوتِ «لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ» (يُونَ٢: ٣). «قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ» (يُونَ٢: ٤). عَجِيبًا أَنْ أَسْمَعَهُ يُلْقِي اللَّومَ فِيمَا حَدَثَ لَهُ عَلَى اللهِ وَكَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي طَرَحَهُ فِي الْعُمْقِ، وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي طَلَبَ هَذَا مِنَ الْمَلَّاحِينَ بَلْ وَيَقُولُ

« طُرِدْتُ » بِصِيغَةِ الْمَبْنِي لِلْمَجْهُولِ، وَكَأَنَّهُ يَجْهَل الْفَاعِلَ مُتَنَاسِيًّا أَنَّهُ هُوَ ذَاتُ نَفْسِهِ الْفَاعِلُ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ بِالْهُرُوبِ مِنْ وَجْهِ اللهِ.

وَهُنَا أَرَاهُ لَيْسَ فَقَطْ هَارِبًا مِنَ اللهِ، لَكِنِّي أَرَاهُ أَيْضًا هَارِبًا مِنْ نَفْسِهِ لَا يُرِيدُ مُوَاجَهَتُهَا بِحَقِيقَةِ أَنَّهَا هِيَ الْمُخْطِئَةُ وَأَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِيمَا هُوَ فِيهِ وَلَيْسَ اللهَ .. مَا أَغْرَبَ الْإِنْسَانَ بِحَقٍّ .. وَهُنَا قَفَزَ أَيْضًا إِلَى ذِهْنِي سُؤَالٌ .. هَلْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَلٌّ آخَر لِيَجْعَلَ الْبَحْرَ يَسْكُن؟؟ بِالطَّبْعِ كَانَ هُنَاكَ حَلٌّ هُوَ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ النُّوتِيَّةِ أَنْ يُغَيِّرُوا اتِّجَاهَ السَّفِينَةِ وَيُرْجِعُوهُ إِلَى الْمِينَاءِ لِيَتَّجِهَ إِلَى نِينَوَى .. كَانَ الْحَلُّ فِي تَغْيِيرِ اتِّجَاهِ السَّفِينَةِ (التَّوْبَةُ) لَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا بِهِ إِلَى الْمِينَاءِ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَطْرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ .. فَضَّلَ أَنْ يَتَّجِهَ لِأَسْفَل عَلَى أَنْ يَتَّجِهَ لِلْخَلْفِ وَيُعِيدُ حِسَابَاتِهِ .. فَيَا لِلعَجَبِ مِنْ عَقْلٍ كَهَذَا بَلْ أَقُولُ يَا لَلعَجَبِ مِنْ عُقُولِنَا جَمِيعًا فَهِيَ فِي ذَاتِهَا بِدُوْنِ مُعَامَلَاتِ اللهِ الصَّالِحَةِ وَالْمُصْلِحَةِ . لَا تَفْرِقُ كَثِيرًا عَنْ هَذَا الْعَقْل أَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يُعِينَ عُقُولَنَا وَيَحْفَظَهَا فِي مَشِيئَتِهِ.

٩ . الْمِنْدِيلُ الْمَلْفُوفُ يَتَكَلَّمُ

أَرَى الْعَجَبَ الْعُجَاب وَالرُّوحُ الْقُدُس يَصِفُ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ مِنْ خِلَالِ حَجَرٍ مُدَحْرَج وَمِنْدِيلٍ مَلْفُوف .. وَسَأَلْتُ أَلَمْ يَسْتَطِع الَّذِي دَحْرَجَ هَذَا الْحَجَرَ الضَّخْمَ أَنْ يَحِلَّ هَذَا الْمِنْدِيلَ الصَّغِيرَ .. وَذُهِلْتُ عِنْدَمَا اكْتَشَفْتُ أَنَّ تَرْكَ هَذَا الْمِنْدِيل مَلْفُوفًا كَانَ لِحِكْمَةٍ فَائِقَةٍ وَأَبْعَادٍ آتِيَة ..

- أَرَى مَسِيحًا يُعْلِنُ عَنْ طَبِيعَةِ الْجَسَدِ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَهُوَ لَيْسَ جَسَدٌ عَادِيٌّ بَلْ جَسَد مُمَجَّد .. دَخَلَ الْعُلِّيَّةَ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ، فَلَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْأَكْفَانِ وَهِيَ مَلْفُوفَة

• مَسِيحًا يَنْفِي بِشكلٍ قَاطِعٍ شَائِعَةَ أَنَّ جَسَدَهُ سُرِقَ، لِأَنَّهُ لَوْ سُرِقَ مِنَ الْأَكْفَانِ، فَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَظَلَّ الْأَكْفَانُ مَلْفُوفَةً كَمَا كَانَتْ. وَلَوْ سُرِقَ بِالْأَكْفَانِ، عِنْدَئِذٍ لَنْ تكون الأكفان موجودة أَصْلًا، لَكِنْ وجُود الْأَكْفَانِ مَلْفُوفَة يَنْفِي نِهَائِيًّا شَائِعَةَ سرقةِ الْجَسَدِ.

• أَرَى فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْمِنْدِيلِ وَهُوَ مَلَفُوفٌ مَسِيحًا يُبْطِلُ الْمَوْتَ " يُلْغِي مَفْعُولَهُ " لَكِنَّهُ لَمْ يُنْهِ وجُودَ الْمَوْتِ عَلَى الْأَرْضِ، فَالْمِنْدِيلُ مَازَالَ مَلْفُوفًا لَمْ يُحَلّ .. أَرَى الرُّوحَ الْقُدُس يَرْسِمُ بِإِبْدَاعِ الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ الرَّسُولُ بُولُس صَرَاحَةً " آخِرُ عَدُوٍّ يَبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ " وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ هُنَا أَنَّ كَلِمَةَ يُبْطَلُ الثَّانِية تَعْنِي " يُدَمَّر " لَكِنْ يُبْطَلُ الْأُولَى تَعْنِي " يُلْغَى مَفْعُولَهُ ."نَعَمْ فَقَدْ أَبْطَلَ الْمَسِيحُ الْعَدُوَّ لَكِنْ لَمْ يُنْهِ وجُودَهُ بَعْدُ .. لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ الْوَقْتُ الَّذِي وَصَفَ فِيهِ يُوحَنَّا الْحَالَةَ الْأَبَدِيَّةَ فِي سِفْرِ الرُّؤيَا بِالْقَولِ «وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِيمَا بَعْدُ» فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَقَطْ عِنْدَمَا يُرْبَطُ الشَّيطَان (ذَلِكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ)وَيُلْقَى فِي الْجَحِيمِ وَقْتَهَا سَتَنْحَلُّ الْأَكْفَان الَّتِي قَالَ عَنْهَا الْكِتَابُ مَلْفُوفَة وَمَوضُوعَة، وَيُطْرَحُ الْمَوْتَ وَالْهَاوِيَةَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ وَيَتَمُّ كَلَام الْكِتَابِ وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِيمَا بَعْدُ.

• وَفِي كَلَامِ الْكِتَابِ « وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوضُوعًا مَعَ الْأَكْفَانِ بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوْضِعٍ وَحَدَهُ » أَرَى ظِلَالًا بَاهِتَةً لِفِكْرَةِ الرَّأْس (الْمَسِيح)وَالْجَسَد (الكنيسة) الْمَائِتِه مَعَ الْمَسِيحِ .. أَرَى الرَّأْسَ فِي مَوْضِعٍ وَحَدَهُ عِنْدَمَا دَخَلَ السَّمَاءَ كَسَابِقٍ لَنَا، لَكِنْ قَرِيبًا سَتَتِمُّ فِعْلِيًّا الْمَرْحَلَةُ الْأَخِيرة مِنَ الْفِدَاءِ، فِدَاءُ أَجْسَادِنَا، وَيَأْتِي الرَّأْسُ لِيَأْخُذَ الْجَسَدَ فِي الزِّفَافِ الْعَظِيمِ .. بِالصِّدقِ أَرَى كِتَابًا مُعْجِزٍ بِكُلِّ الْمَقَايِيسِ. أَرَى صُورًا نَاطِقَةً وَتَرَابُطًا يفُوقُ **الْإِدْرَاك.!!!!**

١٠. الْيَقْطِينَة بَيْنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمُعَامَلَاتِ

اغْتَاظَ وَكُنْتُ أَتَوقَّعُهُ سَيَفْرَحُ .. مَدِينَةٌ بِأَكْمَلِهَا خَلُصَتْ فَإِذَا بِهِ يَغْتَمُّ غَمًّا شَدِيدًا، وَيَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ لِأَنَّ مَوْتَهُ خَيْرًا مِنْ حَيَاتِهِ .. قَبْلَ أَنْ يُتَمِمّ الْمُهِمَّةَ الْمُكَلَّف بِهَا أَرَادَ

أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ نَفْسِهِ فَإِذَا بِاللهِ يَعِدُّ حُوتًا لِيُنْقِذَهُ وَيَحْفَظَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتِ .. وَبَعْدَ أَنْ تَمَّمَ الْمُهِمَّةَ تَعَلَّمَ الدَّرْسَ وَأَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ نَفْسِهِ بِإِرَادَتِهِ، فَطَلَبَ مِنَ اللهِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ لَكِنَّ اللهَ لَمْ يَسْتَجِبْ .. عَجِبْتُ لِرَدِّ الْفِعْلِ الْإِلَهِيّ .. فَهَا قَدْ تَمَّتْ الْمُهِمَّةُ وَحَقَّقَ اللهُ غَرَضَهُ فَلِمَاذَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِيُونَان؟ .. وَأَدْرَكْتُ أَنَّ اللهَ يُقَدِّرُ جِدًّا إِنْسَانِيَّتَنَا .. فَهُوَ لَا يَتَعَامَلُ مَعَنَا كَأَدَوَاتٍ جَامِدَةٍ يُلْقِيهَا بَعْدَ اسْتِخْدَامِهَا، لَكِنْ كَكَائِنَاتٍ حَيَّةٍ عَاقِلَةٍ يَشْفِقُ عَلَيْهَا فِي حَيرَتِهَا وَيُرِيدُ أَنْ يُحَوِّلَ غَمَّهَا إِلَى فَرَحٍ .. وَلِهَذَا قَالَ اللهُ لِيُونَان هَلْ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟ .. لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الْغَمَّ الْكَثِيفَ لَمْ يُمَكِّنْ يُونَان مِنْ سَمَاعِ السُّؤَالِ؛ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ دُوْنَ أَنْ يُعْطِي الرَّبَّ جَوَابًا ..

هُنَا تَوقَّفَ الرَّبُّ عَنِ الْحَدِيثِ وَتَرَكَ الْيَقْطِينَةَ تَتَعَامَلُ .. أَعَدَّ اللهُ يَقْطِينَةً نَمَتْ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ وَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ وَكَانَتْ ظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ؛ فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا .. لَكِنْ فِي الْغَدِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ، ثُمَّ أَعَدَّ رِيحًا حَارَّةً فَضَرَبَتْ الشَّمْسُ رَأْسَ يُونَانَ فَذَبُلَ .. يَا فَرْحَةَ مَا تَمَّتْ .. حَالَةٌ صَعْبَةٌ مِنَ التَّقَلُّبِ الْمَزَاجِي السَّرِيعِ مِنْ غَمٍّ شَدِيدٍ إِلَى فَرَحٍ عَظِيمٍ ثُمَّ إِلَى ذُبُولٍ .. حَالَةٌ مِنَ الصِّرَاعِ الْفِكْرِيِّ الْعَنِيفِ نَتِيجَةً لِغُمُوضِ الْفِكْرِ الْإِلَهِيّ، فَاللهُ هُوَ الَّذِي أَنْمَى الْيَقْطِينَةَ، وَاللهُ هُوَ الَّذِي يَبَّسَهَا، هُوَ الَّذِي أَعَدَّ الْيَقْطِينَةَ وَهُوَ الَّذِي أَعَدَّ الدُّودَةَ الَّتِي أَكَلَتْهَا .. صَدِيقِي هَذِهِ الْحَالَةُ الْمَزَاجِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ الْمُعَقَّدَةُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيهَا يونان بِفِعْلِ هَذِهِ الْيَقْطِينَةُ هِيَ الَّتِي هَيَّأَتْ قَلْبَهُ وَفِكْرَهُ وَآذَانَهُ لِكَيْ يَتَجَاوَبَ مَعَ اللهِ عِنْدَمَا طُرِحَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ ثَانِيَةً هَلْ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟ فَأَجَابَ اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ .. وَمِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ اسْتَأْنَفَ اللهُ الْحَدِيثَ وَقَالَ لَهُ بِبَسَاطَةٍ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ أَشْفَقْتَ عَلَى نَبَاتٍ أَفَلَا أُشْفِقُ أَنَا عَلَى مَدِينَةٍ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ وَبَهَائِم كَثِيرَة ..عِنْدَمَا فَرِحَ يُونَانُ بِالْيَقْطِينَةِ فِي ذَاتِهَا تَعَثَّرَ فِي فَهْمِ اللهِ .. صَدِيقِي إِذَا فَرِحْتَ بِالْيَقْطِينَةِ الَّتِي فِي حَيَاتِكَ وَنَظَرْتَ لَهَا فِي ذَاتِهَا عَلَى أَنَّهَا مَقَاصِدٌ إِلَهِيَّة لَابُدَّ أَنْ

تَتِمَّ، سَتَتَعَثَّرُ عِنْدَمَا تَيبَسُ الْيَقْطِينَةُ، لَكِنْ إِذَا نَظَرْتَ لَهَا عَلَى أَنَّهَا مُعَامَلَاتٌ إِلَهِيَّة سَيَزُول الْغُمُوضُ.

١١. الْحُوتُ التّجْرِبَة الْمُتَحرّكَة

لِمَاذَا لَمْ يُحْدِثْ اللّٰهُ عُطلًا فِي السَّفِينَةِ الذَّاهِبَةِ إِلَى تَرْشِيشَ الَّتِي اسْتَقَلَّهَا يُونَان هَرَبًا؟ لِمَاذَا لَمْ يَجْعَلْ سِعْرَ التَّذْكَرَةِ لَيْسَ فِي مُتَنَاوِلِ يَدِهِ؟ لِمَاذَا لَمْ يُغَيِّرْ مَوعِدَ السَّفِينَةِ حَتَّى يَجِدَهَا يُونَان وَقَدْ تَحرَّكَتْ عِنْدَمَا يَصِلُ لِلْمِيَنَاءِ؟ فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّنَا أَنْ نَسْأَلَ هَذِهِ الْأَسْئِلَةَ لِأَنَّ عُقُولَنَا أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تُدرِكَ كُلَّ الْأَبْعَادِ، وَلِأَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُطْلَقُ السُّلْطَانِ فِي اخْتِيَارِ طَرِيقَةِ وَمَوعِدِ تَدَخُّلِهِ فِي الظُّرُوفِ، دُوْنَ أَنْ يَكُونَ مُلْزَمًا بِأَنْ يُجِيبَ عَلَى أَسْئِلَتِنَا، لِأَنَّ حِكْمَتَهُ فَوْقَ الْفَحْصِ. أَقُولُ كَانَ يُونَانُ شَدِيدَ الْعِنَادِ.. صَلِبَ الرَّأْيِ.. لَا يَلِين.. عِنْدَمَا وُضِعَ فِي اخْتِيَارِ أَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ عِنَادِهِ أَوْ أَنْ يَمُوتَ رَمْيًا فِي الْبَحْرِ، اخْتَارَ أَنْ يَمُوتَ!!.. فَهَلْ شَخْصٌ لَمْ يُثْنِ الْمَوْتُ عِنَادَهُ كَانَ تَعْطِيلُ السَّفِينَةِ سَيَجْعَلُهُ يُرَاجِعُ نَفْسَهُ وَيُغَيِّرُ رَأْيَهُ؟ صَدِيقِي، إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِدَوَاخِلِ نُفُوسِنَا... بِطَبِيعَةِ عُقُولِنَا... بِصَلَابَةِ رُؤُوسِنَا... بِدَرَجَةِ لِيُونَتِنَا... وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ آخَر سَوفَ يُثْنِي يُونَانَ عَنْ عِنَادِهِ إِلَّا الْحُوت.

عِنْدَمَا كَانَ يُونَانُ عَلَى الْبَرِّ فِي مَكَانٍ مَفْتُوحٍ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَجرِيَ يَمِينًا وَيَسَارًا هَرَبًا مِنَ التَّكْلِيفِ الْإِلَهِيِّ؛ لِهَذَا رَأَى اللّٰهُ فِي حِكْمَتِهِ أَنَّ الْحُوْتَ -ذَلِكَ الْمَكَان الْمُغْلَق ذَا الْمَنْفَذ الْوَاحِد وَالْمُغْلَق أَيْضًا- هُوَ الْمَكَانُ الْمُنَاسِب الَّذِي مِنْهُ سَيُمَارِسُ اللّٰهُ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ ضُغُوطًا بِدَرَجَاتٍ مَحْسُوبَةٍ عَلَى يُونَان لِيُلَيِّنَ إِرَادَتَهُ. صَدِيقِي عِنْدَمَا تَجِدُ نَفْسَكَ مَحْصُورًا فِي ظُرُوفٍ مُغْلَقَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْاتِّجَاهَاتِ وَالْبَابُ الْوَحِيدُ مُغْلَقٌ أَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ بِسُلْطَانِهِ يُمَارِسُ ضُغُوطًا عَلَيْكَ لِيُلَيِّنَ إِرَادَتَكَ فِي أَمْرٍ مَا.. وَلَا تَحْسِب هَذَا الْوَقْتَ ضَائِعًا. فَقَدْ كَانَ الْحُوْتُ افْتِدَاءً لِلْوَقْتِ.. افْتَدَى اللّٰهُ وَقْتَ يُونَان وَلَمْ يَتْرُكْهُ يُكَمِّل فِي طَرِيقِهِ الْخَاطِئِ إِلَى تَرْشِيشَ، وَمِنْ ثَمَّ، قَطَعَ رِحْلَتَهُ

إِلَيهَا حَتَّى لَا يُهْدَر مَزِيدًا مِنَ الْوَقْتِ.. نَعَمْ، أَمَانَةُ اللهِ لَنْ تَترُكَنَا نُكَمِّل فِي الطَّرِيقِ الْخَطَأ. كَمَا كَانَ الْحُوتُ أَيْضًا اسْتِثمَارًا لِلْوَقْتِ، فَفِيهِ تَعَلَّمَ يُونَانُ الصَّلَاةَ وَالطَّاعَةَ وَهُنَاكَ لَانَتْ إِرَادتهُ.. فلَا تَقْلَق يَا صَدِيقِي فَإِنَّ الظُّرُوفَ الَّتِي تَضْغَطُكَ تَحْمِلُكَ وَتَنْقُلُكَ أَيْضًا.. الظُّرُوفُ الضَّاغِطَةُ سَتَتحَرَّكُ بِكَ.. فَقَدْ أَخَذَ الْحُوتُ يُونَانَ مِنْ وَسَطِ الْبَحْرِ وَقَذَفَهُ إِلَى الْبَرِّ.. عَقِبَ رِحْلَةِ الظُّرُوفِ الضَّاغِطَةِ تَأَكَّد أَنَّكَ سَتَجِدُ نَفْسَكَ فِي نُقْطَةٍ أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا..

أَخِيرًا صَارَعَ اللهُ يَعْقُوب صِرَاعًا مُبَاشِرًا لِمُدَّةِ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ يَجْعَلَهُ يَتَنَازل عَنْ ذَكَائِهِ الْبَشَرِيِّ، وَخَرَجَ يَعْقُوب مِنَ الصِّرَاعِ مَخْلُوع حُقّ الْفَخْذِ.. وَصَارَعَ اللهُ يُونَانَ صِرَاعًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ مِنْ خِلَالِ الْحُوتِ لِمُدَّةِ ٣ لَيَالٍ، لِكَيْ يَجْعَلَهُ يَتَنَازَل عَنْ عِنَادِهِ، وَلَكِنَّ يُونَان خَرَجَ سَلِيمَ السَّاقِ، لِأَنَّ اللهَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ يُونَان سَيَسِيرُ إِلَى وِينَوَى مستخدماً سَاقَيهُ.. فَيَا لَهُ مِنْ إِلهٍ حَكِيمٍ.

نَعَمْ، كَانَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَقَطْ، لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَرَكَتْ فِي يُونَانَ أَثَرًا أَمْتَدَّ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ... (كَانَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ لَا تُنْسَى).

رَجُلٌ يُحَقِّقُ الْانْتِصَارَ بِمَصَابِيحٍ وَجِرَارٍ

إِنَّ نَظْرَتَنَا لِلْأُمُورِ الَّتِي حَولنَا وَقِرَاءَتَنَا لَهَا هِيَ الَّتِي تُشَكِّلُ رُدُود أَفْعَالِنَا وَتَصرُّفَاتنَا وَحَالَة قَلْبِنَا. فَفِي سِفْرِ الْقُضَاةِ الْإِصْحَاح السَّادِس يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ عَنْ شَعْبٍ اسْمُهُ مِدْيَان، شَعْبٌ مَوصُوفٌ بِأَنَّهُ كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ، وَهَذِه هِيَ الرُّؤيَةُ الْعَيَانِيَّة لِهَذَا الشَّعْب وَالَّتِي عِنْدَمَا رَآهَا شَعْبُ اللهِ هَرَبَ مِنْ مِدْيَان وَاخْتَبَئ دَاخِلَ الْكُهُوف. لَكِنْ هُنَاكَ رُؤيَةٌ أُخرَى إِيمَانِيَّةٌ أَرَاهَا اللهُ لِجِدْعَون عِنْدَمَا قَالَ لَهُ فِي قُضَاة٦: ١٦ « سَتَضْرِبُ الْمِدْيَانِيِّينَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ » فَاللهُ رَأَى الْمِدْيَانِيِّينَ رَجُلًا وَاحِدًا. هَلْ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي الْفَرقَ بَيْنَ الرُّؤيَتَيْن (الْجَرَادُ فِي الْكَثْرَةِ، وَرَجُلٌ وَاحِدٌ). اللهُ لَمْ يَحْسِبْ الْمِدْيَانِيِّينَ بِعَدَدِ الرُّؤوسِ، وَلَكِنْ بِرَدِّ فِعْلِهِمْ حَالَ سَمَاعِ صَوتِ الْأَبْوَاقِ، فَجَمِيعُهُمْ حَال سَمَاعِ الْأَبْوَاقِ وَكَسْرِ الْجِرَار، جَرُوا وَكَأَنَّهُمْ رَجُلٍ وَاحِدٍ. وَلِلتَّوضِيحِ أَقُولُ: لَوْ وَضعنَا رَجُلًا وَاحِدًا فِي غُرْفَةٍ، وَقُمْنَا بِإِدْخَالِ أَسَدٍ إِلَى تِلْكَ الْغُرْفَة، فَإِنَّهُ سَيَصْرُخُ خَوفًا، وَمِنْ ثَمَّ، سَيجْرِي هَرَبًا. وَلَوْ وَضعنَا ١٠٠٠ رَجُلٍ فِي ذَاتِ الْغُرْفَة، وَأَدْخلنَا ذَاتَ الْأَسَدِ، فَإِنَّهُمْ سَيصْرُخُونَ خَوفًا، وَسَيُحَاولُونَ الْهَرَب، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ لِلْأَلْفِ نَفْس رَدِّ الْفِعْلِ الَّذِي للوَاحِدِ؛ إِذًا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الأَلْفَ رَجُلٍ هربوا كَرَجُلٍ وَاحِدٍ.

عِنْدَمَا رَأَى شَعْبُ اللهِ الْمِدْيَانِيِّينَ كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ خَافُوا وَهَرَبُوا. وَعِنْدَمَا فَتَحَ اللهُ عَينَ جِدْعَون لِيَرَاهُمْ بِالْإِيمَانِ رَجُلًا وَاحِدًا تَشَجَّعَ وَحَارَبَهُمْ، لِأَنَّهُ صَدَّقَ رُؤيَةَ اللهِ أَكْثَر مِنَ الْوَاقِعِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَكَّدَ اللهُ لَهُ هَذِه الرُّؤيَة. يَا صَدِيقِي كَيْفَ تَرَى الْأَحْدَاثَ، بِعَينِكَ أَمْ بِعَين اللهِ؟؟ اللهُ لَهُ نَظْرَةٌ أُخرَى لِوَاقِعِكَ تَخْتَلِفُ عَنْ نَظْرَتِكَ، فَأَيُّ النَّظْرَتَيْن تُصَدِّقُ؟؟

If you want to see good Try to see with eye of GOD

عَمِلنَا لِأَنْفُسِنَا الْمَغَايِرَ وَالْكُهُوف

لِنَذْهَبَ وَنَخْتَبِئَ بِهَا مِنْ وَجْهِ الْغِلُوف

مِدْيَان صَعَدَ عَلَيْنَا وَاعْتَزَّتْ الْكِفُوف

شَعْبٌ فِي الْكَثْرَةِ بِالْجَرَادِ مَوصُوف

يُدَمِّرُ الْأَرْضَ وَيَتْرُكُ الثَّمَرَ مَتْلُوف

قُوتُ الْحَيَاةِ لَمْ يَبْقَ وَخَلَتْ الرِّفُوف

صَوتُ الْغِنَاءِ رَاحَ وَصَمَتَتْ الدِّفُوف

وَرَائِحَةُ الْخَرَابِ بَدَأَتْ تُزْكِمُ الْأُنُوف

فَأَيْنَ الْمَوْلَى ... رَبّ الْعَرشِ الْمَخُوف

أَيْنَ مَنْ شَقَّ قَدِيمًا بَحْرَ سُوف

وَجَعَلَ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ طَرِيقًا مَرْصُوف

أَيْنَ الْعَجَائِبَ ... أَيْنَ غَيْر الْمَأْلُوف

لِمَاذَا تَرَكْتَنَا ... لِمَاذَا غَادرْتَ الصُّفُوف

لِمَاذَا لَمْ تَبْقَ بَيْنَنَا .... فَتَحْتَرِمُنَا الْأَلُوف

تَحَنَّن عَلَيْنَا وَأَصْنَعْ مَعَنَا مَعْرُوف

أَخْطَئْنَا ... إِذْ فَعَلنَا الشَّرَّ وَلَمْ نَعُوف

سَامِحنَا ... أَنْتَ رَبٌّ رَحِيمٌ وَرَؤُوف

فَقَدْ تُبْنَا وَعَزفْنَا عَنِ الشَّرِّ عِزُوف

فأَرْسِلْ الْمُخَلِّصَ مِنْ تِلْكَ الظُّرُوف

فَنَظَرَ إِلَيهُمْ صَاحِبُ الْقَلْبِ الْعَطُوف

وَأَقَامَ لَهُمْ رَجُلاً بِخَبْطِ الْحِنْطَةِ شَغُوف

مُخْتَبِئٌ فِي الْمَعْصَرَةِ وَغَيْرُ مَكْشُوف

قَالَ هَيَّا خَلِّص شَعْبِي الْمُحَاصَر الْمَكْتُوف

مِنْ كَفِّ مِدْيَان فَقَدْ حَقّقتَ الْمَهْدُوف

أَجَابَهُ إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ الْكَلَامِ وَالْحِرُوف

فَحَقّقنِي مِنْكَ كَيْ أَغْلِبَ صِغَرِي وَالْخُوف

وَأَبْقَ هُهُنَا حَتَّى أَعْمَلَ الْجِدْيَ وَالْخَرُوف

فَبَقِي وَأَكَّدَ لَهُ بِنَارٍ وَأَيْضًا بِجَزَّةِ الصُّوف

وَلَكِنْ كَيْفَ النَّصْرُ بِدُوْنِ أَسْلِحَةٍ أَوْ سِيُوف

أَجَابَهُ بِجِرَارٍ بِدَاخِلِهَا مَصَابِيحٌ فِي الْجُوف

تَكْسِرُوهَا مَعًا فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّن الْمَعْرُوف

لَابُدَّ أَنْ تَكْسِرُوهَا فَلِلنَّصْرِ ثَمَنٌ وَمَصْرُوف

والصَّلِيبُ أَسَاسٌ، سَحَقَ خِصْمًا يَجُولُ وَيَطُوف

يَنْزَعِجُ الْعَدُوُّ أَمَامَهُ وَيَهْرُبُ مَرْجُوف

عَمِلَ كَلَامَ الرَّبِّ بِقَلْبٍ حَارٍّ وَمَلْهُوف

ذَهَبَ بِالْبُكَاءِ وَعَادَ بِالنَّصْرِ مَزْفُوف

دَحَرَ الْعَدُوَّ وَمَسَحَ الدَّمَعَ الْمَذْرُوف

رَفَعَ رَأْسَ الشَّعْبِ بَعْدَ الذُّلِ وَالْكِسُوف

أَطَاعَ فَأَعَادَ الْمَجْدَ الْمَسْلُوبَ وَالْمَخْطُوف

أَطَاعَ فَحَقَّقَ نَصْرًا مُسَجَّلٌ فِي الْكِشُوف.

مُصَارَعَةُ الْمُحْتَرِفِينَ وَشِفَاءُ الْمَرْأَةِ النَّازِفَةِ

هُزَالٌ وَضَعْفٌ مُزْمِنٌ .. مُحَاوَلَاتٌ مُتَكَرِّرَةٌ لِلْعِلَاجِ (أَطِبَّاءُ كَثِيرِينَ) انْتَهَتْ بِصَدَمَاتٍ وَيَأْسٍ، آلَامٌ نَفْسِيَّةٌ (نَجِسَةٌ طِبْقًا لِنَامُوسِ مُوسَى)، آلَامٌ جَسَدِيَّةٌ (تَأَلَّمْتُ كَثِيرًا)، فَشَلٌ اجْتِمَاعِيٌّ (لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَتَوَاصَلَ مَعَ أَحَدٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ أَوْ شَخْصٍ تَلْمَسُهُ تُنَجِّسُهُ)، نَزِيفٌ مَادِيّ (أَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا)، إِحْبَاطٌ (لَمْ تَنْتَفِعْ شَيْئًا)، تَدَهوُرٌ (صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ)، شُحُوبٌ وَوَهَنٌ ازْدَادَ تَدْرِيجِيًّا عَلَى مَدَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَلِكَيْ تَتَخَيَّلُوا مَعِي حَجْمَ هَذَا الْوَهَنِ الَّذِي وَصَلَتْ إِلَيْهِ سَأَذْكُرُ فَقَطْ مَا ذَكَرَهُ الْكِتَابُ مِنْ أَوْصَافٍ لِهَذَا النَّزِيفِ فَكَلِمَةُ «نَزِيف» جَاءَتْ فِي التَّرْجَمَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ flux أَيّ تَدَفُق. وَيَسْتَخْدِمُ الْكِتَابُ كَلِمَةَ يَنْبُوع لِوَصْفِ هَذَا النَّزِيفِ، وَقَدْ جَاءَتْ فِي التَّرْجَمَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ fountain أَي نَافُورة& نَافُورَةُ دَمٍ تَتَدَفَّقُ عَلَى مَدَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فَهَلْ مَازَالَ فِيهَا قُوَّة؟؟ حَلَبَةُ حَيَاتِهَا امْتَلَأَتْ دَمًا .. أَرْضِيَّةُ الْحَلَبَةِ صُبِغَتْ بِاللَّونِ الْأَحْمَر .. لَكَمَاتُ الْمَرَضِ شَوَّهَتْهَا وَرَكَلَاتُ الْحَيَاةِ الْقَاسِيَةِ طَوَّحَتْهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَفْقِدَ الْاتِّزَانَ .. لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ مُتَرَنِّحَةً عَلَى الْأَرْضِ لِيُعْلِنَ الْمَرَضُ انْتِصَارَهُ سَمِعَتْ عَنْ يَسُوع وَمَا أَنْ سَمِعَتْ عَنْهُ حَتَّى وَثَقَتْ فِي قُدْرَتِه عَلَى إِنْهَاءِ هَذِهِ الْأَزْمَةِ .. آمَنَتْ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ عَنْ بَاقِي الْأَطِبَّاءِ وَبَدَأَ الْإِيمَانُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ فِي دَاخِلِهَا وَيُحَفِّزُهَا وَيَضَعُ مِنْ جَدِيدٍ بِذُورَ الْأَمَلِ؛ فَقَرَّرَتْ أَنْ تَذْهَبَ وَتَلْمِسَ هُدْبَ ثَوْبِه .. لَكِنْ طَرِيقَ الْإِيمَانِ لَمْ يَكُنْ سَهلًا .. فقد كَانَ حَولَ الْمَسِيحِ جَمْعٌ يَزْحَمُهُ (يُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ أَوْ يَضْغُطُونَ عَلَيْه). فَكَيْفَ لِامْرَأَةٍ بِهَذَا الْقَدرِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهَنِ أَنْ تَزِيحَ هَذِهِ الْكُتَلَ الْمُتَلَاحِمَةَ وَهَذِهِ الْأَجْسَامَ الثَّقِيلَةَ لِتَلْمِسَ هُدْبَ ثَوْبِه؟ .. كَمَا أَنَّهُ أَيْضًا حَتْمًا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْجُمُوعُ صَامِتَةً فَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ كَانَتْ هُنَاكَ ضَجَّةٌ وَصَخَبٌ. كُلٌّ لَهُ رَأْيٌ وَحَتْمًا هُنَاكَ آرَاءٌ مُشَجِّعَةٌ وَهُنَاكَ آرَاءٌ مُشَكِكَةٌ، فَهَلْ سَيَصْمُدُ إِيمَانُهَا أَمَامَ هجُومِ الْأَفْكَارِ وَالْأَصْوَاتِ عَلَى ذِهنِهَا مِنْ كُلِّ اتِّجَاه، بِمَا لِلنَّزِيفِ مِنْ تَأْثِيرٍ عَلَى الدَّورَةِ الدَّمَوِيَّةِ الدِّمَاغِيَّة (يُضْعِفُ التَّرْكِيزَ)؟ ..

وَهُنَا يَا صَدِيقِي أَرَى قُوَّةَ إِيمَانِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، لَقَدْ اسْتَطَاعَتْ بِإِيمَانِهَا وَثِقَتِهَا فِي الْمَسِيحِ أَنْ تُزِيحَ هَذِهِ الْكُتَلَ الْبَشَرِيَّةَ وَتَخْتَرِقَهَا لِتَصِلَ لِلْمَسِيحِ، كَمَا اسْتَطَاعَتْ أَيْضًا أَنْ تُخْمِدَ تَأْثِيرَ الْآرَاءِ وَالْأَصْوَاتِ السَّلْبِيَّةِ الْمُتَنَاثِرَةِ حَتَّى لَا تَخْتَرِقَهَا وَتُفَكِّكَ إِيمَانَهَا وَتُبَعْثِرَهُ .. كَانَتْ امْرَأَةٌ عَظِيمَةٌ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَخْتَرِقَ الْجُمُوعَ لَكِنَّ الْجُمُوعَ لَمْ تَسْتَطِعْ بِضَجِيجِهَا أَنْ تَخْتَرِقَهَا. وَمَا أَنْ وَصَلَتْ حَتَّى لَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، وَكَأَنَّهَا كَمَا فِي حَلَبَاتِ الْمَصَارَعَةِ الْحُرَّةِ عِنْدَمَا يَلْمِسُ الْمُصَارِعُ زَمِيلَهُ لَمْسَةً يُعْلِنُ فِيهَا رَغْبَتَهُ فِي تَولِّي الصِّرَاعَ بَدَلًا مِنْهُ .وَبِالْفِعْلِ تَولَّى الْمَسِيحُ بِقُوتِهِ الصِّرَاعَ فَقَدْ دَخَلَ بِتِلْكَ اللَّمْسَةِ الْإِيمَانِيَّةِ إِلَى حَلَبَةِ الْمُصَارَعَةِ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ قُوَّةً تَدَفَّقَتْ فِي كِيَانِهَا وَهَزَمَتْ الْمَرَضَ وَثَبَّتَتْ أَكْتَافَهُ. فَجَفَّ فِي الْحَالِ يَنْبُوعَ دَمِهَا .. لَقَدْ فَهِمَتْ أَنَّ الْحَلَّ لَيْسَ فِي تِكْرَارِ الْمُحَاوَلَةِ بَلْ فِي التَّسْلِيمِ لِلْمُصَارِعِ الْعَظِيمِ، الْمُصَارِعِ الْقَدِيمِ، مُصَارِعُ مَخَاضَةِ يَبُّوقَ، فَيَا لَهَا مِنْ مُصَارَعَةٍ إِيمَانِيَّةٍ مُمْتِعَةٍ، وَيَا لَهَا مِنْ مُصَارِعَةٍ تِكْتِيكِيَةٍ مُحْتَرِفَةٍ، لِأَنَّهَا قَالَتْ إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ.

وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَخْتِمَ دُونَ أَنْ أَذْكُرَ أَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ فَرِيقَيْنِ .. فَرِيقٌ قَرِيبٌ يُضَيِّقُ عَلَى الْمَسِيحِ (يَضْغَطُ عَلَيْهِ). وَامْرَأَةٌ بَعِيدَةٌ اقْتَرَبَتْ فَقَطْ لِتَلْمِسَ هُدْبَ ثَوْبِهِ .. لَكِنَّ الَّذِي أَثَارَ دَهْشَتِي أَنَّ الْبَعِيدَ الَّذِي اقْتَرَبَ وَلَمَسَ لَمْسَةً خَفِيفَةً سَحَبَ قُوَّةً مِنَ الْمَسِيحِ، وَالْقَرِيبُ الَّذِي كَانَ يُزَاحِمُ وَيَضْغَطُ بِقُوَّةٍ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى شَيْءٍ. وَهُنَا أَتَوقَّفُ وَقْفَةً هَامَّةً لِأَقُولَ إِنَّ السِّرَّ لَيْسَ فِي قُوَّةِ التَّوَاصُلِ الْمَادِيِّ، لَكِنْ فِي عُمْقِ الْإِيمَانِ .. فَلَمْ يَقُلْ الْمَسِيحُ لِلْمَرْأَةِ لَمْسَتُكِ قَدْ شَفَتكِ لَكِنَّهُ قَالَ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ .. وَأَرَى الْيَوْمَ يَا صَدِيقِي أُنَاسًا يُضَيِّقُونَ وَيَزْحِمُونَ وَيَضْغَطُونَ وَيُكَثِّفُونَ الصَّلَوَاتِ وَالْأَصْوَامَ وَالطُّقُوسَ دُونَ قُوَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ فِي النُّفُوسِ .. يَا صَدِيقِي، لَمْسَةٌ خَفِيفَةٌ بِإِيمَانٍ خَيْرٌ مِنْ ضَغْطَةٍ ثَقِيلَةٍ بِدُونِ إِيمَانٍ .. لَمْسَةٌ بِإِيمَانٍ حَوَّلَتْ الضَّعْفَ إِلَى قُوَّةٍ عِنْدَمَا اسْتَقْبَلَتْ قُوَّةً مِنَ الْمَسِيحِ (شَاعِرًا فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ)، حَوَّلَتْ الصِّرَاعَ إِلَى سَلَامٍ (اذْهَبِي بِسَلَامٍ) حَوَّلَتْ الْحَالَةَ الْمَرَضِيَّةَ إِلَى حَالَةٍ صَحِيحَةٍ (كُونِي صَحِيحَةً مِنْ

دَائِكِ). وَاللّٰهُ يَا صَدِيقِي مَازَالَ يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً وَلِعَدِيمِ الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً.

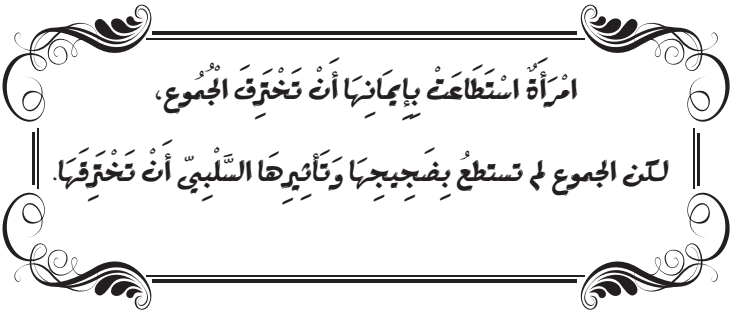

الْكَنِيسَة وَعَقَارِبُ السَّاعَةِ

قَدْ يَبْدُو الْعُنْوانُ غَرِيبًا لَكِنَّهُ مُعَبِّرٌ لِلْغَايَةِ عَنْ حَالَةٍ سَيئة جِدًّا وَفَاتِرَةٍ جِدًّا وَصَلَتْ إِلَيهَا الْكَنِيسَةُ. تَخَيّل مَعِي يَا صَدِيقِي هَذَا الْحِوار:.

- **عَقْرَبُ الدَّقَائِقِ لِعَقْرَبِ السَّاعَاتِ:** أَرَاكَ قَصِيرًا وَعَاجِزًا عَنِ الْوصُولِ لِلْأَرقَامِ، وَأَرَى نَفْسِي طَوِيلًا مَمشُوقًا.

- **عَقْرَبُ السَّاعَاتِ لِعَقْرَبِ الدَّقَائِقِ:** الْقِيمَةُ لَيْسَتْ بِالْقِصَرِ أَوْ الطُّولِ، وَإِنَّمَا الْوَظِيفَةِ فَأَنَا أُشِيرُ إِلَى السَّاعَاتِ لِأُحَدِّدهَا ، إِنَّمَا أَنْتَ تُشِيرُ إِلَى الدَّقَائِقِ.

- **عَقْرَبُ الدَّقَائِقِ لِعَقْرَبِ السَّاعَاتِ:** أَنْت لَا تَسْتَوعِبُ الْأَمرَ كَمَا يَجِب. فَأَنَا أُشِيرُ إِلَىالتَّفَاصِيلِ وَالدَّقَائِقِ. وَنَظْرَتِي عَمِيقَةٌ وَتَفْصِيلِيَّةٌ وَلَيْسَتْ عَامَّة وَسَطْحِيَّة.

- **عَقْرَبُ الثَّوانِي لِعَقْرَبِ الدَّقَائِقِ:** إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَنَا أَكْثَرُ تَفْصِيلًا مِنْكَ وَنَظْرَتِي أَكْثَرُ دِقَّةٍ مِنْ نَظْرَتِكَ.

- **عَقْرَبُ الدَّقَائِقِ لِعَقْرَبِ الثَّوانِي سَاخِرًا:** مَنْ أَنْتَ لِكَيْ تَتَكَلَّمَ؟ فَأَنْتَ رَفِيعٌ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّكَ أَوشَكتَ أَنْ تَخْتَفِيَ .. أَنْتَ أَصْلًا يُمْكِنُ الْاسْتِغنَاءُ عَنْكَ . فَفِي كَثِيرٍ مِنَ السَّاعَاتِ الْحَدِيثَة وَالْفَخْمَة لَا وجُودَ لَكَ، فَوجُودُكَ يُمَاثِلُ غِيَابكَ.

- **عَقْرَبُ السَّاعَاتِ لِعَقْرَبِ الثَّوانِي:** حَتَّى أَنْتَ أَيْضًا عَلَا صَوتُكَ وَأَصْبَحَ لَكَ رَأْياً.

- **السَّاعَةَ الرَّقمِيَّة لِسَاعَةِ الْعَقَارِب:** لَا تَتَنَازَعُوا كَثِيرًا، يُمْكِنُ الْاسْتِغنَاءُ عَنْكُمْ جَمِيعًا فَأَنَا سَاعَةٌ بِدُوْنِ عَقَارِبٍ وَأَقُومُ بِمَا تَقُومُونَ بِهِ جَمِيعًا بِطَرِيقَةٍ أَسهل وَبِدِقَّةٍ أَكْثر . خَجَلَتْ الْعَقَارِبُ مِنْ نَفْسِهَا وَقَالَتْ يَا لَيتَنَا تَعَاوَنَنا مَعًا بَدَلًا مِنْ هَذَا النِّزَاعِ

السَّخيف. فَكُلٌّ منَّا لَهُ وَظيفَتُهُ وَلَا يُمْكِنُنَا الْاسْتغنَاءُ عَنْ بَعْضنَا الْبَعْض، فَإِذَا نَزَعنَا عَقْرَبَ السَّاعَاتِ لَا يُمْكِنُ قِرَاءَةُ السَّاعَة، وَكَذَلِكَ إِذَا نَزَعنَا عَقْرَبَ الدَّقَائِق، وَأَمَّا إِذَا نَزَعنَا عَقْرَبَ الثَّواني فَهُنَاكَ فَتَرَاتٌ زَمَنِيَّة قَصيرة جِدًّا أَقَلُّ منْ دَقِيقَة، كَفَتَرات التَّفَاعُلَاتِ الْكِيميَائِيَّة مَثلًا سَيَصْعُبُ تَحْديدهَا بِدِقَّة.

وَأَرَى يَا صَديقِي كَنِيسَة أَعْضَاؤهَا تَتَنَازَعُ وَتَتَنَاحَرُ عَلَى تَوافِه الْأُمُور، يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ الْبَعْضَ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَفْنِيَ نَفْسَهَا. نَسُوا الْوحدَةَ فِي الْجَسَدِ الْوَاحِد، نَسُوا الْحُبَّ الَّذي جَمَّعَهُمْ. وَبَدَأَتْ مَنَارَةُ الْكَنِيسَة تَتَزحزَحُ منْ مَكَانهَا، وَيَخْفُتُ سرَاجُهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْطَفئ .. إِلَّا إِنَّ اللهَ لَا يَتْرُكُ نَفْسَه أَبَدًا بِلَا شَاهِد، وَالْمَسيحُ الَّذي قَالَ يَوْمًا « إِنْ سَكَتَ هَؤُلَاء فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ .» كَانَ يَعْلَمُ الْأَخيرَ مُنْذُ الْبَدء. وَعَمِلَ بِرُوحِه الْقُدُّوس فِي قُلُوبٍ حَجَرِيَّة وَحَوَّلَهَا إِلَى قُلُوبٍ لَحْمِيَّة. وَأَتَانَا منْ خَارِج الْحَظيرَة بِسَاعَاتٍ رَقمِيَّة أَشْكَال وَأَلوان زَلزَلَتْ الْمَسْكُونَةَ وَأَذْهَلَتْ الْكَنِيسَةَ .. منْ قَلبِي أُصَلِّي وَأَتُوبُ طَالِبًا أَنْ يُرْجِعَنِي اللهُ وَيُرجِعكُمْ إِلَى الْمَحَبَّة الْأُولَى حَتَّى لَا نَخْجَل حِينَ نَرَاهُ.

وَالْيَوْمُ أَرَى سَاعَاتٍ رَقَمِيَّة -أَشْكَال وَأَلْوَان- زَلْزَلَتْ الْمَسْكُونَة وَأَذْهَلَتْ الْكَنِيسَة.

الْعَينُ بَيْنَ الْقُشُورِ وَالْخَشَبَةِ وَالْقَذَى

فِي قِسْمِ الطَّوارِئ بِالْمُسْتَشْفَى دَخَلَ مَرِيضٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ (يَقْفِزُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ، نَظَرًا لِدُخُولِ جِسْمٍ غَرِيبٍ -شَوكَةُ سَمَكَةٍ- فِي قَدَمِهِ أَثْنَاءَ السَّيرِ)، وَعَلَى الْفَورِ تَذَكَّرتُ أَجْسَامًا غَرِيبَةً أُخرَى تُصِيبُ لَا الْأَقْدَامَ بَلِ الْعيُونَ وَتُؤَدِّي إِلَى الْعَمَى وَضُعْفِ الْإِبْصَارِ (الإِبْصَارُ غَيْرُ الْجَيِّدِ).. إِنَّهَا الْقشُورُ وَالْخَشَبَةُ وَالْقَذَى .. هَيَّا مَعِي لِتَعْرِف الْمَزِيدَ فِي هَذَا الصَّدد.

أَوَّلاً الْقشُور: كَانَتْ عَينِي شَاوُل الطَّرسُوسِيّ مَلِيئَةً بِالْقشُورِ .. الْقُشُورُ تُكَلِّمُنَا عَنِ الْعَمَى ..عَنِ الْمُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ الْخَاطِئَةِ الَّتِي تَحْجِبُ نُورَ الْحَقِّ عَنْ بَصَائِرِنَا .. لَكِنْ مَا أَبْهَرنِي أَنَّ هَذِهِ الْقشُورَ لَمْ تَسْقُطْ بِالْمُبَاحَثَاتِ وَالْجَدَلِ وَالْفَلْسَفَةِ .. لَكِنَّهَا سَقَطَتْ بِنُورٍ وَصَلَاةٍ .. نُورُ الْمَسِيحِ الْكَاشِف وَصَلَاةُ حَنَانِيَّا الْفَعَّالَة .. كَشَفَ لَهُ الْمَسِيحُ أَنَّ اضْطِهَادَ الْكَنِيسةِ لَيْسَ خِدمَةً للهِ .. لِأَنَّ اضْطِهَادَ الْكَنِيسةِ يَعْنِي اضْطِهَادُ الْمَسِيحِ (لِأَنَّهَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ).كَانَ النُّورُ مُزَلزِلاً لِقَنَاعَاتِ شَاوُل وَكَانَتْ الصَّلَاةُ هِي الْقُوَّةَ الْمُحَرِّرَةَ مِنْ تِلْكَ الْقَنَاعَاتِ وَهِيَ الَّتِي أَسْقَطَتْ الْقشُور .. صَدِيقِي لَيْسَ هُنَاكَ قَطَرَات لِلْعيُونِ تُذِيبُ الْقشُور. قَطَرَاتُ الْجَدَلِ وَالْفَلْسَفَةِ وَالنِّقَاشِ الْأَكَادِيمِي الْأَجوف لَنْ تُفِيدَ .. إِنَّ الصَّلَاةَ وَحدَهَا هِيَ الَّتِي تُسْقِطُ الْقشُور .. الْمُعْتَقَدَاتُ الْخَاطِئَة فِي كُلِّ عَصرٍ مَوجُودَةٌ لَمْ وَلَنْ تَذُوبَ، لَكِنَّهَا تَسْقُطُ فَقَطْ أَمَامَ نُورِ الْحَقِّ وَقُوَّةِ الصَّلَاةِ.

ثَانِيًا الْخَشَبَةُ وَالْقَذَى: غَالِبًا كُلَّمَا زَادَ الْجِسْمُ الْغَرِيبُ فِي الْحَجْمِ كَانَ أَكْثَرَ أَلَمًا وَضَرَرًا ... إِنَّ الْخَشَبَةَ تُحَدِّثُنَا عَنْ عيوبِ الْإِبْصَارِ .. وَتَعَجَّبتُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ أَنَّ أَصْحَابَ الْخَشَبَةِ (الْكَبِيرة) يَنْتَقِدُونَ وَيَدِينُونَ أَصْحَابَ الْقَذَى (ذَرَّةٌ أَوْ نُقْطَةٌ صَغِيرةٌ). نَعَمْ الْاثنَان لَا يُبْصِرَان جَيِّدًا، لَكِنْ الْعَجِيبَ أَنَّ الْأَضْعَفَ إِبْصَارًا يَنْتَقِدُ الْأَفْضَلَ مِنْهُ إِبْصَارًا وَرُؤيَةً لِأَنَّ

تَأْثِيرَ الْقَذَى عَلَى جَودَةِ الْإِبْصَارِ أَقَلُّ مِنْ تَأْثِيرِ الْخَشَبَةِ .. وَالْخَشَبَةُ تَتَكَلَّمُ عَنِ الرِّيَاءِ وَالذَّاتِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ عَائِقٍ أَمَامَ الْإِبْصَارِ الْجَيِّدِ .. الذَّاتُ الَّتِي تَجْعَلُنَا دَائِمًا نَعْتَقِدُ أَنَّنَا أَكْبَرُ وَأَفْضَلُ مِنْ بَاقِي النَّاسِ .. وَدَعنِي أَقُولُ لَكَ أَنْتَ مُحِقٌّ. أَنْتَ فِعْلًا أَكْبَرُ لَكِنْ فِي حَجْمِ الْعُيُوبِ، كَمَا لِلْخَشَبَةِ حَجْمٌ أَكْبَرُ مِنَ الْقَذَى .. فَيَا مَنْ تَظُنُّ أَنَّكَ فَطِينٌ عَلَيكَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَ الْمَسِيحِ. وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَينِكَ فَلَا تَفْطِنُ لَهَا .. يَا لَهَا مِنْ مُشْكِلَةٍ مُعَقَّدَةٍ، وَالَّذِي يَزِيدُهَا تَعْقِيدًا أَنَّنَا لَا نَتَمَكَّنُ مِنْ رُؤيَةِ أَنْفُسِنَا حَتَّى نُعَالِجَهَا فَالْجِسْمُ الْغَرِيبُ ضَرَبَ الْعَينَ .. وَهُنَا يَتَدَخَّلُ الطَّبِيبُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَرَانَا عِنْدَمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى أَنْفُسَنَا، وَيُشِيرُ إِلَى سَبَبِ الْمُشْكِلَةِ (اخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ). وَلِكَيْ أَخْتَصِرَ عَلَيكَ الطَّرِيقَ، أَقُولُ إِنَّ الْخَشَبَةَ لَنْ تَخْرُجَ إِلَّا بِالْخَشَبَةِ .. الذَّاتُ لَيْسَ لَهَا حَلٌّ إِلَّا الصَّلِيبُ حَيْثُ تَمُوتُ. وَالصَّلِيبُ يُعْطِينَا حَيَاةً جَدِيدَةً تَرْفُضُ وَتَطْرُدُ هَذَا الْجِسْمَ الْغَرِيبَ تِلْقَائِيًّا ..

صَدِيقِي اللهُ لَا يُرِيدُ فَقَطْ أَنْ يُسْقِطَ الْقُشُورَ لِكَيْ نُبْصِرَ لَكِنَّهُ يُرِيدُ أَيْضًا أَنْ يُخْرِجَ الْخَشَبَةَ لِكَيْ نُبْصِرَ جَيِّدًا .. يُرِيدُ أَنْ يُعْطِينَا عُيُونَهُ الَّتِي رَأَتِ الْعُرُوسَ كَامِلَةً، وَهِيَ فِي أَضْعَفِ حَالَاتِهَا .. أَخِيرًا الْقُشُورُ إِنْ لَمْ تَسْقُطْ سَتُسْقِطُكَ يَوْمًا فِي حُفْرَةٍ. وَالْخَشَبَةُ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ سَتُصْبِحُ حَيَاتُكَ عَثْرَةً.

اللهُ لَا يُرِيدُ فَقَطْ أَنْ يُسْقِطَ الْقُشُورَ، لِكَيْ نُبْصِرَ،
لَكِنَّهُ يُرِيدُ أَيْضًا أَنْ يُخْرِجَ الْخَشَبَةَ لِكَيْ نُبْصِرَ جَيِّدًا.
وَالْخَشَبَةُ لَنْ تَخْرُجَ إِلَّا بِالْخَشَبَةِ.

الْعَلَامَةُ الْمَائِيَّة وَالْعَلَامَةُ الدَّمَوِيَّة

الْعَلَامَةُ الْمَائِية هِيَ عَلَامَةٌ قَدْ تَكُونُ رَسْمًا أَوْ كَلَامًا تُوضَعُ كَخلفِيَّةٍ لِلْمَقَالَة، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ فَصل الْمَقَالَة عَنْ الْعَلَامَة؛ مِمَّا يَضْمَنُ حِمَايَة الْمَقَالَة مِنَ السَّرِقَة وَنِسْبَتِهَا لِغَيْرِ الْكَاتِب، كَمَا تَضْمَنُ حِمَايَة الْمَقَالَة مِنَ التَّلَاعُب فِي فِكْرَتِهَا سَواء بِالْإِضَافَة أَوْ الْحَذْف (عَلَامَةٌ لِلْحِمَايَة). جَذَبَتْ هَذِه الْفِكْرَةُ ذِهني إِلَى عَلَامَةٍ أُخرَى لَيْسَتْ مَائِيَّة بَلْ دَمَوِيَّة ذُكِرَتْ فِي سِفْرِ الْخُرُوج١٢: ١٣ «وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلَامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا» ... وَأَتَوقَّفُ فِي تَأَمُّلِ هَذِه الْآيَة الرَّائِعَة عِنْدَ بَعْض الْأَفْكَار.

اسْتَوقَفَتْنِي عِبَارَةُ (يَكُونُ لَكُمْ) وَسَألتُ نَفْسِي كَيْفَ يَكُونُ هَذَا الدَّمُ لِي؟ الطَّبِيعِيُّ أَنَّ الدَّمَ يَجْرِي دَاخِلَ الْعُرُوقِ، فَمِنْ أَيْنَ لِي أَنْ أَحْصُلَ عَلَيه وَيَكُونُ لِي؟ .. نَعَمْ، هَذَا هُوَ الطَّبِيعِيُّ لَكِنْ مَرَّةً حَدَثَ مَا هُوَ فَوق الطَّبِيعِيِّ حَيْثُ جَرَى الدَّمُ خَارِجَ الْعُرُوقِ وَلَيْسَ دَاخِلَهَا .. فِي الصَّلِيب حَيْثُ سَالَ الْمَجْرَى .. عِنْدَمَا جُلِدَ الْمَسِيح .. عِنْدَمَا غُرِسَ إِكْلِيلَ الشَّوك فِي رَأْسِه .. عِنْدَمَا دُقَّتْ الْمَسَامِير فِي يَدِيه وَرِجْلَيه .. بَلْ عِنْدَمَا طُعِنَ بِالْحَرْبَة فِي جَنْبِه، يَقُولُ الْكِتَابُ: «لِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ». خَرَجَ الدَّمُ مِنَ الْجَنْبِ وَمِنَ الْعُرُوقِ وَأَصْبَحَ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ يُرَشَّ عَلَى قَلْبِي لِيُطَهِّرَهُ كَمَا رَشَّ الشَّعْبُ قَدِيمًا الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَة الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَين .. نَزَفَ الْمَسِيحُ دَمَهُ لِيُصْبِحَ لِي وَلَكَ يَا صَدِيقِي .. فَقَدْ ذُبِحَ وَسَفَكَ دَمَهُ لِيَصْنَعَ تِلْكَ الْعَلَامَةَ الدَّمَوِيَّة الَّتِي تَحْمِيكَ مِنْ ضَرْبَةِ الْمَلَاكِ الْمُهْلِك ... إِنَّهَا لَكَ فَهَلْ أَخَذْتَهَا؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولُ: وَيَكُونُ لِي الدَّمُ عَلَامَةً؟

لَمْ يَذْكُرْ الْكِتَابُ الْمُقَدَّس وَلَوْ حَتَّى حَادِثَةً وَاحِدَةً فِي أَيِّ بَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي رَشَّتْ الدَّمَ أَنَّهُ تَمَّ مَسْح هَذَا الدَّم أَوْ إِزَالَته بَعْدَ الرَّشِّ .. وَالْكِتَابُ يَا صَدِيقِي عِنْدَمَا يَذْكُرُ يَقْصِدُ وَعِنْدَمَا لَا يَذْكُرُ أَيْضًا يَقْصِدُ .. نَعَمْ، فَهَذَا الدَّمُ الثَّمِينُ يَمْحُو وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُمْحَى .. يُزِيلُ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ

يُزَالَ .. يَمْحُو الْخَطَايَا يُطَهِّرُ وَيُزِيلُ آثَارَ النَّجَاسَةِ وَالدَّنَسِ، وَلَكِنْ كَمَا لَا يُمْكِنُ فَصْلَ الْعَلَامَةِ الْمَائِيَّةِ عَنِ الْمَقَالَةِ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا لِأَيِّ قُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ كَانَتْ أَوْ شَيطَانِيَّةٍ أَنْ تَمْحُو وَتَزِيل دَمَ الْمَسِيحِ الْمَرشُوش عَلَى شَخْصٍ تَابَ وَاحْتَمَى فِيهِ. وَكَمَا تَحْمِي الْعَلَامَةُ الْمَائِيَّة الْمَقَالَةَ مِنَ السَّرِقَةِ وَالْخَطْفِ، كَذَلِكَ تَمَامًا فَإِنَّ كُلَّ شَخْصٍ عَلَيهِ هَذِهِ الْعَلَامَة الدَّمَوِيَّة هُوَ فِي حِمَايَةٍ مُؤَكَدَةٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَوْ شَيطَانٌ أَنْ يَسْرِقَ أَوْ يَخْطُف حَيَاتَهُ .. يَقُولُ الْمَسِيحُ: «وَلَا يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي».. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي(يُو١٠: ٢٨، ٢٩). فَيَا لَهَا مِنْ عَلَامَةٍ مُمَيَّزَةٍ (مَصْنُوعَةٌ مِنْ دَمِ الْمَسِيحِ الْغَالِي) وَمُمَيِّزَةٍ (تَضُمُّكَ لِفَرِيقِ الْمَفْدِيِّينَ).

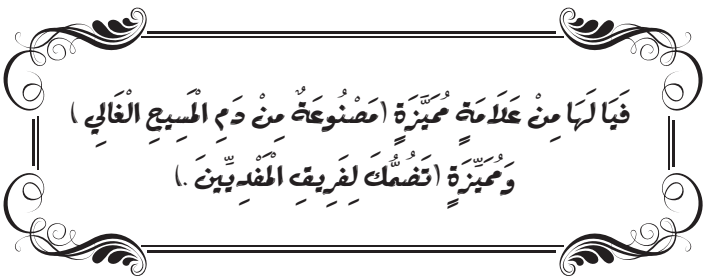

الْجِرُوحُ بَيْنَ الْقِرَاءةِ وَالْعِلَاجِ

الْجِرُوحُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ .. سَطْحِيَّةٌ وَغَائِرَةٌ .. جَسَدِيَّةٌ وَنَفْسِيَّةٌ .. وَمَا يَشْغَلُنِي لَيْسَ عِلَاجُ هَذِه الْجِرُوحِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ لِأَنَّ هُنَاكَ عَمَلِيَّةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا تَسْبِقُ عِلَاجَ الْجِرُوحِ أَلَا وَهِيَ قِرَاءتُهَا. لَيْسَ الْأَهَمُّ أَنْ تَغْسِلَ الْجَرَحَ وَتُطَهِّرَهُ جَيِّدًا وَتُغْلِقَهُ .. لَكِنْ الْأَهَمُّ هُوَ أَنْ تُحَدِّدَ وَتَقْرَأَ الْأَجْزَاءَ الَّتِي تَأَثَّرَتْ بِالْإِصَابَةِ .. أَنْ تَعْرِفَ بِالتَّحْدِيدِ هَلْ الْأَعْصَابُ وَالْأَوتَارُ وَالشَّرَايِينُ سَلِيمَةٌ أَم أُصِيبَتْ .. لِأَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تُغْلِقَ الْجَرْحَ مِنَ الْخَارِجِ دُوْنَ إِصْلَاحِ الْإِصَابَةِ فِى الدَّاخِلِ .. فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ كَارِثِيَّةً .. كَأَنَّ يَفْقِدُ الطَّرفُ الْحَرَكَةَ مَثَلًا إِذَا حَدَثَتْ الْإِصَابَةُ فِي الْأَوتَارِ .. أَوْ يَفْقِدُ الْإِحْسَاسَ إِذَا حَدَثَتْ إِصَابَةٌ فِي الْأَعْصَابِ .. أَوْ يَفْقِدُ الْحَيَاةَ إِذَا حَدَثَتْ إِصَابَةٌ فِي الْأَوعِيَةِ الدَّمَوِيَّةِ وْ عَجْزٌ فِي وصُولِ الدَّمِ لِلطَّرَفِ.

جَلَسَتْ يَوْمًا امْرَأَةٌ مُرَّةُ النَّفْسِ وَحَزِينَةُ الرُّوحِ .. شَفَتَاهَا فَقَطْ تَتَحَرَّكَانِ دُوْنَ أَنْ يُسْمَعَ صَوْتُهَا .. تُصَلِّي فِي انْتِظَارِ سَمَاعِ صَوْتٍ مِنَ اللهِ .. وَعدٌ أو مُواسَاةٌ .. قَطَعَ هدُوئَهَا وَتَوَالَي أَفْكَارِهَا وَحَدِيثَهَا إِلَى اللهِ صَوْتُ عَالِي الْكَاهِن «حَتَّى مَتَى تَسْكَرِينَ؟ انْزِعِي خَمْرَكِ عَنْكِ» .. قَالَ عَالِي هَذَا إِذْ ظَنَّهَا سَكْرَى .. كَانَ الصَّوْتُ بِمَثَابَةِ خِنْجَرٍ طَعَنَ هَذِه الْمَسْكِينَةَ، بِكُلِّ أَسَفٍ لَمْ يَقْرَأْ عَالِي الْجُرْحَ جَيِّدًا؛ فَكَانَ الْعِلَاجُ مُدَمِّرًا .. لَمْ يَقْرَأْ ضِيقَهَا الْمُسْتَمِر مِنْ مُرَاغَمَةِ ضَرَّتِهَا لَهَا .. لَمْ يَقْرَأْ امْتِنَاعَهَا عَنِ الطَّعَامِ وَبُكَائَهَا .. لَمْ يَقْرَأْ كَثْرَةَ كُرْبَتِهَا وَغَيْظِهَا .. لَمْ يَقْرَأْ شُعُورَهَا بِالْعَارِ وَذُلَّهَا .. لَمْ يَقْرَأْ اكْتِئَابَ قَلْبِهَا .. لَمْ يَقْرَأْ قِلَّةَ حِيلَتِهَا وَعَجْزَهَا .. لَمْ يَقْرَأْ انْعِدَامَ أَمَلِهَا وَيَأْسَهَا .. لَمْ يَقْرَأْ مَرَارَةَ نَفْسِهَا وَحُزْنَهَا ..

آه يَا صَدِيقِي كَمْ كُنْتُ أُفَضِّلُ أَنْ يَصْمُتَ وَلَا يَتَكَلَّم .. فَكَلَامُهُ زَادَ الْجُرْحَ عُمْقًا وَالْحُزْنَ حُزْنًا وَالْمَرَارَةَ مَرَارَةً .. كَلَامُهُ اتِّهَامٌ خَطِيرٌ بِأَنَّهَا شَارِبَةُ خَمْرٍ سَكْرَى .. وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ رَغْمَ أَلَمِهَا وَالضُّغُوطِ الَّتِي تَجْتَاحُهَا لَمْ تُفَكِّرْ فِي الْهُرُوبِ مِنَ الْوَاقِعِ بِكَأْسِ خَمْرٍ لَكِنْ فِي تَصَرُّفٍ

رُوحِيٍّ رَاقٍ ذَهَبَتْ بِوَاقِعِهَا الْمُؤلِم إِلَى اللهِ وَسَكَبَتْ نَفْسَهَا أَمَامَهُ

لَكِنْ عَالِي الْجَالِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ لَمْ يُجِدْ قَرَاءَة الْمَقْعَد .. إِنَّهَا تَسْكُبُ النَّفْسَ لَا تَشْرَبُ الْخَمْرَ .. تَسْكُبُ لَا تَشْرَبُ .. لَكِنِّي أَعْرِفُ شَخْصًا آخرًا أَخْلَى نَفْسَهُ وَتَرَكَ الْكُرْسِيّ بَلْ تَرَكَ الْمَجْد وَجَلَسَ يَوْمًا عَلَى بِئْرِ سُوخَار وَقَرَأَ الْجُرْحَ قِرَاءةً جَيِّدَةً (فَرَاغٌ وَعَطَشٌ) وَقَدَّمَ الْعِلَاجَ فِي قَولِهِ الْمَأْثُور «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَد» .. لَمْ يَرْمِهَا بِكَلَامٍ جَارِحٍ لَكِنَّهُ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يَكْشِفَ سِرَّهَا كَشَفَهُ لَهَا فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ : إِنْسَانٌ قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ (لِي وَلَيْسَ لَكُمْ) فَمَا أَعْظَم هَذَا الشَّخْص. نَعَمْ سَيَظَلُّ نَمُوذَجًا فَرِيدًا فَوْقَ كُلِّ النَّمَاذِجِ.

كَانَتْ تَسْكُبُ النَّفْسَ، لَا تَشْرَبُ الْخَمْرَ.. تَسْكُبُ لَا تَشْرَبُ.

الْإِنْسَانُ بَيْنَ رَوعَةِ التَّخْلِيقِ وَسَطْوَةِ التَّقْلِيدِ

هُنَاكَ فَرِيقٌ يَعْشَقُ الْمَوْرُوثَاتِ .. يَتَمَسَّكُ بِالْإِطَارَاتِ دُوْنَ أَنْ يُحَلِّلَهَا أَوْ يُفَكِّر فِيهَا أَوْ يَفْهَمهَا .. يُحِبُّ الْمُسَلَّمَاتِ وَيَخْشَى خَرْقَهَا .. مُطْمَئِنٌ لِوجُودِهِ دَاخِلهَا وَبِالْالتِزَامِ بِهَا. يَعْشَقُ التَّلَقِينَ وَيَعْتَبِرُ سِيَاسَةَ الْقَطِيعِ هِيَ السِّيَاسَةُ النَّمُوذَجِيَّةُ .. مُنْتَقِدٌ لِرُوحِ الْإِبْدَاعِ، بَلْ وَيَعْتَبِرُ الْأَفْكَارَ الْإِبْدَاعِيَّةِ بِدَعٌ وَضَلَالَاتٌ مُسْتَحْدَثَةٌ .

وَعَلَى النَّقِيضِ هُنَاكَ فَرِيقٌ آخَر يَعْشَقُ التَّجدِيدَ .. يُحِبُّ التَّغْيِيرَ .. لَدَيهُ فُضُولٌ .. كَثِيرُ الْأَسْئِلَةِ وَالتَّفْكِيرِ .. يَرْفُضُ الْإِجَابَاتِ التَّقْلِيدِيَّةَ .. يَرْفُضُ الْمَدَارِسَ الْمُسْتَنْسَخَةَ .. غَيْرُ قَانِعٍ بِالْمَاضِي وَلَدَيهِ رَغْبَةٌ عَارِمَةٌ لِلْاكْتِشَافِ .. خَلَّاقٌ وَمُبْدِعٌ وَمُبْتَكِرٌ .. وَدَائِمًا مُتَّهَمٌ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُلْتَزِمٍ بِالْأُصُولِ وَمُتَمَرِّدٌ عَلَى التَّقْلِيدِ.

الْأَوَّلُ يَعِيشُ مُرْتَاحَ الضَّمِيرِ قَابِعٌ دَاخِلَ التَّقْلِيدِ لَكِنَّهُ جَائِعٌ .. وَالثَّانِي يَعِيشُ مُتْعَبَ الضَّمِيرِ خَارِجَ قَفَصِ التَّقْلِيدِ لَكِنَّهُ مُشْبَعٌ .

مَا هِيَ إِذًا رُمّانَةُ الْمِيزَانِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؟ .. وَمَتَى يَتَحَوَّلُ الْإِبْدَاعُ الْمُفِيدُ إِلَى بِدْعَةٍ مُضِرَّةٍ؟ ..سَأَضْرِبُ مَثَلَيْنِ لِلتَّوضِيحِ :

تَعَوَّدنَا مُنْذُ الطُّفُولَةِ أَنَّ شَكلَ الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ النَّمُوذَجِيَّةِ هِيَ أَنْ تَبْدَأَ يَوْمَكَ بِالْخَلْوَةِ الْفَرْدِيَّةِ بِقِرَاءَةِ جُزْءٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَمَعَ الزَّمَنِ وَالتِّكْرَارِ تَحَوَّلَتْ الْعَادَةُ إِلَى رُوتِينٍ وَتَقْلِيدٍ نَفْعَلُهُ لِكَيْ تَرتَاحَ ضَمَائِرُنَا وَنَشْعُرُ أَنَّنَا نَمُوذَجِيُّون حَتَّى لَوْ كُنَّا بَاقِي يَوْمِنَا كُلَّهُ لَا عَلَاقَةَ لَنَا بِالْكِتَابِ .. وَلَكِنْ عَلَى صَعِيدٍ آخَر هُنَاكَ مَنْ لَا تَتَاحُ لَهُ فُرْصَةً لِيَقْرَأَ جُزْءًا مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ قَبْلَ الذِّهَابِ لِعَمَلِهِ لَكِنَّهُ يَظَلُّ طِيلَةَ يَوْمِهِ يَجْتَرُّ عَلَى أَفْكَارٍ وَآيَاتٍ مُخْتَزَنَةٍ فِي دَاخِلِهِ وَهُوَ فِي حَالَةِ اتِّصَالٍ دَائِمٍ بِاللهِ .. نَعَمْ لَقَدْ كَسّرَ الشَّكلَ التَّقْلِيدِيّ النَّمُوذَجِيّ الْمُفْتَرض، لَكِنَّهُ

كَانَ فِي حَالَةِ اتِّصَالٍ مَعَ اللهِ أَعْمَقُ وَأَطوَلُ مِمَّا هُوَ تَقْلِيدِيٌّ .. الْأَوَّلُ مُرْتَاحُ الضَّمِيرِ جَائِعٌ وَالثَّانِي قَدْ يَكُونُ مُتْعَبَ الضَّمِيرِ لَكِنَّهُ مُشْبَعٌ رُوحِيًّا .

فِي حَادِثَةٍ فَرِيدَةٍ بَدِيعَةٍ قَادَ اللهُ فِيهَا الْمَجُوسَ إِلَى الْمَذْوَدِ .. لَمْ تَكُنْ طَرِيقَةُ الْقِيَادَةِ تَقْلِيدِيَّةً .. كَانَتْ جَدِيدَةً مِنْ نَوعِهَا (لَمْ تَحْدُثْ مِنْ قَبْلُ) قَادَهُمْ مِنْ خِلَالِ نَجْمِ الْمَشْرِقِ .. فَهَلْ يَعْتَبِرُوهَا بِدْعَةً مُضَلِّلَةً تُؤَدِّي إِلَى التِّيهِ. أَمْ يَعْتَبِرُوهَا إِبْدَاعٍ إِلَهِيّ فِي طَرِيقَةِ الْقِيَادَةِ؟ .. مَا هِيَ الْمَسْطَرَةُ؟ .. كَانَ الْفَيصَلُ هُوَ الْكِتَابُ. فَقَدْ ظَهَرَ النَّجْمُ مُتَزَامِنًا مَعَ تَوقِيتَاتِ النّبُوَّاتِ بِمَجِيءِ الْمَسِيحِ .. كَانَ النَّجْمُ يَتَقَدَّمُهُمْ نَحْوَ الْمَكَانِ (بَيْت لَحْم) الَّذِي تَكَلَّمَتْ عَنْهُ النّبُوَّاتُ بِأَنَّ مِنْهُ سَيَخْرُجُ الْمُدَبِّرُ ..

صَدِيقِي الْإِبْدَاعُ لَهُ جِذُورٌ كِتَابِيَّة. أَمَّا الْبِدعَةُ فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى قَوَاعِدٍ فَلْسَفِيَّة. أَدْعُوكُمْ أَنْ تَتَحَرَّرُوا مِنَ الْإِطَارِ الْمَوْرُوثِ وَ أن تَتْبَعُوا مَنْهَجَ الْمَجُوسِ .. لَا تَطمُسُوا الْعُيُونَ الْمُسْتَنِيرة بِتُرَابِ الْمَوْرُوثَاتِ .. تَحَرَّرُوا مِنَ الْإِطَارَاتِ النَّمَطِيَّةِ وَتَقَيَّدُوا بِالْجِذُورِ الْكِتَابِيَّة .. الْمَسِيحُ حَرَّرَنَا فَلْنَعِشْ أَحْرَارًا.

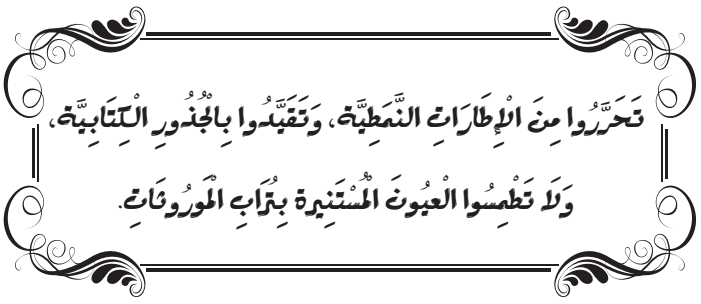

طِينٌ أَمْ عَجِين؟

هُنَاكَ أُمُورٌ يَصْنَعُهَا اللهُ فِي لَحْظَةٍ كَالْخَلْقِ مَثَلاً «قَالَ اللهُ لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ » وَهُنَاكَ أُمُورٌ أُخرَى يَصْنَعُهَا اللهُ لَكِنَّهَا تَسْتَغْرِقُ وَقْتًا لأَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى تَكْوِينٍ وَتَشْكِيلٍ .. فَاللهُ الَّذِي قَالَ لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ فِي لَحْظَةٍ كَوَّنَ الْعَالَمَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ .. الْجَنِينُ يَحْتَاجُ ٩ أَشْهُر لِكَيْ يَكْتَمِلَ تَكْوِينَهُ .. دَعُونَا نُصَحِّحَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ فِي أَذْهَانِنَا فَلَيْسَتْ كُلّ أَعْمَالِ اللهِ فُجَائِيَّةً فِي لَحْظَةٍ .. الأُمُورُ التَّدرِيجِيَّة الَّتِي تَسْتَغْرِقُ وَقْتًا هِيَ أَيْضًا صِنَاعَةٌ إِلَهِيَّةٌ .. وَمِنْ ضِمْنِ هَذِهِ الأُمُورِ «عَمَلِيَّةُالتَّشْكِيلِ الإِلَهِيِّ لِلإِنَاءِ الْخَزَفِيِّ .»

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ١٦ / ٣/ ٢٠١٢ كُنْتُ أَقْرَأ كَلَامِ الرَّبِّ لإِرْمِيَا النَّبِيِّ «هوذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هكَذَا بِيَدِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ.. إِرْمِيَا١٨: ٦» وَقَفْتُ كَثِيرًا أَمَامَ كَلِمَة « كَالطِّين» .. نَحْنُ كَالطِّين ! .. وَرَغْمَ مَعْرِفَتِي بِهَذَا الْجُزْءِ مِن الْكِتَابِ مُنْذُ الصِّغَرِ إِلَّا إِنِّي شَعَرتُ لِوَهلَةٍ أَنَّنِي مِنْ دَاخِلِي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْبَلَ هَذَا التَّشبِيه .. حَاولتُ أَنْ أُجَادِلَ مَعَ نَفْسِي لأَجِدَ تَفْسِيرًا يُخَفِّفُ مِنْ وَطْأَةِ التَّشبِيه، كَأَنْ قُلتُ لِنَفْسِي إِنَّ هَذَا مَثَلٌ وَتَشْبِيهٌ يَسْتَخْدِمهُ اللهُ فَقَطْ لِتَقْرِيبِ الْفِكْرَةِ .. لَكِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَهْرُبَ مِنَ الْوَاقِعِ .. هَذَا لَيْسَ فَقَطْ تَشْبِيه لَكِنَّهُ حَقِيقَة وَوَاقِع أَيْضًا. السَّيِّدُ الْمَسِيح عِنْدَمَا فَتَحَ عَيْنِي الْمَولُود أَعْمَى تَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى .. وَيَقُولُ دَاوُد عَنِ اللهِ فِي مَزْمُور١٠٣ « لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ » وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ .. وَأَخِيرًا قُلْتُ : «خَيْرٌ لِنَفْسِي أن تكون طين فِي يد الفخاري مِنْ أَنْ تَكُونَ طِينًا مَرْمِيٍّ عَلَى الأَرْضِ» وسَلَّمْتُ بِالأَمْرِ الْوَاقِعِ وَنِمْتُ. وَحَوَالِي السَّاعَة الْخَامِسَة فَجْرًا أَيْقَظَتْنِي هَذِهِ الْفِكْرَةُ «عَجِينٌ وَلَيْسَ طِين » وَتَوَالَتْ الأَفْكَارُ الْجَمِيلَةُ.

يَقُولُ بُولُس الرَّسُول فِي رِسَالَتِهِ الأُولَى لأَهْلِ كُورِنْثُوسَ« إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ

لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ » .. صَدِيقِي نَعَمْ نَحْنُ فِي آدَم الْأَوَّل طِينٌ لَكِنَّ الْمُبْهِجَ أَنَّنَا فِي آدَم الْأَخِير عَجِينٌ .. إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ .. الْمَادةُ الْخَامّ فِي الطِّينِ تُرَابٌ وَالْمَادةُ الْخَامّ فِي الْعَجِينِ دَقِيقٌ .. وَمَا أَحْلَى الدَّقِيق النَّاعِم الْأَبْيَض بَلْ مَا أَحْلَى الْمَسِيح الَّذِي يَرْمُزُ إِلَيه الدَّقِيقُ .. التُّرَابُ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَوْتِ وَالدَّقِيقُ يَتَكَلَّمُ عَنْ إِبْطَالِ الْمَوْتِ .. أَلَقَاهُ أَلِيشَع فِي الْقِدْرِ الْمُمِيتِ فَأَكَلُوا وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ رَدِيءٌ فِي الْقِدْرِ .. هَلْ تُصَدّق أَنَّكَ عَجِينٌ « «دَقِيقٌ وَزَيْتٌ » .. بِانْفِصَالِنَا عَنْ آدَم لَمْ نَعُدْ مِنْ نَفْسِ الطِّينَةِ .. بَلْ وَقَرِيبًا سَنَخْلَعُ بَقَايَا التُّرَابِيِّ وَنَلْبِسُ السَّمَاوِيّ ..فَيَا لَسِمُو مَقَامِ الْكَنِيسَة.

الْمَادةُ الْخَامّ فِي الطِّينِ تُرَابٌ، وَالْمَادةُ الْخَامّ فِي الْعَجِينِ دَقِيقٌ.

مُهْتَزٌ أَمْ مُرْتَدٌ؟

فُقْدَانُ الْمَعْنَى وَالتَّوصِيف يَتْبِعُهُ حَتْمًا حِيرَةٌ وَاحْتِيَاجٌ لِتَعْرِيف .. كَمَا أَنَّ تَعَدُّدَ الْمَعَانِي وَالتَّفَاسِيرِ يَتْبِعُهُ حَتْمًا تِيهٌ وَاحْتِيَاجٌ لِلتَّعْابِيرِ .. وَطِبْقًا لِمَا أَعْطَانِي الرَّبُّ مِنْ نُورٍ أُرِيدُ أَنْ أُوضِّحَ الْفَرقَ بَيْنَ حَالَةِ الْاهْتِزَازِ وَحَالَةِ الْارتِدَادِ.

أَوَّلًا الْاهْتِزَاز: هِيَ حَالَةٌ مِنْ اخْتِلَالِ الْاتِّزَانِ الْمُؤَقَّت فِي جُزءٍ مَا، لَكِنَّهَا لَا تَصِلُ لِأَنْ تَجْعَلَ الْإِرَادَةَ تَتَّخِذُ قَرَارًا بِتَركِ الْكُلِّ (الارْتِدَاد) لِأَنَّ الْإِعْلَانَاتِ الرُّوحِيَّةَ الْعَمِيقَةَ تَبْقَى فِي الرُّوحِ ثَابِتَةً لَا تَتَأَثَّرُ. لِلتَّوضِيحِ أَتَّخِذُ بُطْرَس وَيُوحَنَّا الْمَعْمَدَان كَأَمْثِلَةٍ .

إِنْكَارُ بُطْرُس لِلْمَسِيحِ ادْخَلَهُ فِي حَالَهِ مِنَ الْاهْتِزَازِ، وَصَفَهَا الْمَسِيحُ بِالْغَرْبَلَةِ .. حُزْنٌ عَمِيقٌ .. بُكَاءٌ مُرٌّ .. سُؤَالٌ حَائِرٌ أفتراضي كَادَ يَقْتُلُهُ (هَلْ مَازِلْتُ كَمَا أَنَا فِي نَظَرِ الْمَسِيحِ أَمْ سَقَطَتْ مَكَانَتِي فِي نَظَرِهِ؟) لَكِنِّي أَقُولُ رَغْمَ هَذَا الْاهْتِزَازِ فَإِنَّ الْإِعْلَانَ الشَّخْصِيّ مِنَ الْآبِ لِبُطْرُس أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ (لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ بَلْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ) مَازَالَ رَاسِخًا فِي أَعْمَاقِ بُطْرُس لَمْ يَهْتَزّ وَلَمْ يَتَأَثَّرْ .

يُوحَنَّا الْمَعْمَدَان اهْتَزَّ عِنْدَمَا دَخَلَ السِّجْنَ وَظَهَرَتْ عَلَامَاتُ الْاهْتِزَازِ فِي سُؤَالِهِ لِلْمَسِيحِ «أَأَنْتَ هُوَ الْآتِي؟» بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْآبَ قَالَ لَهُ هَذَا. وَيُوحَنَّا شَهِدَ عَنْهُ «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ».. كَانَتْ حَالَتُهُ كَقَصَبَةٍ تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ لَكِنَّ الرِّيحَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَكْسِرَهَا لِأَنَّ الْكَلَامَ الشَّخْصِيّ الَّذِي قَالَهُ اللهُ لِيُوحَنَّا عِنْدَمَا أَرْسَلَهُ وَأَعْطَاهُ عَلَامَةً وَحَقَّقَهَا (الَّذِي أَرْسَلَنِي قَالَ لِيَ الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًا عَلَيْهِ هَذَا هُوَ) بَقَى ثَابِتًا فِي رُوحِ يُوحَنَّا وَأَعْمَاقِهِ رَغْمَ صِرَاعِهِ الْفِكْرِيّ النَّاتِجِ مِنْ اصْطِدَامِ التَّوقُّعِ بِالْوَاقِعِ .. فَقَدْ كَانَ يُوحَنَّا يَتَوَقَّعُ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي شَهِدَ عَنْهُ صَاحِبِ السُّلْطَانِ الرَّهِيبِ وَالْقُدْرَةِالْعَظِيمَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَهُ فِي السِّجْنِ.

ثَانِيًا الْارْتِدَاد: هِيَ حَالَةُ تَرْكِ الْكُلِّ وَلَيْسَ اهْتِزَازًا فِي جُزْءٍ، وَهِيَ لَيْسَتْ عَلَى مُسْتَوى الْمَشَاعِرِ أَوْ الْفِكْرِ فَقَطْ، لَكِنَّهَا تَتَخَطَّى وَتُؤَثِّرُ فِي الْإِرَادَةِ لِاتِّخَاذِ قَرَارٍ .. فَالْارْتِدَادُ قَرَارٌ .. الْاهْتِزَازُ حَيرَةٌ فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ نَاتِجَةً مِنْ عَدَمِ فَهْمِ بَعْضِ أَفْعَالِهِ. أَمَّا الْارْتِدَادُ فَهُوَ تَرْكُ شَخْصِ الْمَسِيحِ كَكُلٍّ.

صَدِيقِي أَنَا لَا أَعْرِفُ فِي أَيِّ حَالٍ أَوْ حَالَةٍ أَنْتَ .. لَكِنِي أَعْرِفُ إِلَهًا يُثَبِّتُ الْمُهْتَزَّ (وَالْقَادِرُ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ) وَيَشْفِي بِنَفْسِهِ الْمُرْتَدَّ (أَنَا أَشْفِي ارْتِدَادَهُمْ أُحِبُّهُمْ فَضْلًا). اللهُ لَا يَقْتُلُ الْمُرْتَدَّ، بَلْ يَشْفِيهِ.

صَدِيقِي، اللهُ لَا يَقْتُلُ الْمُرْتَدَّ، اللهُ يَشْفِيهِ.

نِجْمُ الْمَشَارِقُ يُوقِظُ مَنْ فِي النَّوْمِ غَارِقُ

خَلَقَنِي الْمَولَى مِنْ قَدِيمِ الزَّمَان

وَخَلَقَ مِثْلِي نُجُومًا أَشْكَال وَأَلْوَان

وَفِي ذَاتِ الْيَوْمِ خَلَقَ أَيْضًا النُّورَان

وَجَعَلَ لِكُلٍّ مِنَّا مَوضِعًا وَمَكَان

وحَدَّدَ حَـرَكَته بِمـَدَارٍ لِلدَّوَرَان

يَلْتَزِمُ بِهِ وَإِلَّا تَاهَ فِي الْفَضَاءِ تَيَهَان

نَعَمْ مُبْدِعٌ فِي الْخَلَقِ وَفَنَّان

فِي الْمَشْرِقِ وَضَعَنِي لَيْسَ حَظًّا أَوْ فِنْجَان

أَرْبَعَةُ أَلَاف عَامٍ وَأَنَا غَيْرُ فَاهِمٍ حَيْرَان

حَتَّى حَدَثَ أَمْرٌ غَرِيبٌ فِي الْكَيَان

وَجَدْتُ نَفْسِي أَتَوهَّجُ بِنُورٍ أَكْثَرٍ وَلَمَعَان

فَالنُّورُ الْحَقِيقِيُّ جَاءَ وَمَا نُورِي إِلَّا بَهَتَان

فَهِمْتُ وَقْتُهَا أَنَّ وُجُودِي فِي الشَّرْقِ لَهُ مَعَان

وَجَدْتُ نَفْسِي أَتَحَرَّكُ وَأَتَوقَّفُ فِي الْعِنْوَان

صُدِمْتُ إِذْ وَجَدْتُهُ مِذْوَدٍ لِلْبَقَرِ وَالْخِرْفَان

فَيْهِ الطِّفْل مُقَمَّطًا مُضْطَجِعًا وَمَعَهُ الْأَبَوَان

وَكُنْتُ أَظُنُّهُ سَيَأْتِي فِي قَصْرِ أَحَدِ الْأَعْيَان

شَرّفَنِي وَاسْتَخْدَمَنِي وَمَيَّزَنِي عَلَى الْأَقْرَان

وَجَعَلَنِي لِلْمَجُوسِ دَلِيلًا مُرْشِدًا وَبُرْهَان

لَيْسَ لِفَضْلٍ فِيَّ أَوْ جَمَالٍ يَفُوقُ الْإِخْوَان

إِنَّمَا نِعْمَةٌ وَجُودٌ مِنْ صَاحِبِ الْإِحْسَان

وَاخْتِيَارٌ قَدِيمٌ مِنْ خَالِقٍ يَمْلِكُ السُّلْطَان

فَجَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ وَقَدَّمُوا ذَهَبًا وَمُرًّا وَلُبَان

فَإِذَا كُنْتُ وَأَنَا الْجَامِدُ شَعَرْتُ بِابْنِ الْإِنْسَان

كَيْفَ وَأَنْتَ حَيٌّ تَجَمَّدَ فِيْكَ الْوِجْدَان

إِذَا كُنْتُ وَأَنَا مُقَيَّدٌ بِمَدَارٍ تَحَرَّكْتُ لِلْعِنْوان

كَيْفَ وَأَنْتَ حُرٌّ تَبْقَى فِي الدَّارِ حَتَّى الْآن

إِذَا كُنْتُ وَأَنَا الصَّامِتُ عَبَّرْتُ بِنُورٍ وَلَمَعَان

كَيْفَ وَأَنْتَ مُتَكَلِّمٌ مَازِلْتَ مَعْقُود اللِّسَان

هَيّا اكْسَرْ الصَّمْتَ وَتَحَرَّكَ فَقَدْ آنَ الْأَوَان

وَكَفَاكَ كَلَامًا فِي مَجَالَاتٍ لَيْسَ مِنْهَا بُنْيَان

وَوَجّه لِسَانَكَ لِلْحَدِيثِ عَنْهُ وَخَبِّر التَّعْبَان

فِي مَجِيئِهِ الْأَوَّل عَبّرْتُ قَدْرَ الْإِمْكَان

وَالْيَوْمُ أُذَكِّرُكَ الْمَجِيء الثَّاني عَلَى الْبِيبَان

فَهَلْ أَنْتَ مُدْرِكٌ مُستَيقِظٌ سَهْرَان

أَمْ نَائِـمٌ .. بَيْنَ الْأَمْـوَاتِ سَكْرَان؟

أَدْعُوكَ أَنْ تَسْتَفِيقَ فَقَدْ اقْتَرَبَ الطَّيَرَان

يَا إِنْسَانُ كَفَاكَ جُمُودًا وَكُنْ دَلِيلًا لِلْعِمْيَان

افْعَلْ لَهُ شَيْئًا وَأَحْظَى بِالْأَكَالِيلِ وَالتِّيجَان

افْعَلْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى لَا تَقِفُ ذَا الْيَوْم خَجْلَان

وَإِنْ كُنْتَ بَعِيدًا عَنْهُ وَعَنْ خَلَاصِهِ غَفْلَان

تَشْرَبُ الْإِثْمَ كَالْمَاءِ فِي بُحُورِ الشَّرِّ غَرْقَان

أَدْعُوكَ أَنْ تَعْرِفَهُ حَتَّى تَهْرُبَ مِنَ النِّيرَان

وَإِذَا انْتَهَتْ رِحْلَتُكَ تَنَامُ فِي اطْمِئْنَان

كُلْهَا قَبْل مَا تسيح

فِي ٢٣ / ٩/ ٢٠١٢ كُنْتُ جَالِسًا فِي أَحَدِ الْمَطَاعِمِ لِتَنَاوُلِ الْغَذَاءِ .. عَبَرَتْ بِجِوَارِي أُمٌّ وَطِفْلُهَا، الَّذِي كَانَ مُمسِكًا بِيَدِهِ بِسْكَوِيتًا مِنَ الآيس كِرِيم، وَيَلْهُو وَيَقْفِزُ حَولَهَا .. وَالأُمُّ تَقُولُ له : «هَا تُقَع مِنْكَ عَلَى الأَرْض كُلْهَا قَبْل مَا تسيح .» عَبَرَتْ الأُمُّ وَعَبَرَ الطِّفْلُ، لَكِنْ هَذِهِ الْعِبَارَة عَلَقَتْ فِي ذِهنِي وَأَبَتْ أَنْ تَمُرَّ مُرُورَ الكِرَام «كُلْهَا قَبْل مَا تسيح»، وَعَلَى الْفَورِ تَذَكَّرْتُ كَلَامَ الْكِتَابِ «وَإِذَا حَمِيَتِ الشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ». عِبَارَةٌ بَدِيعَةٌ ذُكِرَتْ عَنِ الْمَنِّ الَّذِي أَكَلَهُ شَعْبُ اللهِ فِي الْبَرِّيَّةِ. كَانَ الْمَنُّ لِلشَّعْبِ الْقَدِيمِ شِبَعًا بَعْد جُوعٍ. كَانَ حِمَايَةً لَهُمْ مِنَ الْعَودَةِ إِلَى الْوَرَاءِ، إِلَى مِصْر .. وَأَرَى فِيهِ بِوضُوحٍ رَمْزًا لِلْمَسِيحِ (غِذَاء الْبَرِّيَّةِ).

الْمَنُّ خُبْزٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ نَتَاج الأَرْضِ بَلْ قَادِمًا مِنَ السَّمَاءِ .. فَمَا أَحْلَى قَول الرَّبِّ لِمُوسَى «هَاأَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ» .. الْمَنُّ نَزَلَ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ (وَالْحَقْلُ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْعَالَمِ) لَكِنَّهُ فِي الأَصْلِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَالَمِ .. الْمَنُّ إِذَا حَمِيَتِ الشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ .. وَحُمُو الشَّمْسِ يَتَكَلَّمُ عَنِ الصَّلِيبِ وَالأَلَمِ .. لاحِظْ أَنَّ الْكِتَابَ لَمْ يَقُلْ إِذَا أَشْرَقَتْ الشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ وَلكن إِذَا حَمِيَتِ الشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ .. وأَرَى الذَوبَانَ فِي قَولِ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ «صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ، قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي» نَعَمْ يَا صَدِيقِي، أَقُولُهَا بِكُلِّ خشُوعٍ وَإِجْلَالٍ، كَانَ الْمَسِيحُ عَلَى الصَّلِيبِ يَذُوب .. كَانَ شَمْعَةً تَذُوبُ لأَجْلِي وَلِأَجْلِكَ .. سَجَّلَ أَعْمَقَ وَأَعْلَى وَأَوسَعَ مَعَانِي التَّضحِيَةِ .. لَكِنَّ الْمَنَّ الَّذِي ذَابَ يَوْمًا عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ مَوجُودٌ فِي قِسْطٍ مِنْ ذَهَبٍ دَاخِل تَابُوتِ الْعَهْدِ فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ .. وَالْمَسِيحُ الَّذِي ذَابَ هُنَا عَلَى الأَرْضِ بِالصَّلِيبِ مَوجُودٌ الْيَوْم هُنَاكَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ .. الْمَنُّ كَانَ طَعْمَهُ كَرُقَاقٍ بِعَسَلٍ .. ظَلَّ الشَّعْبُ يَأْكُلُونَهُ فِي الْبَرِّيَّةِ ٤٠ سَنَةٍ .. يَأْكُلُونَ مَا هُوَ كَرُقَاقٍ بِعَسَلٍ، لَكِنَّ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُمْ أَرْضَ الْمَوعِدِ أَكَلَ الْعَسَلَ نَفْسَهُ .. فِي الْبَرِّيَّةِ -أَرْضُ الرَّمْزِ أَوْ إِنْ جَازَ أن أَقُولُ أَرْضُ الْكَافِ (كَرُقَاقٍ بِعَسَلٍ)- يُوجَدُ الْمَنُّ .. لَكِنْ فِي أَرْضِ الْمَوعِدِ -أَرْضُ الْحَقِيقَةِ- يُوجَدُ الْعَسَلُ نَفْسُهُ، بَلْ أَقُولُ يُوجَدُ فَيْضٌ مِنَ

الْعَسَلِ (أَرْضٌ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا).

أَخِيرًا، أَقُولُ لِلتَّطْبِيقِ الْعَمَلِي، عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الْمَنَّ غِذَاءٌ وَلَيْسَ عِلْمًا .. لِلْأَكْلِ وَلَيْسَ لِلتَّخْزِينِ (فَإِذْ أَبْقَى مِنْهُ أُنَاسٌ إِلَى الصَّبَاحِ تَوَلَّدَ فِيهِ الدُّودُ وَأَنْتَنَ). صَدِيقِي هُنَاكَ عَمَلِيَّتَانِ وَلَيْسَ عَمَلِيَّةً وَاحِدَةً: الْالْتِقَاطُ الْمُبَكِّر قَبْلَ الذَّوَبَانِ. وَالْأَكْلُ طَازَجًا قَبْلَ التَّعَفُّنِ .. فَلَا تُؤَجِّلْ تَجَاوُبَكَ مَعَ التَّأْثِيرَاتِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَلْمِسُكَ .. الْتَقِطْهَا قَبْلَ أَنْ تَذُوبَ .. وَعَلَى كُلٍّ، عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمَنَّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ سَيَذُوبُ .. سَوَاء أَكَلْتَهُ أَوْ لَمْ تَأْكُلْه .. فَإِنْ لَمْ تَأْكُلْه سَيَذُوبُ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ وَأَنْتَ الْخَاسِر .. وَإِنْ أَكَلْتَهُ سَيَذُوبُ دَاخِلَكَ لِيُقَوِّيَكَ وَيَبْنِيكَ.

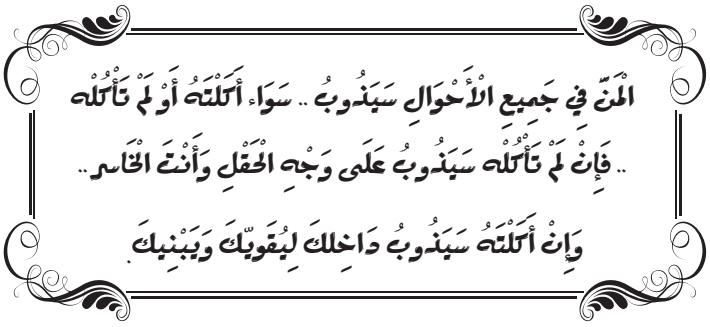

كُلُّنَا دَرَاهِم يَا صَدِيقِي

يُحَدِّثُنَا إِنْجِيلُ لُوقَا١٥: ٨ فِي مَثَلٍ رَائِعٍ عَنْ امْرَأَةٍ «لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ.» وَعَجَبِي مِنْ دِقَّةِ الْوَحِي وَرَوْعَتِهِ إِذْ قَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، هَلْ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي أَنَّ الْعُمْلَةَ مُوَحَّدَةُ الْقِيمَةِ فَلَمْ يَقُلِ الكِتَابُ إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَ لَهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ وَثَلَاثُ دَنَانِير وَفِلْسَين. إِنَّ اللهَ يَا صَدِيقِي يَرَانَا مُتَسَاوِيين فِي الْقِيمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَنَا مُطْلَقًا. وَلَكِنْ عَجَبِي مِنْ رُؤْيَتِنَا لِأَنْفُسِنَا وَبِالتَّالِي رُؤْيَتِنَا لِبَعْضِنَا الْبَعْض فَمِنَّا مَنْ هُوَ مُتَكَبِّرٌ وَيَرَى نَفْسَهُ دِينَارًا وَبِالتَّالِي يَرَى الْآخَرِينَ أَقَلّ. وَمِنَّا مَنْ هُوَ صَغِيرُ النَّفْسِ وَيَرَى نَفْسَهُ فِلْسًا وَبِالتَّالِي يَرَى نَفْسَهُ أَقَلّ. يَا صَدِيقِي لَا تَعِيش فِي الْوَهم، إِنَّ عُمْلَةَ الدِّرهَم لَنْ تُصْبِحَ فِي ذَاتِهَا دِينَارًا مَهْمَا أَضفْنَا عَلَيْهَا وَلَنْ تُصْبِحَ فِي ذَاتِهَا أَيْضًا فِلْسًا مَهْمَا أَخَذنَا مِنْهَا. فَالدِّرهَمُ قِيمَتُهُ ثَابِتَةٌ فِي دَاخِلِه.

لَكِنْ دَعْنِي أُخْبِرك عَنْ قِيمَةٍ أُخْرَى لِلدَّرهَم غَيْر هَذِهِ الْقِيمَةِ الثَّابِتَةِ دَاخِلِه، هِيَ (قِيمَةٌ مُكْتَسَبَةٌ) يَكْتَسِبُهَا الدِّرهَم مِنْ وجُودِهِ فِي يَدِ الْمَرْأَةِ حَيْثُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ الْكَثِيرَ. هَذِه هِيَ الْقِيمَةُ الَّتِي فَقَدَهَا الدِّرهَم عِنْدَمَا ضَاعَ. وَعِنْدَهَا فَإِنَّهُ حَتَّى قِيمَتُهُ الثَّابِتَة أَصْبَحَتْ بِلَا قِيمَةٍ وَوَصَل الدِّرهَم إِلَى الْأَرْض، هَلْ لَاحَظْتَ أَنَّ الْمَرْأَةَ وَجَدَتْهُ عِنْدَمَا كَنَسَتْ الْبَيْتَ، أَي أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ فِعْلًا إِلَى الْأَرْض. لَكِنْ يَا لَلنِّعْمَة إِنَّ الْمَرْأَةَ عِنْدَمَا وَجَدَتْهُ الْتَقَطتهُ مِنْ عَلَى الْأَرْض وَأَعَادتهُ لَهَا فَعَادَتْ لَهُ قِيمَتُهُ.

لَا تَتَخَيّل يَا صَدِيقِي أَنَّ مَنْصِبًا مَرْمُوقًا أَوْ مَالاً وَفِيرًا أَوْ مُمْتَلَكَاتٍ كَثِيرَةً يُمْكِنُهَا أَنْ تُزِيدَ مِنْ قِيمَتِكَ. كَفَاكَ أَوهَام وَأَحْلَام ..... الشَّيْءُ الْوَحِيد الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَ لِحَيَاتِكَ قِيمَةً هُوَ أَنْ تَعِيشَ للهِ وَفِي مَشِيئَتِه. وَأَعْلَمْ يَا صَدِيقِي أَنَّكَ دِرْهَمًا نَظِير التِّسْعَة دَرَاهِم الْأُخْرَى تَمَامًا؛ وَكَفَى شُعُورًا بِالْكِبْرِيَاءِ أَوْ شُعُورًا بِصِغَرِ النَّفْس، هَذِه الْمَشَاعِر هِيَ الَّتِي قَسَّمَت الْكَنِيسة إِلَى مُسْتَوِيَات. وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ كَمَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْكَ وَأَجْعَل مِرآتَكَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّس وَلَيْسَ تَقْيِيم النَّاسِ وَلَا تَنْسَى ..... كُلُّنَا دَرَاهِم.

مِسْمَارٌ يُلْزِمُنِي بِتَقْدِيمِ اعْتِذَارٍ .. لِمَا الْمِسْمَار؟

الْمِسْمَارُ .. الشَّرِيحَةُ .. الْجِبْسُ .. الْهَامَر .. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الْأَكْثَر اسْتِخْدَامًا لَدَى أَطِبَّاءِ جِرَاحَةِ الْعِظَامِ .. وَذَات يَوْمٍ دَاخِل غُرْفَةِ الْعَمَلِيَّات وَنَحْنُ نَقُومُ بِتَثْبِيتِ أَحَدِ الْكُسُورِ قَفَزَ لِذِهْنِي هَذَا السُّؤَالُ .. نَحْنُ نَسْتَخْدِمُ الْمَسَامِيرَ لِتَثْبِيتِ كُسُورِ الْعِظَام، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْكِتَابُ قَدْ ذَكَرَ عَنْ مَسِيحِنَا بِرُوحِ النُّبُوَّةِ أَنَّ عَظْمًا لَا يُكْسَرُ مِنْهُ. إِذًا فَلِمَا الْمِسْمَار؟ .. وَلِلتَّوضِيحِ أَقُولُ إِنَّ عِظَامَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ انْفَصَلَتْ (انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي) وَلَيْس انْكَسَرَتْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاك تَمَزُّقَاتٍ عَنِيفَةً حَدَثَتْ بِالْأَرْبِطَةِ وَالْعَضَلَاتِ أَدَّتْ إِلَى خَلْعِ الْعِظَامِ.

• **مِسْمَارٌ لِتَثْبِيتِ الْكَلَام:** فِي إِشَارَةٍ صَرِيحَةٍ لِلصَّلِيبِ، ذَكَرَ دَاوُد بِرُوحِ النُّبُوَّةِ عَنِ الْمَسِيحِ قَبْلَ مَجِيئِهِ هَذَا الْكَلَامَ « ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ ».. وَهُنَا أَرَى دَاوُد يَتَحَدَّثُ عَنْ مُعَانَاةِ الْمَسِيحِ لَيْسَ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ (جَلد وَلَطْم وَشَوك) لَكِنْ بِوَصْفٍ خَاصٍّ وَمُحَدَدٍ .. يَتَكَلَّمُ عَنْ ثَقْبِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ (بِالْجَمعِ وَلَيْسَ بِالْمُفْرَدِ) .. فَكَانَ لَابُدّ مِنْ مِسْمَارٍ يَثْقُبُ لِتَتمِيمِ الْكَلَامِ .. إِنَّهُ مِسْمَارُ تَثْبِيتِ الكَلَامِ وَلَيْسَ مِسْمَار تَثْبِيتِ الْعِظَامِ.

• **مِسْمَارٌ كَثَمَنِ السَّلَام:** وَسَط حَيْرَةِ التَّلَامِيذِ الشَّدِيدَةِ فِي الْعُلِّيَّةِ ظَهَرَ لَهُمْ يَسُوعُ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً، وَوَقَفَ فِي الْوَسَطِ وَقَالَ «سَلَامٌ لَكُمْ»، وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ .. ثَمَنُ السَّلَام .. وَعِنْدَمَا رَأَوا أَثَرَ الْمَسَامِيرِ زَالَتْ الْحِيرَةُ وَالْأَسْئِلَةُ وَالشُّكُوكُ وَحَلَّ السَّلَامُ .. مَا أَعْظَمَ كَلَام الْكِتَابِ «تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ».

• **مِسْمَارٌ يُنِيرُ الْأَبْصَار:** فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى عِمْوَاس تَارِكَيْنِ أُورُشَلِيمَ ظَهَرَ لَهُمَا يَسُوع نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا .. لَكِنَّ أَعْيِنَهُمَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ .. لَكِنْ الْكِتَاب يَقُولُ إِنَّهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ -وَحَتْمًا كَسَّرَ الْخُبْزَ بِيَدَيهِ- انْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ .. وَهُنَا أَقُولُ عَرَفَاهُ

مِنْ طَرِيقَتِهِ الْمَعْهُودَةِ لَهُمَا فِي كَسْرِ الْخُبْزِ، لَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، فَقَدْ عَرَفَاهُ أَيْضًا عِنْدَمَا رَأَيَا الثُّقُوبَ فِي يَدَيْهِ .. لَقَدْ رَأَيَا ذَاتَ الْأَيْدِي وَهِيَ تَكْسِرُ الْخُبْزَ قَبْلًا بِدُونِ ثُقُوبٍ، وَالْيَوْمَ رَأَيَاهَا وَبِهَا الثُّقُوب .. كَانَ الْمَسِيحُ لَا يَبْغِي فَقَطْ الْفِعْلَ أَلَا وَهُوَ كَسْرُ الْخُبْزِ بَلْ كَانَ يَبْغِي أَيْضًا أَنْ يُعْلِنَ الْيَدَ الْمَثْقُوبَةَ .. كَشَفَ وَهُوَ يُمْسِكُ الْخُبْزَ وَيَكْسِرُهُ عَنِ الثُّقُوبِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ.

• **مَسَامِيرُ دَائِمَةُ الْآثَارِ:** بَعْدَ أَنْ تَتِمَّ عَمَلِيَّةُ الْتِئَامِ وَالْتِحَامِ الْكَسْرِ يَقُومُ الْأَطِبَّاءُ بِإِزَالَةِ الشَّرِيحَةِ وَالْمَسَامِيرِ .. لَكِنْ تَبْقَى آثَارُ الْمَسَامِيرِ مَرْئِيَّةٌ فِي الْأَشِعَّةِ كَثُقُوبٍ مُفَرَّغَةٍ دَاخِلَ الْعِظَامِ تَأْخُذُ بَعْضَ الْوَقْتِ حَتَّى تَتَكَوَّنَ الْعِظَامُ دَاخِلَهَا ثُمَّ يَخْتَفِي أَثَرُهَا .. وَهُنَا أَنْحَنِي إِجْلَالًا أَمَامَ ثُقُوبٍ أُخْرَى دَائِمَةِ الْأَثَرِ. أَثَرٌ يُرَى فِي الْوَاقِعِ وَلَيْسَ فِي فِيلمِ الْأَشِعَّةِ .. وَأَكْبَرُ دَلِيلٍ لِذَلِكَ هُوَ السُّؤَالُ الَّذِي سَيَرِنُّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا هَذِهِ الْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ.

•**مِسْمَارٌ يُلْزِمُنِي بِتَقْدِيمِ اعْتِذَارٍ:** إِذَا كَانَ تَرْكِيبُ مِسْمَارٍ لِمَرِيضٍ، وَالْحَالَةُ لَا تَسْتَدْعِي يُعَدُّ جَرِيمَةً .. فَإِنَّ ثَقْبَ أَيْدِي وَأَرْجُلِ الْمَسِيحِ بِالْمَسَامِيرِ كَانَ أَبْشَعَ جَرِيمَةٍ ارْتَكَبَتْهَا أَيَادِي الْبَشَرِ لِأَنَّهُ كَانَ بَرِيئًا وَبَارًّا .. وَعَلَيْهِ، عَلَى الْبَشَرِ جَمِيعًا أَنْ يُقَدِّمُوا لَهُ الْاعْتِذَارَ .. لَيْسَ اعْتِذَارَ اللِّسَانِ فقط بَلْ اعْتِذَارِ الْقَلْبِ التَّائِبِ.

كَانَ مِسْمَارًا لِتَثْبِيتِ الْكَلَامِ، وَلَيْسَ مِسْمَارًا لِتَثْبِيتِ الْعِظَامِ.

آل هيرُودُس بَيْنَ الْمَعْمَدَانِ وَالدِّيدَانِ

سَأَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ الْمَشَاهِدِ الَّتِي تُوضِّحُ الْغِيَابَ الْكَامِلَ لِلعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ، بَلْ وَالضَّمِيرِ ..مَواقِفُ تُوضِّحُ مَدَى إِجْرَامِ وَشَرَاسَةِ وَنَجَاسَةِ هَذِهِ الْعَائِلَةِ الْهِيرُودُسِيَّةِ ..مُجْرِمُونَ فِي ثِيَابِ مُلُوكٍ .. وَكَمَا كَانَ فِرْعَون مُتَجَبِّرًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَإِنَّ هِيرُودُس هُوَ فِرْعَون الْعَهْدِ الْجَدِيدِ.

١ . مَجْزَرَةٌ بَشِعَةٌ ارْتُكِبَتْ بِأَمْرٍ مُبَاشِرٍ مِنَ الْمَلِكِ الْهُمَامِ .. إِبَادَةٌ جَمَاعِيَّةٌ لِجَمِيعِ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ تَزَامَنَتْ وِلَادَتِهِمْ مَعَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ، مِنْ سِنِّ سَنَتَين، فَمَا دُوْنْ. تَهَوّرٌ وَانْدِفَاعٌ يَعْكِسُ هَلَعًا دَاخِلِيًّا مِنْ صَبِيٍّ صَغِيرٍ، اسْمُهُ يَسُوع، تَخَوّفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَلِكُ الْقَادِم، الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْكُرْسِيّ .. غِيَابٌ لِلعَقْلِ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ.. اسْتِهَانَةٌ بِالدَّمِ الْإِنْسَانِيِّ وَحَقِّ الْآخَرِينَ فِي الْحَيَاةِ .. حَرقٌ لِقُلُوبِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ بِكُلِّ بِرُودٍ وَجُمُودٍ وَعَدَمِ إِحْسَاسٍ. بِقَرَارٍ خَاطِئٍ أَهْوَجٍ غَيْرِ مَدْرُوسٍ. بَلْ أَقُولُ بِقَرَارٍ تَخَطَّى مَرحَلَةَ الْخَطَأِ لِيَصِلَ إِلَى مَرْحَلَةِ الْجُنُونِ وَغِيَابِ الْعَقْلِ، وَهَذَا مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ بَشَاعَةِ آثَارِهِ الَّتِي مَلَأَتْ الْبِلَادَ بُكَاءً وَعَوِيلاً.

٢ . عَصَفَ يَوْمًا الْهَوى بِقَلبِ هِيرُدُوس، وَتَورَّطَ قَلبُهُ فِي حُبِّ هِيرُودِيَا (امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةُ فِيلبُّس أَخِيه).. وَبَرَزَ صَوتُ الْمُعَارَضَةِ قَوِّيًا فِي صَرْخَةِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَان (لَا يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ).. أَزْعَجَ هَذَا الصَّوتُ هِيرُودُس وَهِيرُودِيَا، وَتَعَارَضَ مَعَ الْأَجْوَاءِ الرُّومَانْسِيَّةِ الَّتِي حَلمُوا بِهَا .. وَفِي لَيلَةٍ رَاقِصَةٍ مِنْ لَيَالِي الْمَلِكِ الْفَاسِدِ رَقَصَتْ ابْنَةُ هِيرُودِيَا وَسَرَّتْ الْمَلِك؛ فَتَورَّط مَرَّةً أُخْرَى، بِقَسَمٍ أَنْ يُعْطِيَهَا مَا تَطلُبُهُ .. فَطَلَبَتْ طَلَبًا لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ عَقْلِ فَتَاةٍ ..طَلَبَتْ رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَان عَلَى طَبَقٍ .. لَكِنَّ الْكِتَابَ كَشَفَ سِرَّ هذَا الطَّلَبِ عِنْدَمَا قَالَ: « إِذْ كَانَتْ قَدْ تَلَقَّنَتْ مِنْ أُمِّهَا » .. لَمْ يَكُنْ طَلَبُهَا الشَّخْصِيّ بَلْ كَانَ طَلَبُ أُمِّهَا. مَا أَخْطَرَ التَّلْقِين حِينَ يَطْلُبُ النَّاسُ مَا لَا يَرِيدُوهُ، بَلْ أَقُولُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مَا لَا يَفْهَمُوهُ .. فَأَرْسَلَ هِيرُودُس وَاغْتَالَ يُوحَنَّا وَقَطَعَ رَأْسَهِ بِالسَّيفِ.

٣ . مَرَّةٌ أُخْرَى يَثْبُتُ أَنَّ الْقَتلَ وَالاغْتِيَالَ هما مَنْهَجُ الْهِيرُودُيسِيّن .. وَفِي جَرِيمَةٍ جَدِيدَةٍ يَرْسِلُ هِيرُودُس آخر وَيَقْتِلُ يَعْقُوبَ بِالسَّيفِ فِي السَّجنِ .. لَكِنْ لَمْ يَنْتَهِ الإِصْحَاحُ إِلَّا وَنَحْنُ نَرَى هِيرُودُس يَمُوتُ مِيتَةً بَشِعَةً، إِذْ ضَرَبَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ فَأَكَلَهُ الدُّودُ وَهُوَ حَيٌّ فِي مَشْهَدٍ بَشِعٍ يُعْلِنُ أَنَّ عَفَنَ الْأَفْعَالِ وَالْجَرَائِمِ وَصَلَ لِلحَدِّ الَّذِي اسْتَدعَى الدُّودَ .. لَمْ تُنْقِذْهُ حُلَّتُهُ الْمَلَكِيَّة، وَلَمْ يَسْتَطِع سَيَّافُهُ أَنْ يَحْمِيَهُ .. السَّيَّافُ الَّذِي قَطَعَ يَوْمًا رَأْسَ الْمَعْمَدَان لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْنَعَ زَحْفَ الدِّيدَانِ .

وَقْتُ الصَّلبِ قَالَ الْمَسِيحُ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ عَنْ نَفْسِه: «أَنَا دُودَةٌ لَا إِنْسَان» .. وَظَنَّ هِيرُودُس فِي غَبَائِهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ضَعِيفٌ؛ فَاحْتَقَرَهُ .. لَكِنْ مَنْظَر الدُّودِ وَهُوَ يَأْكُلُ هِيرُودُس حَيًّا يَقُولُ: إِنَّ ضَعْفَ اللهِ أَقْوى مِنَ النَّاسِ، فَكَمْ تَكُونُ قُوَّتُهُ فَاحْذَرُوهُ.

السَّيَّافُ الَّذِي قَطَعَ رَأْسَ الْمَعْمَدَان، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْنَعَ زَحْفَ الدِّيدَان.

أَزْمَةٌ مُرُورِيَّة بِعَقْلِي

وَجَدتُ ضَالَّتِي الْمَنْشُودة وَأَنَا أُرَاقِبُ عَقْلِي كَيْفَ يُفكِّرُ وَفِيمَا يفكِّرُ مُحَاوِلاً أَنْ أَجِدَ شيئًا مَلْمُوسًا مِنَ الْوَاقِعِ يُقَرِّبُ لِعَقْلِي مَا يَحْدُثُ دَاخِلَهُ .. وَأَخِيرًا وَجَدتُهَا .. إِنَّ مَا يَحْدُثُ فِي عقُولِنَا مِنْ عَمَلِيَّاتٍ مُعَقَّدَةٍ لِتَخْلِيقِ الْفِكْرَةِ وَتَحَرُّكِهَا فِي مَسَارَاتٍ مُعَيَّنَةٍ أَشْبَهُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ بِحَرَكَةِ السَّيَارَاتِ فِي الشَّارِعِ .. هَيَّا مَعِي لِتَعْرِفَ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِيضَاحِ مَا يَحْدُثُ دَاخِلَ عقُولِنَا.

ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا أَقُودُ السَّيارة رَأَيتُ حَولِي سَيَارَاتٍ مِنَ الصَّعبِ أَنْ تَحْصُرَ عَدَدَهَا تَجُوبُ الشَّوارع وَالْمَيَادِين (تَكَدُّس وَ ازْدِحَامٌ) بَعْضُهَا ضَخْمٌ وَبَعْضهَا صَغِيرٌ. بَعْضُهَا مُنْدَفِعٌ وَبَعْضهَا بَطِيءٌ .. بَعْضُهَا حَائِرٌ وَبَعْضهَا يَعْرِفُ وجْهَتَهُ وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ .. بَعْضُهَا يَسِيرُ فِي ذَاتِ الْاتِّجَاهِ وَالْبَعْض عَكْس الْاتِّجَاه .. بَعْضُهَا يَخْرُجُ فَجَأَةً دُوْنَ سَابِقِ إِنْذَارٍ (مِنْ شَارِعٍ جَانبيٍّ مَثَلًا) وَبَعْضهَا يَظَلُّ يَدُور فِي الْمَيدَانِ لَا يَعْرِفُ الْمَخْرج الْمُنَاسب لَهُ .. بَعْضُهَا يَحْتَرِمُ الْإِشَارَات، وَالْبَعْض يَتَجَاهَلهَا وَيَكْسِرُهَا .. الْبَعْضُ يَرْكِنُ بِجَانِبِ الطَّرِيقِ أَيَّامًا وَشهُورًا يَعْلُوهُ التُّرَابُ، وَالْبَعْضُ يَرْكِنُ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ دُوْنَ مُحَاسِبٍ أَوْ رَقِيبٍ .. وَهُنَا قُلتُ لِنَفْسِي بِكُلِّ بَسَاطَةٍ هَذَا هُوَ الْعَقْلُ الْبَشَرِيّ.

إِنَّ الْعَقْلَ البَشَرِيّ تَمُرُّ فِي شَوارِعِهِ وَمَيَادِينِهِ مَلَايين الْأَفكَارِ يَومِيًّا .. بَعْضُهَا أَفكَار ضَخْمَة وَعِملَاقة تُهَيمِنُ عَلَى مَرَاكِزِ الْفِكرِ لِبَحْثِهَا؛ وَالْبَعْضُ أَفْكَارصَغِيرة تَمُرُّ مُرُور الْكِرَام .. بَعْضُهَا مُنْدَفِعٌ وَانْدِفَاعهُ نَاتِجٌ عَنْ قَنَاعَتِنَا الشَّدِيدة بِهِ، وَالْبَعْضُ بَطِيءٌ وَتَحْتَ الْبَحْث، وَلَمْ يَصِلْ لِحَيزِ التَّنْفِيذِ بِاتِّخَاذِ الْقَرَارِ .. بَعْضُهَا فُجَائِيٌّ لَمْ نُفَكِرْ فِيهِ مِنْ قَبْل، وَلَمْ نَعْمَلْ لَهُ حِسَابٌ .. بَعْضُهَا أَفْكَارٌ قَدِيمةٌ مَرْكُونَةٌ يَعْلُوهَا التُّرَابُ، وَبَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَر نُنَاقِشُهَا ثُمَّ نَعُودُ لِنَركِنَهَا مَرَّةً أُخْرَى أَوْ نَتَخَلَّصُ مِنْهَا .. بَعْضُهَا يَظَلُّ يَدُورُ فِي مَيَادِينِ عقُولِنَا لِشهُورٍ أَوْ رُبَّمَا لِسنِينٍ دُوْنَ حَسْمٍ .. وَكَثِيرًا مَا يَحْدُث دَاخِلَ عقُولِنَا حَوادِث تَصَادُمٍ مُدَمِّرة .. كَثِيرًا مَا تَتَصَادَم الْأَفْكَارُ

وَالْقَنَاعَاتُ وَيُدَوِّي صَوتُ الْحَادِثِ وَيُزَلزِلُ الْكَيَان، وَلِكُلِّ حَادِثٍ خَسَائِرُ .. وَبَيْنَ تَفْسِيرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لآيَاتٍ خَضْرَاء تَسْمَحُ بِالسَّيرِ وَآيَاتٍ حَمْرَاء تُحُثُّنَا عَلَى الْوقُوفِ، مَا عُدْنَا نَعْرِفُ مَاذَا نَفْعَلُ: نَسِيرُ أَمْ نَقِفُ؟ .. وَهُنَا وَسْطَ هَذِهِ الْأَزْمَةِ تَظْهَرُ الْحَاجَةُ الشَّدِيدةُ لِنجْمِ الْمَشْرِقِ نَسِيرُ خَلْفَهُ كُلَّمَا سَارَ وَنَقِفُ عِنْدَمَا يَقِفُ .. تَظْهَرُ الْحَاجَةُ الشَّدِيدةُ لِعَمُودِ السَّحَابِ وَعَمُودِ النَّارِ .. تَظْهَرُ الْحَاجَةُ الشَّدِيدةُ لِقَائِدِ الْمُرُورِ الْأَعظم وَهُوَ يَعِدُ قَائِلًا: «أُعَلِّمُكَ وَأَرْشِدُكَ».

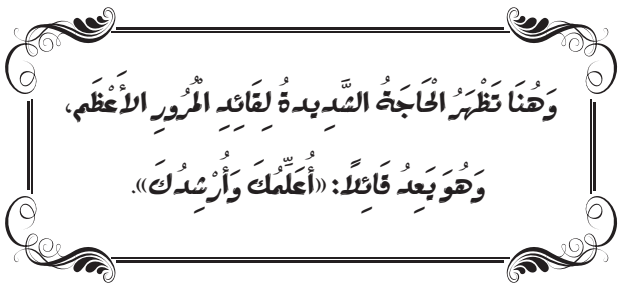

رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ

يُحَدِّثُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّس عَنْ رَجُلٍ غَنِيٍّ وَامْرَأةٍ فَقِيرَةٍ. فَهَيَّا مَعِي لِتَعْرِفَ مَنْ فِيهِمَا الْغَنِيّ وَمَنْ الْفَقِير.

أَرْمَلَةُ صَرْفَةِ صِيدُون (١مُل١٧: ٨- ٢٤)	إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ (لُو١٢: ١٦- ٢١)
١.امْرَأَةٌ (ضَعِيفَةٌ بِطَبِيعَةِ الْحَال). ٢.أَرْمَلَةٌ (لَيْسَ لَهَا مَنْ يَعُولَهَا). ٣.لَدَيهَا ابْنٌ (عَلَيهَا مَسْؤولِيَّة أَنْ تَعُولَ هَذَا الابْنَ). ٤.تَعِيشُ فِي فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ كَانَتْ فِيهَا الْأَرْضُ جَافَةً وَبِلاَ مَطَر. ٥.كُلُّ مَا كَانَتْ تَمْلِكُهُ لاَ يَزِيدُ عَنْ قَلِيلٍ مِنَ الزَّيتِ فِي الْكُوزِ وَمِلءِ كَفٍّ دَقِيقٍ فِي الْكَوَّارِ. ٦.خَرَجَتْ تَقُشُّ عُودَيْنِ مِنْ أَرْضٍ جَافَة. ٧.كَانَتْ تَنْتَظِرُ الْمَوتَ فِي ذَاتِ اللَّيْلَةِ .. قَالَتْ لإِيلِيَّا هَأَنَذَا أَقُشُّ عُودَيْنِ لآتِي وَأَعْمَلَهُ لِي وَلابْنِي لِنَأْكُلَهُ ثُمَّ نَمُوتُ.	١.رَجُلٌ (قَوِيٌّ بِطَبِيعَةِ الْحَال). ٢.لَمْ يَذْكُرِ الْكِتَابُ أَنَّهُ مُتَزَوِّجٌ وَبِالتَّالِي لَيْسَ عَلَيهِ أَيَّة مَسؤولِيَّات. ٣.يَعِيشُ فِي فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ كَانَتْ فِيهَا الْأَرْضُ خِصْبَةً .. يَقُولُ عَنْهُ الْكِتَابُ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ. ٤.لَدَيه مَخَازِنُ .. وَمَخَازِنهُ مُمْتَلِئَةٌ إِلَى فَوهَتِهَا لِدَرَجَةِ أَنَّهَا ضَاقَتْ عَلَى الثِّمَارِ وَاحْتَاجَ أَنْ يَهْدِمَهَا وَيَبْنِي مَخَازِنَ أَعْظَم. ٥.قَالَ عَنْهُ الْكِتَابُ أَنَّهُ يَجْمَعُ أَثْمَارَهُ، وَلَيْسَ يَقُشُّ عُودَيْنِ كَتِلْكَ الْأَرْمَلَة.(يَجْمَعُ وَلَيْسَ يَقُشُّ... أَثْمَارًا وَلَيْسَ عُودَيْنِ). ٦.كَانَ لاَ يُفَكِّرُ فِي الْمَوتِ مُطْلَقًا، بَلْ بِالْعَكس قَالَ لِنَفْسِه لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ.

حَيَاةُ رَجُلٍ وَامْرَأةٍ عَلَى طَرَفَيِّ النَّقِيضِ، لَكِنْ مَا أَذْهَلَنِي هُوَ أَنَّ الْأَرْمَلَةَ الَّتِي طِبْقًا لِلْمَنْطِقِ وَالْوَاقِعِ كَانَتْ تَعِيشُ يَوْمَهَا الْأَخِير عَلَى هَذِهِ الْأَرْض، عَاشَتْ هِيَ وَابْنُهَا وَإِيلِيَّا أَيَّامًا .. وَالرَّجُلُ الَّذِي طِبْقًا لِلْمَنْطِقِ وَالْوَاقِعِ أَمَامَهُ الْعُمْر طَوِيلاً مَاتَ فِي ذَاتِ اللَّيْلَةِ وَأُخِذَتْ نَفْسَهُ مِنْهُ .. صدق المسيح عندما قَالَ (إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِه) .. كَمَا أَنِّي أَرَى أَنَّ

كِوَّارُ الدَّقِيقِ وَكُوزَ الزَّيتِ قَدْ تَحَوَّلَا بِقَولِ إِيلِيَّا (كِوَّارُ الدَّقِيقِ لَا يَفْرُغُ وَكُوزُ الزَّيْتِ لَا يَنْقُصُ) .

إِلَى مَخَازِنٍ لَا تَنْضَبُ، ضَرَبَتْ بِمَخَازِنَ هَذَا الرَّجُلِ الْغَنِيّ عَرضَ الْحَائِطِ .. صَدِيقِي اللهُ إِذَا دَخَلَ إِلَى مُعَادَلَةِ حَيَاتِكَ حَتْمًا سَيُغَيِّرُ النَّتَائِجَ .. كَفَاكَ اعْتِمَادًا عَلَى ذِرَاعٍ يَهْدِمُ وَيَبْنِي ..اللهُ بِبَرَكَتِهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشْبِعَ وَيُغْنِي.

كِوَّارُ الدَّقِيقِ وَكُوزُ الزَّيْتِ قد تَحَوَّلَا بِقَولِ إِيلِيَّا إِلَى مَخَازِنٍ
لَا تَنْضَبْ، ضَرَبَتْ بِمَخَازِنِ الرَّجُلِ الْغَنِيّ عَرْضَ الْحَائِطِ.

الْأَرْمَلَةُ بَيْنَ إِيلِيَّا وَأَلِيشَع

فِي الْجُزءِ السَّابِق عَقدتُ مُقَارَنَةً بَيْنَ أَرْمَلَةِ صرْفَةِ صيدُون وَالرَّجُلِ الْغَنِيِّ الَّذِي أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، وَفِي هَذَا الْجُزءِ أَرِيدُ أَنْ أُبَيّنَ حِكْمَةَ اللهِ الْعَالِية مِنْ خِلَالِ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْأَرْمَلَةِ أَيَّام إِيلِيَّا وَالْأَرْمَلَةِ أَيَّام أَلِيشَع .. وَبِالتَّحْدِيدِ أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَ عَلَى سُؤَالٍ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّة ..

هَلْ يُمِيِّزُ اللهُ بَيْنَ أَولَادِه؟

الْمُقَارَنَاتُ هِيَ أَحَدُ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي حَيَاتِنَا سَواء بِإِدْرَاكٍ مِنَّا وَأَحْيَانًا دُوْنَ أَنْ نُدْرِكَ .. وَهِيَ مِنْ أَخْطَرِ الْأُمُورِ تَأْثِيرًا عَلَى حَيَاتِنَا ..

مِنَ الْمَنْظُورِ السَّطْحِيّ يَبْدُو أَنَّ حَالَةَ أَرْمَلَةِ إِيلِيَّا هِيَ ذَاتُ حَالَةِ أَرْمَلَةِ أَلِيشَع .. فَكِلْتَاهُمَا أَرْمَلَةٌ .. كِلْتَاهُمَا لَدَيهَا مَنْ يَحْتَاج إِلَى إِعَالَةٍ (أَرْمَلَةُ إِيلِيَّا لَدَيهَا ابْنٌ وَأَرْمَلَةُ أَلِيشَع لَدَيهَا ابْنَين).. كِلْتَاهُمَا لَيْسَ لَدَيهَا مَا يَكْفِيهَا (أَرْمَلَةُ إِيلِيَّا لَدَيهَا قَلِيلٌ مِنَ الزَّيْتِ فِي الْكُوزِ وَأَرْمَلَةُ أَلِيشَع لَدَيهَا دُهْنَةُ زَيْتٍ) لَكِنْ الشَّيْء الَّذِي يَلْفِتُ الْانْتِبَاه هُوَ أَنَّ تَدَخُّلَ اللهِ فِي كِلَا الْمَشْهَدين كَانَ مُخْتَلِفًا .. نَعَمْ هُوَ بَارَكَ الْاثْنَتَيْنِ لِكِنْ بِطَرِيقَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ .. الْأُولَى بَارَكَهَا بِأَنْ جَعَلَ الزَّيْتَ لَا يَنْقُصُ وَالثَّانِيَةُ بَارَكَهَا بِأَنْ جَعَلَ الزَّيْتَ يَتَضَاعَفُ وَيَزِيدُ .. وَكُلٌّ مِنَّا طِبْقًا لِلطَبِيعَةِ الْبَشَرِيَّة يُفَضِّلُ الطَّرِيقَةَ الثَّانِيَة، يُفَضِّلُ الزِّيَادَة .. لَكِنَّ اللهَ لَا يَسْتَخْدِمُ الْمُعْجِزَاتِ لِلْاسْتِعْرَاضِ وَلَكِنْ لِسَدِّ الْاحْتِيَاجِ ..

وَلِكَي يَتَضِحَ الْمَعْنَى أَقُولُ إِنَّهُ رَغْمَ التَّشَابُهِ الْكَبِير فِي الْحَالَتَين فَإِنَّ الْاحْتِيَاج كَانَ مُخْتَلِفًا .. فَأَرْمَلَةُ إِيلِيَّا تَحْتَاجُ إِلَى طَعَام، أَي كَانَ الْاحْتِيَاجُ هُوَ سَدُّ الْجُوعِ، لِأَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ فِي حَالَةِ جَفَافٍ .. أَمَّا أَرْمَلَةُ أَلِيشَع كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى أَمْوَالٍ، أَي كَانَ الْاحْتِيَاجُ هُوَ سَدُّ الدَّين لِئَلَّا يَأْتِي الْمُرَابِي وَيَأْخُذُ وَلَدَيهَا لَهُ عَبْدَيْن.

فلَوْ فَعَلَ إِليشَع كَمَا فَعَلَ إيليَّا وَقَالَ لِلْأَرْمَلَة إِنَّ دُهْنَةَ الزَّيْت هَذه لَنْ تَنْقُصَ ..اذْهَبي أَعْطي الْوعَاءَ لِلْمُرَابي وَقُولي لَهُ إِنَّ دُهْنَةَ الزَّيْت هَذه مُبَارَكَةٌ جدًّا وَلَنْ تَنْقُصَ أَبَدًا؛ وَهُوَ بِهَذَا سَيُسْقِطُ الدَّينَ عَنْك .. هَلْ كَانَ الْمُرَابي سَيُصَدِّقُ؟ .. أَمْ أَنَّهُ سَيَقُولُ يَا لِلْهَوَلِ ثِقْلُ الدَّين جَعَلَ الْمَرأَةَ تَفْقِدُ عَقْلَهَا .. لقَدْ كَانَتْ الْأَرْمَلَةُ أَيَّامَ أَليشَع فِي احْتِيَاجٍ إِلَى كَمٍّ كَبِيرٍ مِنَ الزَّيْت لِكَي تَبِيعَهُ وَتُعْطِي الْأَمْوالَ لِلْمُرَابي لِيُسْقِطَ عَنْهَا الدَّينَ لِهَذَا كَانَ الْحَلُّ هُوَ زِيَادةُ كَمِّية الزَّيْت.

وَلَوْ فَعَلَ إِيليَّا كَمَا فَعَلَ أَليشَع وَقَالَ لِلْأَرْمَلَة اذْهَبي اسْتَعيري أَوْعِيَةً مِنْ جيرَانِك .. كَيْفَ كَانَتْ سَتَطلُبُ مِنْ جيرَانِهَا أَوْعِيَةً وَالْبَلَدُ فِي حَالَة جَفَافٍ شَديد، وَالنَّاسُ وَالْبَهَائِمُ تَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَش؟ .. أَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ هَذَا الْفِعْلِ سَيُعَرِّضُ حَيَاتَهَا وَابْنَهَا لِلْخَطَر (السّطوُ عَلَى مَنْزِلِهَا مَثَلاً لِأَخذ الزَّيتَ وَالدَّقيقَ .. مِثْلَمَا يَحْدُثُ فِي ثَورَات الْجِيَاع) .. كَمَا أَنَّ زِيَادةَ كَمِّية الزَّيْت لِأَرْمَلَة إِيليَّا كَانَ يَعْني أَنَّهَا سَتُخَزِّنُ هَذه الْكَمِّيَات لِفتَرَات طَويلَة حَتَّى يَأْتي الْمَطَرُ (لِأَنَّهَا لَنْ تَبِيعَهَا كَمَا فَعَلَتْ أَرْمَلَةُ أَليشَع). وَالتَّخْزِينُ كَانَ مِنَ الْمُمكِنِ أَنْ يُعَرِّضَ هَذه الْمَوادَ الْغِذَائِية لِلتَّلَف؛ مِمَّا سَيَجْعَلُهَا غَيْرَ آمِنَة صِحِّيًّا لِلْأَكْل .. لِهَذَا كَانَ عَدَمُ نُقْصَانِ الزَّيْت هُوَ الْوَسِيلَةُ الْحَكِيمَةُ (أَمْنِيًّا وَصِحِّيًّا) لِلبَرَكَة وَسَدِّ الْجُوع

صَديقي حَاشَا للّه أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ أَوْلَادِه .. الْاخْتِلَافَاتُ الَّتي تَظُنُّهَا تَمييزٌ إِنْ بَحَثتَ فِي أَعْمَاقِهَا سَتَكْتَشِفُ إِلَهًا حَكِيمًا، حِكْمَتُهُ تَفُوقُ الْعَقْلَ وَتُرَاعِي أَدقّ التَّفَاصِيل، وَسَتُدْرِكُ أَنَّهُ بِحِكْمَةٍ يَعْمَلُ لك الْأَفْضَلَ.

الْاخْتِلَافَاتُ الَّتِي تَظُنُّهَا تَمييزٌ إِنْ بَحَثتَ فِي أَعْمَاقِهَا سَتَكْتَشِفُ إِلَهًا حَكِيمًا، حِكْمَتُهُ تَفُوقُ الْعَقْلَ وَتُرَاعِي أَدقّ التَّفَاصِيل

أَخَذَتْ بِالْجُمْلَةِ بِدُوْنِ عُمْلَةٍ

نُصَلِّي كَثِيرًا أَنْ يَزِيدَ اللهُ إِيمَانَنَا وَيُقَوِّيَهُ لِكَي يَصِلَ لِلدَرَجَةِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَرِّكَ اللهَ لِيَصْنَعَ مَعَنَا الْمُعْجِزَةَ .. وَنَظُنُّ فِي دَاخِلِنَا أَنَّ مَا نَمْلُكَهُ مِنَ الْإِيمَانِ لَا يَكْفِي لِأَنْ يُحَرِّكَ اللهُ يَدَهُ وَيَصْنَعُ .. وَكَأَنَّ الْإِيمَان عُمْلَةٌ وَالْمُعْجِزَة سِلعَة وَاللهِ بَائِعٌ وَأَنَا مُشْتَرِي .. وَهَذَا اعْتِقَادٌ خَاطِئٌ تَمَامًا شَوَّهَ صُورَةَ اللهِ وَمَعْنَى الْإِيمَانِ وَقِيمَةَ الْمُعْجِزَةِ فِي نَظَرِ الْبَشَرِ .. نَعَمْ قَالَ السَّيِّدُ الْمَسِيح للأَعْمَيَان قَبْلَ أَنْ يُفَتِّحَ أَعْيُنَهُمَا «بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا». لَكِنْ هَيَّا مَعِي لِتَعْرِفَ أَنَّ الْمَسِيحَ لَهُ الْمَجْد لَمْ يَكُنْ يَعْنِي هُنَا أَنَّ الْإِيمَانَ لَهُ قُوَّةٌ شِرَائِيَّةٍ، لَكِنْ كَانَ يَعْنِي مَا هُوَ أَبْعَدُ بِكَثِيرٍ عَنْ فِكْرِنَا الْبَشَرِيِّ السَّطْحِيِّ.

فِي سِفْرِ الْمُلُوكِ الثَّانِي الْإِصْحَاح الرَّابِع يَذْكُرُ الْكِتَابُ قِصَّةً مُعَبِّرَةً عَنْ امْرَأَةٍ مَاتَ زَوجُهَا وَتَرَكَ دَينًا كَبِيرًا، وَهِيَ لَا تَمْلِكُ مَا يَسدّ هَذَا الدَّين .. فَصَرَخَتْ إِلَى أَلِيشَع .. وَحَتَّى لَا أُطِيلُ لِأَنَّنَا جَمِيعًا نَعْرِفُ الْقِصَّةَ، قَالَ لَهَا أَلِيشَع: «اذْهَبِي اسْتَعِيرِي لِنَفْسِكِ أَوْعِيَةً مِنْ خَارِجٍ، مِنْ عِنْدِ جَمِيعِ جِيرَانِكِ، أَوْعِيَةً فَارِغَةً . لَا تُقَلِّلِي» .. فَفَعَلَتْ وَبَدَأَتْ تَصُبُّ الزَّيْتَ كَمَا قَالَ لَهَا .. وَتَأْتِي هَذِهِ الْعِبَارَةُ الَّتِي تَحِلُّ اللُّغْزَ «وَلَمَّا امْتَلَأَتِ الْأَوْعِيَةُ قَالَتْ لِابْنِهَا قَدِّمْ لِي أَيْضًا وِعَاءً، فَقَالَ لَهَا لَا يُوجَدُ بَعْدُ وِعَاءٌ؛ فَوَقَفَ الزَّيْتُ».. وَهُنَا أَقُولُ إِنَّ الزَّيْتَ وَقَفَ لِأَنَّ الْأَوَانِي امْتَلَأَت .. إِنَّ الرَّبَّ أَعْطَى عَلَى حَسَبِ سِعَةِ الْأَوَانِي .. إِنَّ الْإِيمَانَ لَهُ سِعَة وَحَجْم وَلَيْسَ قِيمَة شِرَائِيَّة كَعُمْلَةٍ نَقْدِيةٍ .. وَاللهُ يُعْطِي عَلَى حَسَبِ سِعَةِ إِيمَانِي، وَإِذَا أَعْطَى أَكْثَرَ فَإِنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أُدْرِكَ أَوْ أَسْتَوعِبَ الْفَائِضَ .. بِلُغَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ إِنَّ الْفَائِضَ سَيُهْدَرُ وَيُسْكَبُ عَلَى الْأَرْضِ .. أَصْدِقَائِي مَا أَحْكَمَ هَذَا الْإِلَه وَمَا أَعْظَمَ الْإِيمَان الَّذِي يُهَيِّئُ أَوَانِينَا وَيَحْفُرُ بِهَا عُمْقًا، وَيَعِدُّ عُقُولَنَا وَكِيَانَنَا الرُّوحِيّ لِكَيْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَسْتَوعِبَ وَنُدْرِك وَنَسْتَقْبِل الْفِعلَ الْإِلَهِيّ ..

وَلِكَيْ تَتَضِحَ الْفِكْرَة أكثر أُعْطِيكُمْ مَثَلاً أَخِرًا لِشَخْصٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْتَمِلَ كَثِيرًا الْفِعلَ الْإِلَهِيّ لِقِلَّةِ إِيمَانِه،قَالَ يَوْمًا بُطْرُس لِلْمَسِيحِ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ.

وَأَتَخَيَّلُ الْمَسِيحَ يَقُولُ لَهُ أَنْتَ بِذَلِكَ تَضغَطُ وَتُضَيّقُ عَلَى نَفْسِكَ لأَنَّ حَجْمَ إِيمَانِكَ لَنْ يَسْتَوعِبَ مَا تَطلُبُهُ إِنْ حَقّقتَهُ لَكَ .. وَبِالْفِعلِ عِنْدَمَا قَالَ لَهُ : «تَعَالَ»، لَمْ يَسْتَطِعْ بُطْرُس أَنْ يَصْمُدَ طَوِيلاً وَلَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً ابْتَدَأَ يَغْرَقُ .. فَقَالَ لَهُ الْمَسِيحُ يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ لِمَاذَا شَكَكْتَ؟ .. لَمْ يَكُنْ الْإِنَاءُ مُتَّسِعًا بِالدَّرَجَةِ الْكَافِيةِ الَّتِي تَجْعَلُهُ يَظِلّ طَافِيًا . ولِعَلَكَ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي الْفَرقَ بَيْنَ قَولِ أَليشَع لِلْمَرْأَةِ « لَا تُقَلِّلِي » وَبَيْنَ قَولِ الرَّبِّ لِبُطْرُس « يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ » .. نَعَمْ اللهُ يُعْطِي حَسَبَ سِعَةِ إِيمَانِنَا. فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ أَخَذَتْ بِالْجُمْلَةِ بِدُوْنِ عُمْلَةٍ، لأَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ عُمْلَة. صَدِيقِي مَا أَعْمَقَ كَلِمَاتِ الْمَسِيحِ (آبَارٌ ذَاخِرَةٌ) .. أُصَلِّي أَنْ يُوسِّعَ الرَّبُّ حدُودَ الْمَحْدُودِ فَنُدْرِكُ ..

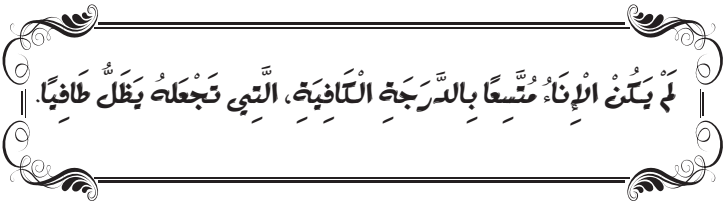

امْرَأَةٌ تُواجِهُ الْأَخْطَار بِكُوزٍ وَكِوَّارٍ

صَدِيقِي، لَا تَعْتَنِقْ الأَمْثَال الشَّعبِيَّة، الَّتِي يُردّدُهَا النَّاسُ، مِثْل: «خُذْ مِنَ التَّلِّ يَحْتَل»؛ حَتَّى لَايَضْعُف إِيْمَانُكَ، وَتَتَحوّل إِلَى شَخْصٍ طَمَّاعٍ وَأَنَانيٍّ -عِنْدَهُ عَدَمُ اكْتِفَاءٍ، دَائِمًا يُرِيدُ الْمَزِيدَ حَتَّى لَا يَخْتَلّ التَّلُّ- وَبَخِيلٌ وَقَلِقٌ عَلَى مَا يَمْلُكُ. فأَرْمَلَةً إِيلِيَّا كَانَتْ لَا تَمْلِكُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ الزَّيْتِ فِي الْكُوزِ وَمِلْءُ كَفٍّ دَقِيقٍ فِي الْكُوَّارِ عَاشَتْ أَيَّامًا تَأْخُذُ مِمّا تَمْلِكُ وَمَا تَمْلُكَهُ لَمْ يَخْتَلّ أَوْ يَنْقُص أَوْ يَفْرُغ (١مُل٨ : ١٧) هَلْ تَعْلَمْ السِّرَّ؟ لأَنَّ الرَّبَّ تَكَلَّمَ بِالْبَرَكَة .. فالَّذِي يَحْمِي مَا تَمْلُكَهُ مِنَ الاخْتِلَالِ لَيْسَ حِرْصُكَ الزَّائِد عَلَيهِ بَلْ بَرَكَةُ الرَّبِّ فِيهِ. فَالْبَرَكَةُ لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ مَا تَمْلُكُ يَزِيد، بَلْ قَدْ تَكُونُ أَنَّ مَا تَمْلُكُ رَغْمَ الْاسْتِخدَامِ لَا يَنْقُصُ، أَي يُسْتَخْدَمُ وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَهْلَكُ.

Take from the hill …. It will be still

نَطَقَ وَقَالَ لَا يَكُنْ طَلٌّ وَلَا أَمْطَارْ

فَجَفَّتْ الْأَرْضُ وَيَبِسَتْ النَّبَاتَاتُ وَالْأَشْجَارْ

مَاتَت الْبَهَائِمُ مِنْ إِنْعِدَامِ الْمَاءِ فِي الْآبَارْ

كَارِثَةٌ عَامَّةٌ وَلَهَا عَلَى الْمُسْتَوى الْفَرْدِيِّ آثَار

فَإِمْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ لَيْسَ لَهَا رَجُلٌ يَسْنِدُ أَوْ يَغَارْ

وَلَدَيهَا ابْنٌ لَابُدَّ تُطْعِمَهُ لِيُصْبِحَ مِنَ الْكِبَارْ

خَرَجَتْ تَقِشُّ عِيدَانًا مِنْ أَرْضٍ أَصْبَحَتْ قِفَارْ

خَرَجَتْ فِي صَمْتٍ وَيَأْسٍ تَحْسِبَهُ آخِرَ نِهَارْ

قَطَعَ صَمْتَهَا نِدَاءٌ مِنْ إِيلِيَّا النَّبِيّ الْجَبَّار

هَاتِي قَلِيلَ مَاءٍ لِأَشْرَبَ، قَالَهَا لِيَفْتَحَ الْحِوَارْ

وَاعْمَلِي لِي كَعْكَةً فِي الْحَجْمِ مِنَ الصِّغَارْ

وَلَا تَخْشِي الْعَوَزَ لِأَنَّ الْبَرَكَةَ فَرَّتْ وَمَاتَت الثِّمَارْ

فَاللهُ أَبْقَى لَكِ بَرَكَةً دَاخِلَ الْكُوزِ وَالْكُوَّارْ

فَكَفُّ الدَّقِيقِ سَيَبْقَى وَكَذَا الزَّيْتُ لَنْ يَنْهَارْ

إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُعْطِي اللهُ الْمَاءَ وَالْأَمْطَارْ

عَجَبِي فِي الْخَارِجِ جُوعٌ وَمَوتٌ وَاحْتِضَارْ

وَفِي الدَّاخِلِ شِبَعٌ وَفَيضُ حَيَاةٍ كَالْأَنْهَارْ

لَكِنْ فَجْأَةً مَاتَ الصَّبِيُّ. أُخِذَ دُوْنَ سَابِقِ إِنْذَارْ

أُخِذَ وَقَدْ كَانَ لَهَا نُورَ الْعَينِ وَالْإِبْصَارْ

لَا أَعرِفُ مَاذَا أَكْتبُ أَمَامَ حَدَثٍ يُجَفِّفُ الْأَحْبَارْ

حَدَثٌ هَزَّ حَيَاتَهَا وَأَعَادَ لَهَا طَعَم الْمَرَارْ

جَرْحٌ عميق صَنَعَهُ فِي الحشا وَكَانَ لِلْإِثْمِ تِذْكَارْ

مَا كَانَ يَبْغِي أَلَمَهَا بَلْ كَانَ يَبْغِي تَصْحِيح الْمَسَارْ

وَمَا إِنْ فَطِنَتْ أَعَادَهُ، وَوَضَعَ عَلَى الْجُرحِ الْغِيَار

نَعَمْ قُدُّوسٌ ..لَا يُبَارِكُ وَفِي الْقَلبِ خَطِيَّةٌ وَعَارْ

فَلَا تَفْحَص يَا صَدِيقِي خَلَفَهُ فَمَا أَبْعَد الْأَفْكَارْ

وَإِنْ أَحْنَى ظَهرَكَ الضِّيقُ أَوْ غَلَاءُ الْأَسْعَارْ

فَلَا تيأَس وَتَفْشَل وَتَشْعُر بِالْخِوَارْ

وَلَا تَذْهَبُ بِضَعفِ إِيمَانٍ وَتَقْرَعُ بَابَ الْجَارْ

ادْخُلْ مَخْدَعَكَ وَأَرسِلْ لِرَبِّ السَّمَاءِ إِشْعَارْ

سَيَكْشِفُ لَكَ الْحَلَّ حَالاً فَهُوَ كَاشِفُ الْأَسْرَارْ

وَإِنْ جَاءَتْ عَلَيْكَ ظُلْمَةٌ وَضَاعَ مِنْكَ الْفَنَارْ

لَا تَخْشَى فَالرَّبُّ هُوَ اللهُ وَهُوَ أَبُو الْأَنْوَارْ

وَلَا تَعْرُجُ بَيْنَ الْفِرْقَتَينِ وَأَتَّخِذْ لِنَفْسِكَ الْقَرَارْ

وَتَحلَّى يَا صَدِيقِي بِالصَّبْرِ وَلَا تَمِلَّ الْانْتِظَارْ

فَقَرِيبًا سَيَأْتِي الْعَرِيسُ وَيَأْخُذُنَا لِأَحْلَى دِيَارْ

فَهَيَّا يَا عُرُوس الْمَسِيحِ تَهَيَّئِي لِذَا الْمِشْوَارْ

فَالْبَرَكَةُ لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ مَا تَمْلُكُ يَزِيد،
بَلْ قَدْ تَكُونُ أَنَّ مَا تَمْلُكُ رَغْمَ الْاسْتِخْدَامِ لَا يَنْقُصُ،
أَيِ يُسْتَخْدَمُ وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَهْلَكُ.

الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْأَحْدَاثِ الْوَاقِعِيَّةِ وَالْمَوَاقِفِ الْافْتِرَاضِيَّةِ

لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ إِنْسَانٌ عَبَرَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ دُوْنَ أَنْ يَخْسَرَ شَيئًا أَوْ أَشْيَاءً أَوْ دُوْنَ أَنْ يَخْتَبِرَ هَذَا الشّعُور الْمُؤلم لِفَقدِ شَيْءٍ مَا أَوْ شَخْصٍ مَا .. أَعْتَقِدُ أَنَّنَا جَمِيعًا اخْتَبَرنَا هَذَا بِدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ .. بِحَقٍّ إِنَّهُ شُعُورٌ قَاسٍ وَجَارِحٌ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ فُجَائِيًا وَغَيْر مُتَوقَّع .. وَيَزْدَادُ هَذَا الشّعُورُ عُمْقًا وَأَلَمًا كُلَّمَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ أَوْ هَذَا الشَّخْصُ ذُو مَعَزَّةٍ عَلَى قُلُوبِنَا .. وَكَثِيرًا مَا يُصَاحِب هَذَا الشّعُور الْمُؤلم شُعُورٌ آخَر أَكْثَرُ أَلَمًا، وَهُوَ الشّعُورُ بِالذَّنْب، وَخَاصَّةً إِذَا كُنَّا سَبَبًا بِصُورَةٍ مَا فِي هَذِهِ الْخَسَارَةِ نَتِيجةً لِخَطَأٍ مِنَّا أَوْ جَهلٍ وَعَدَمِ مَعْرِفَةٍ. وَمَا يَشْغَلُنِي فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ لَيْسَ الشّعُور فِي حَدِّ ذَاتِهِ وَلَا الصَّدمَةَ الَّتِي تَسْبُقُهُ لَكِنْ رَدّ الْفِعْلِ الْعَقْلِيّ لِهَذِهِ الصَّدمَةِ .. فَهُنَاكَ مَنْ يَصْمُدَ وَيَظَلُّ صَلبًا مُتَمَاسِكًا وَمُتَمَسِّكًا بِاللهِ بِإِيمَانٍ وَاثِقًا فِيهِ وَمُنْتَظِرًا بِأَمَلٍ الْخَيرَ الَّذِي يُرتّبُهُ لَهُ اللهُ مِنْ خِلَالِ الْأَلَمِ .. وَهُنَاكَ مَنْ يَنْحَنِي وَيَفْقِدُ الْأَمَلَ وَتَهْتَزُّ أَمَامَهُ الرُّؤيَا؛ فَيَخْرُجُ مِنَ الْوَاقِعِ هَارِبًا إِلَى مَوَاقِفٍ افْتِرَاضِيَّةٍ جَمِيلَةٍ -يَنْسِجُهَا لَهُ خَيَالُهُ- تَتَوَافَقُ مَعَ أَمَانِيهِ، لِيَنْسَى الْوَاقِعَ .. وَغَالِبًا مَا تَتَفَاوتُ مُدَّة هَذَا الْهُرُوب مَا بَيْنَ لَحَظَاتٍ وَأَحْيَانًا تَطُولُ إِلَى أَيَّامٍ .. وَلِكَيْ يَكُونَ الْكَلَامُ أَكْثَرَ وُضُوحًا أَضْرِبُ مَثَلاً مِنَ الْكِتَابِ يُبَيِّنُ الْمَعْنَى الْمَقْصُود.

أَمَامَ صَدْمَةٍ عَنِيفَةٍ لِفُقْدَانِ لِعَازَرِ الْأَخُّ الْمَحْبُوبُ مِنْ أُخْتَيهِ مَرْيَم وَمَرْثَا وَالْمَحْبُوبُ أَيْضًا مِنَ الرَّبِّ. دَخَلَتْ الْأُخْتَين لِبَعْضِ الْوَقْتِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْافْتِرَاضِيَّة، عِنْدَمَا قَالَتَا لِلْمَسِيحِ « لَوْ كُنْتَ هٰهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي » .. إِنَّ الْوَاقِعَ يَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَكُنْ مَوجُودًا وَأَنَّ لِعَازَرَ مَات .. وَالْافْتِرَاضُ يَتَمَنَّى «لَوْ كُنْتَ هَهُنَا» فَسَتَكُونُ النَّتِيجَةُ «لَمْ يَمُتْ أَخِي ».. إِنَّ الْمَوقِفَ الْافْتِرَاضِيّ عَكْسُ الوَاقِعِ .. وَنَحْنُ كَثِيرًا مَا نَسْتَخْدِمُ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ دُوْنَ أَنْ نَدْرِيَ أَنَّنَا نَعِيشُ الْافْتِرَاض وَلَيْسَ الْوَاقِع. كَثِيرًا مَا نَسْتَخْدِم « لَوْ » الْافْتِرَاضِيَّة .. مَاذَا لَوْ حَدَثَ كَذَا، وَمَاذَا لَوْ لَمْ يَحْدُثْ. مَاذَا لَوْ ذَهَبنَا إِلَى، وَمَاذَا لَوْ لَمْ نَذْهَبْ .. مَاذَا لَوْ قُلنَا، وَمَاذَا لَوْ لَمْ نَقُلْ ..

وَلِلْأَسَف، إِنَّ كُلَّ هَذِه الْاِفْتِرَاضَات لَنْ تُغَيِّرَ الْوَاقِعَ فَلِعَازَرُ مَا زَالَ فِي الْقَبْرِ .. كَانَ الْاِفْتِرَاضُ يَتَمَنَّى أَنْ يُشْفَى لِعَازَر وَلَا يَدْخُلُ الْقَبْرَ .. لَكِنَّ الْوَاقِعَ كَانَ يَرْسِمُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي خَيَالِ الْاِفْتِرَاضِ .. كَانَ يَرْسِمُ دُخُولاً لِلْقَبْرِ بِالْمَوتِ وَخُرُوجًا مِنْهُ بِالْقِيَامَة .. صَدِيقِي لَا تَهْرُبْ مِنْ قَسْوَةِ الْوَاقِعِ إِلَى حَنَانِ الْاِفْتِرَاضِ. اصْمُدْ لِلنِّهَايَة، فَسَتَجِدُ الْوَاقِعَ جَمِيلًا وَمَجِيدًا وَمُدْهِشًا .. اصْبِرْ لِلنِّهَايَة.

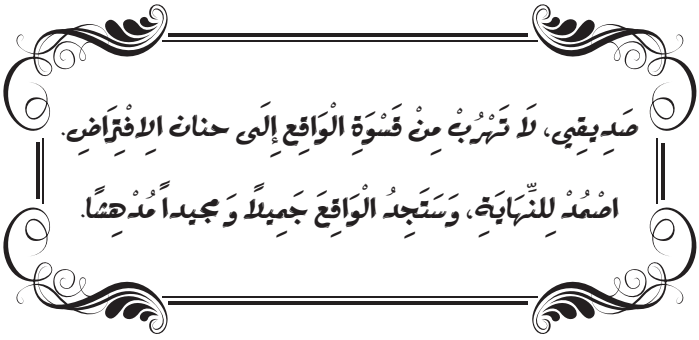

اللَّمْسَةُ بَيْنَ الْوَهمِ وَالْفَهمِ

اعْمَلْ شِير وَانْتَظِر مُعْجِزَةً قَرِيبَةً .. اضْغَطْ لَايك وَانْتَظِر خَبَرًا مُفْرِحًا. كَلِمَاتٌ زَائِفَةٌ تَضْغَطُ عَلَى أَصْحَابِ الْقَامَاتِ الصَّغِيرَةِ وَتَسْتَغِلُّ ضَمَائِرهمْ الضَّعِيفَة وَاعِدَةً إِيَّاهُمْ بِبَرَكَةٍ وَقُوَّةٍ وَهمِيَّةٍ.. تَخَارِيفٌ أَرَهَا نَوعًا مِنْ أَنْوَاعِ السِّحرِ، وَلَكِنْ فِي شَكْلِهِ الْعَصْرِيّ الْأَلِكْتُرُونِيّ، تَمَامًا كَتَرْدِيدِ الْمَوَاوِيل قَدِيمًا دُونَ فَهمٍ أَوْ إِدْرَاكٍ.

أَوَّلًا :رِدَاءُ إِيلِيَّا أَمْ إِيلِيَّا أَمْ رَبُّ إِيلِيَّا؟

نَعَمْ، إِنَّهَا لَحَظَاتٌ قَاسِيَةٌ جِدًّا عِنْدَمَا تُجْبَرُ لِسَبَبٍ خَارِجٍ عَنْكَ عَلَى الِانْفِصَالِ عَنْ شَخْصٍ تَعَلَّقَتْ نَفْسُكَ بِهِ وَأَحْبَبْتُهُ مِنْ قَلْبِكَ. هَذَا مَا حَدَثَ مَعَ أَلِيشَع .. قَالَ لَهُ إِيلِيَّا امْكُثْ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى بَيْتِ إِيلَ. فَقَالَ أَلِيشَعُ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ إِنِّي لَا أَتْرُكُكَ. وَنَزَلَا إِلَى بَيْتِ إِيلَ .. وَهُنَاكَ خَرَجَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ إِلَى أَلِيشَعَ وَقَالُوا لَهُ: أَتَعْلَمْ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْمُتُوا .. وَتَكَرَّرَ ذَاتُ الْمَشْهَدِ مَرَّتَينِ عِنْدَمَا ذَهَبَ إِيلِيَّا إِلَى أَرِيحَا وَإِلَى الْأُرْدُنِّ .. وَفِي الثَّلَاثَةِ أَبَى أَلِيشَعُ أَنْ يَتْرُكَ إِيلِيَّا بَلْ كَانَ يَذْهَبُ مَعَهُ .. لَكِنْ الْعَوَاصِفُ دَائِمًا تَأْتِي بِمَا لَا تَشْتَهِيه السُّفُنُ .. عِنْدَ الْأُرْدُنِّ قَالَ إِيلِيَّا لِأَلِيشَعَ: اطْلُبْ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ قَبْلَ أَنْ أُوخَذَ مِنْكَ .. (أُوخَذُ مِنْكَ).. يَا لَهَا مِنْ كَلِمَةٍ قَاسِيَةٍ عَلَى قَلبِ أَلِيشَع. عِنْدَمَا سَمِعهَا مِنْ بَنِي الْأَنْبِيَاءِ قَالَ لَهُمْ اصْمُتُوا وَكَأَنَّ آذَانُهُ لَا يَرُوقُ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ هَذَا الْخَبَر .. لَكِنْ هَا قَدْ اقْتَرَبَ وَقْتُ الرَّحِيلِ وَلَمْ يَعُدْ الصَّمْتُ يُرِيحُ أَوْ يُفِيدُ، فَطَلَبَ أَلِيشَع نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ رُوحِ إِيلِيَّا .. فَقَالَ إِيلِيَّا: إِنْ رَأَيْتَنِي أُوخَذُ مِنْكَ يَكُونُ لَكَ كَذَلِكَ وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ .. وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَفَصَلَتْ بَيْنَهُمَا .. يَا لَقسوةِ التَّعبِيرِ (فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا) لَحْظَةٌ شَعَرَ فِيهَا لِيس بِأَنَّ إِيلِيَّا رَحَلَ عَنِ الْعَالَمِ، بَلْ بِأَنَّ غَالِيًّا أُوخِذَ مِنْهُ هُوَ شَخْصِيًّا .. فَصَرَخَ يَا أَبِي، يَا أَبِي مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا .. وَكَأَنَّهُ

يَقُولُ قَدْ كُنْتَ الْمَرْكَبَةَ الَّتِي حَمَلَتْ إِسْرَائِيلَ لَكِنَّكَ بِالنِّسْبَةِ لِي كُنْتَ أَبِي .. لَمْ يَقُلْ لَهُ يَا أَبُونَا بَلْ قَالَ يَاأَبِي (الْمِلْكِيَّة الشَّخْصِيَّة) ثُمَّ أَخَذَ رِدَاءَ إِيلِيَّا الَّذِي سَقَطَ عَنْهُ وَشَقَّ الْأُرْدُنَّ كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا؛ فَقَالَ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ اسْتَقَرَّتْ رُوحُ إِيلِيَّا عَلَى أَلِيشَعَ ..

وَالسُّؤَالُ الْوَاجِب الْإِجَابَةِ الْآنَ مَنْ الَّذِي أَعْطَى أَلِيشَع الْقُوَّةَ؟ .. رِدَاءُ إِيلِيَّا أَمْ إِيلِيَّا أَمْ رَبّ إِيلِيَّا؟ لَوْ قُلنا يَا صَدِيقِي إِنَّ السّرَّ فِي الرِّدَاءِ؛ فَقُل لِي كَيْفَ أَخَذَ الْمَعْمَدَانُ قُوَّةَ إِيلِيَّا بِدُوْنِ

الرِّدَاءِ؟ .. وَلَوْ قُلنا إِنَّ السّرَّ فِي إِيلِيَّا؛ فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْطَى إِيلِيَّا رُوحَهُ لِلْمَعْمَدَانِ دُوْنَ أَنْ يَرَاهُ؟ .. إِنَّهُ رَبُّ إِيلِيَّا يَا صَدِيقِي الَّذِي أَعْطَى إِيلِيَّا وَأَلِيشَعَ وَالْمَعْمَدَانَ وَالْمُسْتَعِدُ أَنْ يُعْطِيكَ ذَاتَ الْقُوَّةِ فَقَطْ إِنْ تَخَلَّصتَ مِنَ الْهَلَاوِسِ الدِّينِيَّةِ ذَات الطَّابِعِ الْوَثَنِيّ الْمُرْتَبطة بِتَقْدِيسِ الْمُتَعَلِّقَاتِ الْمَادِيَّةِ وَإِكْسَابهَا قُوَّةٍ سِحْرِيَّةٍ وَهْمِيَّةٍ.

لَقَدْ تَعَلَّقَ أَلِيشَع بِإِيلِيَّا .. الْتَصَقَ بِهِ وَلَمْ يُفَارِقهُ .. ثَبَّتَ نَظَرَهُ عَلَيهِ وَلَمْ يُحَوِّلهُ عَنْهُ. مَلَأَ عَينَهُ وَخَيَالَهُ بِمَنْظَرِ إِيلِيَّا فِي قُوَّتِه .. مَلَأَ آذَانَهُ بِكَلَامِ إِيلِيَّا (وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ.) تَغَذَّى عَلَيهِ فَنَالَ نَصِيبَ اثْنَين مِنْ رُوحِه .. أَقُولُ لِقَدْ أَخَذَ إِيلِيَّا قَبْلَ صعُودِهِ قَلبَ وَعَقْلَ وَرُوحَ أَلِيشَع، وَأَخَذَ أَلِيشَعُ نَصِيبَ اثْنَين مِنْ رُوحِ إِيلِيَّابَعْدَ صُعُودِهِ .. إِنَّ الْقُوَّةَ الرُّوحِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ يَا صَدِيقِي مُرْتَبِطَةٌ بِالْغَذَاءِ وَلَيْسَ بِالرِّدَاءِ .

إِنَّ الْقُوَّةَ الرُّوحِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ يَا صَدِيقِي مُرْتَبِطَةٌ بِالْغَذَاءِ وَلَيْسَ بِالرِّدَاءِ .

ثانيًا : أَهْدَابُ ثَوبِ الْمَسِيحِ أَمْ الْمَسِيحِ؟

الْمَرْأَةُ النَّازِفَةُ الدَّمِ .. قَالَ الْكِتَابُ عَنْهَا إِنَّهَا سَمِعَتْ عَنْ يَسُوعَ وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهَا سَمِعَتْ عَنْ ثَوبِ يَسُوعَ .. سَمِعَتْ عَنْ قُوَّةٍ مُذْهِلَةٍ فِي يَسُوعَ وَلَيْسَ عَنْ قُوَّةٍ سِحْرِيَّةٍ فِي ثَوبِهِ .. نَعَمْ، إِنَّ الْمَسِيحَ عِنْدَمَا عَلَّقَ عَلَى الْمَشْهَدِ فِي مَر٥: ٣٠ قَالَ مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟ .. لَكِنَّهُ فِي لُوقَا٨: ٤٥ قَالَ يَسُوعُ مَنْ الَّذِي لَمَسَنِي؟ .. وَكَأَنَّهُ يَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ شَخْصٌ اخْتَرَقَ الْجُمُوعَ وَلَمَسَ ثِيَابِي لَكِنَّ الَّذِي أَوقَفَنِي هُوَ أَنَّ هُنَاكَ قَلبٌ وَاثِقٌ مُصَمِمٌ بِإِيمَانِهِ اخْتَرَقَ قَلبِي وَلَمَسَنِي أَنَا شَخْصِيًّا .. كَثِيرُونَ حَولَهُ يَزْحَمُونَهُ لَمَسُوا ثِيَابَهُ وَلَمْ يَأْخُذُوا شَيْئًا، وَوَاحِدَةٌ فَقَطْ لَمَسَتْ قَلبَهُ وَأَخَذَتْ قُوَّةً. وَلَعَلَّكَ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي أَنَّ سِرَّ الشِّفَاءِ هُوَ الْإِيمَانُ وَلَيْسَ اللَّمْسَة (إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ) وَأَنَّ الْقُوَّةَ خَرَجَتْ مِنَ الْمَسِيحِ وَلَيْسَ مِنَ الثِّيَابِ (شَاعِرًا فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ) بِلُغَةٍ مَجَازِيَّةٍ أَقُولُ إِنَّ جُزَيئَاتِ الْقُوَّةِ مُخْتَزَنَةٌ فِي الْمَسِيحِ وَلَيْسَ فِي الثِّيَابِ. وَمَوجَاتِ الْقُوَّةِ مَصْدَرُهَا الْمَسِيحُ وَلَيْسَ الثِّيَاب ، و لقد كانَ الْإِيمَانُ هُوَ الْوَصلَةُ الَّتِي حَقّقَتْ نَظَرِيَة الْأَوانِي الْمُسْتَطرَقَة، إِنْ جَازَ أَنْ أَقُولَ هَذَا، فَبِالْإِيمَانِ اتَّصَلَ إِنَاءُ الْمَرْأَةِ الْفَارِغُ مِنَ الْقُوَّةِ بِالْمَسِيحِ الْمَملُوءِ قُوَّةً فَانْتَقَلَتْ الْقُوَّةُ مِنَ الْمَملُوءِ لِلْفَارِغِ فَجَفَّ الدَّمُ فِي الْحَالِ .صَدِيقِي إِنَّ اللَّمْسَةَ الْيَوْمَ فِي ظِلِّ الْحَيَاةِ بِالْإِيمَانِ لَا تَعْنِي حَرْفِيَّةَ الْفِعلِ بَلْ حَرْفِيَّةَ الْأَثَرِ .. وَهَذَا مَا حَدَثَ، فَإِنَّ جَفَافَ يَنْبُوعِ الدَّمِ هُوَ أَثَرٌ حَرِفِيٌّ مَلْمُوسٌ وَإِنْ كَانَتْ اللَّمْسَةُ إِيمَانِيَّةً.

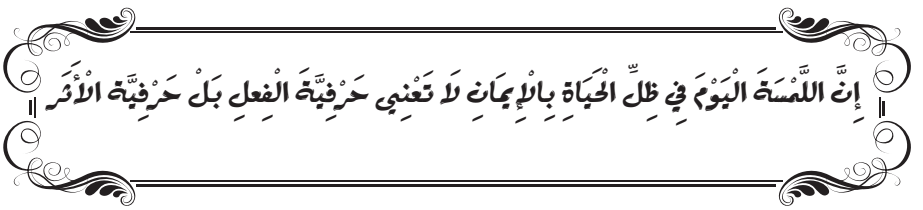

ثَالِثًا : قَمِيصٌ بِدُونِ مَسِيحٍ أَمْ مَسِيحٌ بِدُوْنِ قَمِيصٍ؟

كَانَتْ هُنَاك مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ وَاقِفِينَ تَحْتَ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، بَعْضُهُمْ أَخَذَ جُزءًا مِنْ ثِيَابِهِ عِنْدَمَا اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ بَيْنَهُمْ. وَوَاحِدًا مِنْهُمْ فَازَ بِالْقُرعَةِ وَأَخَذَ مُنْفَرِدًا قَمِيصَ الْمَسِيحِ، لَكِنَّهُمْ جَمِيعًا لَمْ يَنَالُوا مِنَ الْمَسِيحِ قُوَّةً أَوْ بَرَكَةً لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَبْغُونَ قَمِيصًا وَثَوبًا لَا مَسِيحًا وَرَبًّا. وَالْيَوْم أَرَى الْكَثِيرِينَ يَبْغُونَ قَمِيصًا لَا مَسِيحًا. أَقُولُ لَهُمْ بَاكِيًا مُشْفِقًا كَلَامَ الْمَلَاكِ لِلْمَرِيمَاتِ عِنْدَ الْقَبْرِ (لَيْسَ هُوَ هَهُنَا) لَمْ يَعُدْ الْمَسِيحُ مَوجُودًا فِي هَذَا الْقَمِيصِ الَّذِي تَسْعَى جَاهِدًا لِلَمْسِهِ .. لَمْ يَعُدْ مَوجُودًا فِي الْقَبْرِ الَّذِي تَسْعَى جَاهِدًا لِزِيَارَتِهِ .. لَمْ يَعُدْ مَوجُودًا عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي تَسْعَى جَاهِدًا لِلَمْسِهَا .. اللهُ بَارَكَنَا فِي الْمَسِيحِ وَالْمَسِيحُ لَمْ يَعُدْ مَوجُودًا لَا فِي الْقَمِيصِ وَلَا عَلَى الْخَشَبَةِ وَلَا فِي الْقَبْرِ .. وَحَتَّى لَا يُسَاء فَهْمِي أَنَا لَسْتُ ضِدَّ زِيَارَةِ قَبْرِ الْمَسِيحِ، وَلَكِنْ لِكَيْ تَكُونَ الْأُمُورُ وَاضِحَةً أَقُولُ إِنَّهَا فَقَطْ زِيَارَةٌ سِيَاحِيَّةٌ قَدْ تُنْعِشُ الذَّاكِرَةَ وَتُجَسِّمُ أَمَامَ الْعَينِ مَا سَرَدَهُ الْكِتَابُ عَنْ حَيَاةِ الْمَسِيحِ وَصَلِيبِهِ وَقِيَامَتِهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا أَيُّ بُعْدٍ رُوحِيٍّ أَوْ إِيمَانِي وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَمْنَحَنِي بَرَكَةً أَوْ قُوَّةً أَوْ غُفْرَانَ خَطَايَا .. دَعُونَا نَكُفّ عَنْ خَلطِ الْأُمُورِ وَجَعَلَ الْمَعَانِي رَمَادِيَّةً مُشَوشَةً ..

صَدِيقِي أَدْعُوكَ الْيَوْمَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَسْعَى لِأَنْ تَلْمِسَ أَوْ تَأْخُذَ قَمِيصًا بِدُوْنِ مَسِيحٍ .. أَنْ تَلْمِسَ مَسِيحًا بِدُوْنِ قَمِيصٍ .. لِقَدْ صُلِبَ عَارِيًا لِكَيْ يَسْتُرَكَ .. فَخُذْهُ نَصِيبًا أَبَدِيًّا وَتَأَكَّد أَنَّ فِيهِ سَيُبَارِكُكَ اللهُ بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّات.

صَدِيقِي أَدْعُوكَ الْيَوْمَ بَدَلًا مِنْ تَلْمِسَ أَوْ تَأْخُذَ قَمِيصًا بِدُوْنِ مَسِيحٍ .. أَنْ تَلْمِسَ مَسِيحًا بِدُوْنِ قَمِيصٍ

اللهُ بريءٌ

جَاءَ يَوْمًا الشَّيطانُ لِلْمَسِيحِ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ وَطَلَبَ مِنْهُ طَلَبًا مَجْنُونًا وَغَلَّفَ هَذَا الطَّلَبَ بِالْأَقوالِ الْإِلَهِيَّة حَتَّى يَلْقَى الْجُنُونَ قَبُولًا .. أَخَذَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَل (أَلَا تَرُونَ مَعِي أَنَّ هَذَا طَلَب مَجْنُون) ارْم نَفْسَكَ مِنْ فَوقٍ !! .. لَكِن الشَّيطَان لَيْسَ بِالْكَائِنِ السَّاذج فَحَالًا غَلَّفَ الْجُنُونَ بِالدِّينِ حَتَّى يَلقَى قَبُولًا .. فَأَكْمَلَ وَقَالَ لِلْمَسِيحِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لَا تُصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ .. يَا للخدعَة الرَّهيبة الْمُسَمَمَة .. اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْفِيَ جُنُونَهُ وَلَا مَنْطِقِيَّتَهُ مُسْتَخْدِمًا الْأَقوالَ الْإِلَهِيَّة .. لَكِنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي قَالَ عَنْ نَفْسِهِ بِرُوحِ النُّبُوَّة: «وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي» حَاشَاهُ أَنْ يَبْلَعَ الطُّعْمَ .. فَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَيْضًا لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ

ولِكَيْ أَفْضَحَ الشَّيطَانَ أَمَامَ عيُونِكُمْ أَقُولُ بِاخْتِصَارِ مَاذَا فَعِلَ. لَقَدْ حَذَفَ جُزْءًا مِنَ الْآيَةِ وَهُوَ (فِي كُلِّ طُرُقِكَ) فَهَذَا الْوَعدُ بِالْحِفظِ لِمَنْ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ وَلَيْسَ لِمَنْ يُلقِي نَفْسَهُ فِي الْهَواءِ .. كَمَا أَنَّ الْأَحْجَارَ الَّتِي سَيَحْفَظُنَا اللهُ مِنْهَا مَوجُودَةٌ عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَتْ مُعَلَّقَة فِي الْهَواءِ .. فَيَا لَهُ مِنْ كَائِنٍ بَغِيضٍ وَغَشَّاشٍ .. لَكِنِّي أَقُول إِذَا كَانَ الشَّيطَانُ لَيْسَ سَاذِجًا فَهَلْ نَحْنُ سُذَّجٌ حَتَّى نَقْبَلَ هَذَا الْجُنُونَ دُونَ تَفْكِيرٍ؟؟ خِدْعَةٌ شَيطَانِيَّةٌ خَبِيثَةٌ سَيطَرَ بِهَا الشَّيطَانُ عَلَى عقُولِ الْكَثِيرِينَ .. إِعْتَادَ أَنْ يَحْشُرَ التَّوقِيعَاتِ الْإِلَهِيَّة فِي نِهَايَةِ خِطَابَاتِهِ الرَّدِيئَة حَتَّى يَفْرِضَ أَفْكَارَهُ بِالْقُوَّةِ وَيَسْلُبَنَا مَلَكَةَ التَّفْكِيرِ فِيمَا يَقُولُ، بَلْ أَقُولُ وَيُخْرِسَ الْمُعْتَرِضِينَ .. خِطَابَاتُهُ هَزِيلَةٌ بِلَا فَحْوَى وَأَفْعَالُهُ رَذِيلَةٌ، وَإِذَا بَدَا أَيُّ اعْتِرَاضٍ مِنْ أَيِّ مُفَكِّرٍ لَا نَسْمَعُ إِلَّا جَوابًا وَاحِدًا .. أَوامِرُ اللهِ وَشَرَائِعُهُ .. جَوابٌ مُحَنَّكٌ يَفْرِضُ سَيطَرَةً وَحِصَارًا عَلَى العقُولِ يَجْعَلُهَا تُشَلُّ وَتَتَجَاهَلُ النَّظَرَ إِلَى الْوَاقِعِ بِنَظْرَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ مُحَلِّلَةٍ حَتَّى لَا تَكْتَشِفَ حَقِيقَةَ جُنُونِهِ .. وَأَرَى الْيَوْمَ أَفْعَالاً مَجْنُونَةً تُفْعَلُ بِاسْمِ الدِّينِ وَبِاسْمِ اللهِ وَأَقَلُّ مَا يُقَالُ عَنْهَا إِنَّهَا جَرَائِمٌ .. وَاللهُ لَيْسَ شَرِيكًا فِي جَرَائِمِنَا يا صَدِيقِي .. اللهُ بَرِيءٌ مِنْ أَقْوالِنَا وَأَفْعَالِنَا وَإِدْعَاءَاتِنَا ..

أَفْكَارٌ مُسَمَّمَةٌ تَبْدُو سَائِغَةً نَنْسِبُهَا للهِ حَتَّى نُكْسِبَهَا قُوَّةً وَاللهُ بَرِيءٌ مِنْهَا .. فَهَلْ نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ إِمَّا نُخَدِّرُ ضَمَائِرَنَا حَتَّى نَقْبَلَ بِإِرَادَتِنَا الْجُنُونَ وَكَأَنَّهُ الْقَانُون .. نَجَحَ الشَّيطَانُ فِي أَنْ يُغَلِّفَ الْجَرَائِمَ بِغُلَافِ الدِّينِ .. فَهَلْ الدِّينُ قُنْبِلَةٌ تُفَجِّرُ؟ هَلْ الدِّينُ سَكِينٌ يُمَزِقُ؟ .. طُعْمٌ رَهِيبٌ بَلَعَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ .. جَمَّدَ عَقْلَهَا وَأَمَاتَ التَّفْكِيرَ .. فَيَا لَيتَنَا نَسْتَفِيقُ.

اللهُ بَرِيءٌ مِنْ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا وَادِّعَاءَاتِنَا.

اللهُ لَيْسَ شَرِيكًا فِي جَرَائِمِنَا.

حَاجِزٌ تُرَابِيٌّ بَيْنَ النَّسَمَةِ وَالْأَنْفَاسِ

مَا أَروع الْإِنْسَان فِي خِلْقَتِهِ .. كَائِنٌ مُمَيَّزٌ وَبَدِيعٌ حَقًّا. نَفَخَ اللهُ بِذَاتِهُ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ فِي التُّرَابِ فَصَارَ نَفْسًا حَيَّةً .. الْمَادةُ الْخَامُّ تُرَابٌ .. وَالْمُنْتَجُ نَفْسٌ حَيَّةٌ ..

هَلْ فَكَّرتَ يَوْمًا يَا صَدِيقِي أَنَّكَ رَغْمَ ضَعْفِكَ وَحُزْنِكَ وَفَقْرِكَ تَمْتَلِكُ فِي دَاخِلِكَ نَسْمَةً مِنَ اللهِ .. قَدْ تَقُولُ لِي لَا أَشْعُرُ بِدَلَائِلِ وجُودِهَا .. أُجِيبُكَ بِقَولِ الْكِتَابِ الصَّرِيحِ .. وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ (أَيُّوب٣٢: ٨). قُدْرَتُكَ عَلَى التَّفْكِيرِ، قُدْرَتُكَ عَلَى الْفَهْمِ، قُدْرَتُكَ عَلَى إِدْرَاكِ وَاسْتِيعَابِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ. الْعَقْلُ .. هُوَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى وجُودِ تِلْكَ النَّسَمَةِ الْغَالِيَةِ بِدَاخِلِكَ .. لَقَدْ أَودَعَ اللهُ تِلْكَ النَّسَمَةَ فِينَا لِيُكْسِبَ الْمُخَّ الْمَادِيَّ وَظَائِفَ أُخْرَى إِضَافِيَّةً تَجْعَلَهُ قَادِرًا عَلَى الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ وَخَاصَّةً إِدْرَاكِ الْعَالَمِ اللَّامَادِيِّ (الْغَيْرُ مَنْظُورٍ.)

الْعَقْلُ هُوَ الْقُدْرَةُ الَّتِي مَيَّزَ بِهَا اللهُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْحَيَوَانِ. لَكِنَّ اللهَ الْكَرِيمَ بِطَبْعِهِ لَمْ يَكْتَفِ فَقَطْ بِتِلْكَ النَّسَمَةِ الَّتِي أَودَعَهَا دَاخِلَنَا لَكِنَّهُ أَعْطَانَا عَطِيَّةً أُخْرَى وَهِيَ أَنْفَاسُهُ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا .. كِتَابٌ عَظِيمٌ .. فَكُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ (٢تِي٣: ١٦). وَكَلِمَةٌ مُوحىً بِهِ فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ All Scripture is given by inspiration of GOD

إِذَاً فَأَنْتَ يَا صَدِيقِي بِدَاخِلِكَ نَسْمَةٌ مِنَ اللهِ وَخَارِجُكَ (بَيْنَ يَدَيكَ) أَنْفَاسُ اللهِ .. وَهَذِهِ النَّسَمَةُ الَّتِي بِدَاخِلِكَ تَسْتَخْدِمُ الْأَنْفَاسَ الَّتِي بَيْنَ يَدَيكَ لِتُوسِّعَ مَجَالَ إِدْرَاكِكَ لِتَسْتَنِيرَ وَتَفْهَمَ الْأُمُورَ الْإِلَهِيَّةَ الْأَعْلَى مِنْ مُسْتَوَى التَّفْكِيرِ الْمَادِيِّ، فَالْإِنْسَانُ الطَّبِيعِيُّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ. لَكِنْ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ ضَخْمَةٌ يَا صَدِيقِي تَعُوقُ التَّوَاصُلَ بَيْنَ النَّسَمَةِ وَالْأَنْفَاسِ أَلَا وَهِيَ الْجَسَدُ التُّرَابِيُّ بِغَبَاوَتِهِ وَمَيُولِهِ وَمَحْدُودِيَتِهِ وَجَهْلِهِ وَغَلَاظَةِ قَلْبِهِ .. وَهُنَا أَرَى جِدَارًا غَلِيظًا سَمِيكًا مِنَ الْفِكْرِ الْبَشَرِيِّ الْجَسَدِيِّ الْأَحْمَقِ يَقِفُ حَائِلًا أَمَامَ أَهَمِّ عَمَلِيَّةٍ رُوحِيَّةٍ تَحْدُثُ فِي حَيَاتِنَا أَلَا وَهِيَ الْاسْتِنَارَةُ، فَهَلْ مِنْ حَلٍّ؟؟

نَعَمْ، يَا صَدِيقِي لَا تَقْلَق هُنَاكَ حَلٌّ .. فَالْكَلِمَةُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيدِينَا مَوصُوفَةٌ بِأَنَّهَا حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ وَخَارِقَةٌ إِلَى مِفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ .. إِنَّ هَذِهِ الْأَنْفَاسَ الْمُقَدَّسَةَ لَهَا قُدْرَةٌ خَارِقَةٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْتَرِقَ وَتَنْفُذَ بِقُوَّةٍ لِتَصِلَ إِلَى النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَتَعْمَلُ عَمَلَهَا فِيهِمَا. وَكُلٌّ مِنَّا حَتْمًا اخْتَبَرَ مَرَّةً وَمَرَّاتٍ هَذَا النُّورَ النَّافِذَ .. الَّذِي كَثِيرًا مَا اخْتَرَقَنَا وَبَدَّدَ ظُلُمَاتِ الْجَهلِ .. صَدِيقِي أَنْصَحُكَ أَنْ تُعَرِّضَ نَفْسَكَ يَوْمِيًّا لِهَذِهِ الْأَنْفَاسِ الْخَارِقَةِ فَتَسْتَنِيرُ وَتَتَغَيرُ حَيَاتُكَ .. دَعْ النَّسَمَةَ الَّتِي دَاخِلَكَ تَتَنَفَّسُ الْأَنْفَاسَ الْمُقَدَّسَةَ فَتَنْتَعِشُ وَتُنْعِشُكَ.

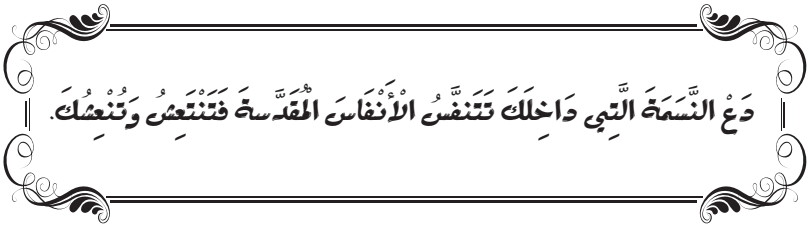

مَطْلــوبٌ

لَفَتَ نَظَرِي إِعْلَانَاتٌ مَوضُوعَةٌ عَلَى فَتَارِينِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَحَلَّاتِ « مَطْلُوبٌ آنِسَات أَوْ شَبَاب لِلْعَمَلِ » كَمَا لَفَتَتْ أَيْضًا نَظَرِي إِعْلَانَاتٌ مَنْشُورَةٌ فِي الْجَرَائِدِ «مَطْلُوبٌ لِلْقَبضِ عَلَيهِ» .. وَقَفَزَ فِي ذِهنِي فِي الحَالِ سُؤَالٌ « هَلْ اللهُ أَيْضًا يَطْلُبُ؟ » نَعَمْ، اللهُ يَطْلُبُ فَهَيَّا مَعِي لِتَعْرِفَ مَاذَا يَطْلُبُ اللهُ؟

أَوَّلًا .الْآبُ طَالِبٌ سَاجِدِينَ

قَالَ الْمَسِيحُ لِلْمَرْأَةِ السَّامِرِيَّةِ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا٤ «وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلْآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» .. لَمْ يَقُلْ الْمَسِيحُ يَا صَدِيقِي إِنَّ الْآبَ طَالِبٌ سَاجِدِينَ لَكِنْ قَالَ الْآبُ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ .. وَالْفَارِقُ كَبِيرٌ بَيْنَ الْجُمْلَتَينِ .. الْآبُ لَمْ يَطْلُبْ أَيَّ سَاجِدِينَ لَكِنَّهُ حَدَّدَ النَّوعِيَّةَ .. فَلَيْسَ كُلّ مَن يَثْنِي رُكْبَتَيهِ وَيَخْفِض رَأْسَهُ لِلْأَرْضِ سَاجِدٌ بِمَقَايِيسِ الْآبِ .. وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسِيحُ السَّبَبَ وَالتَّفْسِيرَ، إِذْ قَالَ: اللهُ رُوحٌ. وَبِالتَّالِي، فَإِنَّ وَضَعَ وَشَكلَ جَسَدِكَ أَثْنَاءَ السُّجُودِ لَا يَشْغَلُ اللهُ كَثِيرًا، وَلَكِنْ نَقَاءَ رُوحِكَ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ رُوح اللهِ يَأْخُذُ مِنَ الْحَقِّ الْمُخْتَزَنِ فِي كَيَانِكَ الرُّوحِيِّ وَيُقَدِّمُ لِلْآبِ سُجُودًا مَقْبُولاً .. السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ إِفْسَاحُ الْمَجَالِ لِرُوحِ اللهِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ لِسَانِي وَقَلْبِي لِيَجْعَلَنِي أُقَدِّمُ لِلْآبِ سُجُودًا .. السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ إِزَاحَةُ الْجَسَدِ جَانِبًا .. السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ عَدَمُ شُعُورِكَ الْوَاعِي بِذَاتِكَ وَبِمَنْ حَولِكَ وَأَنْتَ فِي مَحْضَرِ اللهِ .. السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ فَقَطْ كَلَامًا يُقَدَّمُ لِلْآبِ لَكِنَّهُ حَالَة فِيهَا يَنْدَمِجُ الْإِنْسَانُ مَعَ اللهِ وَيَذُوبُ فِيهِ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَنْطُقْ بِأَيِّ كَلَامٍ، فَحَالَتُهُ تُعَبِّرُ عَمَّا يَجِيشُ فِي دَاخِلِهِ .. السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ ذَوبَانُ الْقَطْرَةِ فِي الْمُحِيطِ، فَتَشْعُرُ الْقَطْرَةُ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْمُحِيطِ وَأَنَّهَا مَغْمُورَةٌ فِيهِ. السُّجُودُ

الْحَقِيقِيّ لَيْسَ وَظِيفَة نَرْبَحُ مِنْهَا .. السِّجُودُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ فَرْضًا عَلَى الْإِنْسَانِ، فَلَعَلَّكَ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي أَنَّهُ طَلَبٌ وَلَيْسَ أَمْرًا، فَالْآبُ طَالِبٌ وَلَيْسَ آمِرٌ. السِّجُودُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ جِينًا وَرَاثِيًّا، فَقَدْ قَالَتْ السَّامِرِيَّةُ لِلْمَسِيحِ: آبَاؤُنَا سَجَدُوا، لَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا بِنْتُ آبَاءٍ سَاجِدِينَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي الْيَهُودِيَّةِ لَمْ تَكُنْ سَاجِدَةً وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِف الْمَسِيحَ .. السِّجُودُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ مَعْرِفَة لِلتَّقَالِيدِ وَالطُّقُوسِ لَكِنْ مَعْرِفَة لِلشَّخْصِ الَّذِي نَسْجُدُ لَهُ، لِهَذَا قَالَ لَهَا الْمَسِيحُ أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ .. السِّجُودُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ حَالَةُ امْتِنَانٍ رُوحِيٍّ وَلَيْسَ حَالَة انْتِشَاءٍ جَسَدِيٍّ.إِخْوَتِي الْأَحِبَاء الْآبُ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ .. فَهَلْ يَجِدُ عِنْدَنَا وَبَيْنَنَا طَلَبَهُ؟؟

السِّجُودُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ فَرْضًا عَلَى الْإِنْسَانِ، فَلَعَلَّكَ لَاحَظْتَ يَا صَدِيقِي أَنَّهُ طَلَبٌ وَلَيْسَ أَمْرًا، فَالْآبُ طَالِبٌ وَلَيْسَ آمِرٌ

ثَانِيًا : الِابْنُ طَالِبٌ هَالِكِينَ

الْيَوْمُ سَأَتَحَدَّثُ بِمَعُونَةِ الرَّبِّ عَنِ الْابْنِ وَكَيْفَ أَنَّهُ أَيْضًا يَطْلُبُ .. لَكِنِّي بِكُلِّ صَرَاحَةٍ ذُهِلْتُ مِمَّنْ يَطْلُبُهُمْ الْابْنُ .. فَالْابْنُ طَالِبٌ هَالِكِينَ ..يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّس .. «لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لُو١٩: ١٠). وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبَدِيعَةِ لَفَتَ نَظَرِي الْآتِي :

١.جَاءَتْ كَلِمَةُ «هَلَكَ» فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّة lost أَي فُقِدَ .. وَمَا أَصْعَب هَذِه الْحَالَة وَهَذَا الشُّعُور .. شُعُورٌ بِاللَا مَعْنَى وَاللَا اتِّجَاه وَاللَا هَدَف وَاللَا قِيمَة .. تِيه وَدَوَرَان وَهَذَيَان وَتَرَنُّح .. الْقُوَّةُ مُتَسرِّبَةٌ .الْإِرَادَةُ مَسْلُوبَةٌ .الْفِكْرُ مُشَتَّتٌ. الْحَيَاةُ غَارِقَةٌ فِي دَهَالِيزٍ مُظْلِمَة. يَا لَهَا مِنْ حَالَةٍ مُرَّةٍ وَصَلَ إِلَيهَا الْإِنْسَانُ بِسَبَبِ الْخَطِيَّة لَكِنْ يا لَهُ مِنْ خَبَرٍ جَمِيلٍ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّكَ رَغم كُلِّ هَذَا« **مَطْلُوبٌ** »

٢.قَدْ تَخْشَى يَا صَدِيقِي مِنْ كَلِمَةِ « مَطْلُوب » لِأَنَّهَا تُذَكِّرُكَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ الَّتِي تَبْعَثُ فِي النَّفْسِ الرَّغْبَةَ فِي الْهُرُوبِ وَالْاخْتِفَاءِ (مَطْلُوبٌ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ). لَكِنِّي أَقُولُ لَكَ يَا صَدِيقِي اطْمَئِن .. إِنَّ مَنْ يَطْلُبُكَ لَا يَطْلُبُكَ لِكَيْ يَضَعَ الْأَغْلَالَ فِي يَدِيكَ لَكِنْ لِكَيْ يَكْسِرَ قُيُودَكَ وَيَفُكَّكَ .. لَا يَطْلُبُكَ لِكَيْ يُلْقِيَكَ فِي السِّجْنِ، لَكِنْ يَطْلُبُكَ لِكَيْ يُعَرِّفَكَ بِأَنَّ الْفَخَّ انْكَسَرَ فَلِمَاذَا أَنْتَ هَارِبٌ؟ .. لَا يَطْلُبُكَ لِكَيْ تُنَفِّذَ الْعُقُوبَةَ وَالْحُكْمَ لَكِنْ لِكَيْ يَقُولَ لَكَ إِنَّهُ نَابَ عَنْكَ وَحَمَلَ دَيْنُونَتَكَ وَحُكْمَكَ وَأَنَّ اللهَ دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي جَسَدِهِ الْكَرِيمِ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ .. مَا أَروع كَلَام السَّيِّدِ الْمَسِيحِ « رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ ... لِأُنَادِيَ ... لِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ.» .. أَنْتَ مَطْلُوبٌ لَيْسَ لِلْقَبْضِ عَلَيْكَ بَلْ لِلْإِفْرَاجِ عَنْكَ .. الابْن جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ.

٣.أَعْجَبَتْنِي جِدًّا الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَطْلُبُ بِهَا الْابْنُ الْهَالِكِينَ .. مَا أَروعَهُ عِنْدَمَا ذَهَبَ لِيَجِدَ السَّامِرِيَّةَ الْمَفْقُودَةَ .. لَمْ يَقُمْ بِعَمَلِ هُجُومٍ مُبَاغِتٍ عَلَى مَحَلِّ سَكَنِهَا لِكَيْ يَمْسِكَهَا مُتَلَبِّسَةً لَكِنَّهُ لِحَسَاسِيَةِ الْمَوْقِفِ جَلَسَ بَعِيدًا عَلَى الْبِئْرِ مُنْتَظِرًا إِيَّاهَا. لَمْ يَفْتَحِ الْحَدِيثَ مَعَهَا فِي وُجُودِ التَّلَامِيذِ حَتَّى لَا يَفْضَحُ تَارِيخَهَا الْأَسْود أَمَامَهُمْ، لَكِنَّهُ بَدَأَ كَلَامَهُ مَعَهَا بَعْدَ ذِهَابِهِمْ لِيَبْتَاعُوا طَعَامًا وَأَنْهَى الْحَدِيثَ مَعَهَا قَبْلَ عَودَتِهِمْ .. لَمْ يُرْسِلْ قُوَّاتٍ لِلْقَبْضِ عَلَيْهَا لَكِنْ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ لِيَجِدَهَا (جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ) لَمْ يَسْتَخْدِمِ الْقَنَابِلَ وَالْمَدَافِعَ الْآلِيَّةَ لِكَيْ تَخْضَعَ لَهُ بِالْقُوَّةِ لَكِنَّهُ اسْتَخْدَمَ رُبُطَ الْمَحَبَّةِ وَحِصَارَ الْحُبِّ لِيَجْذِبَهَا، كَانَ لَطِيفًا مَعَ مَنْ لَا تَسْتَحِقُّ اللُّطْف .. صَدِيقِي اللهُ يُحِبُّكَ جِدًّا وَلَنْ يَفْضَحَكَ لَنْ يَنْشُرَ صُورَكَ فِي الصُّحُفِ وَيَكْتُبَ تَحْتَهَا مَطْلُوبٌ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ لَكِنْ بِمُعَامَلَاتٍ سِرِّيَّةٍ جِدًّا وَحُبِّيَّةٍ جِدًّا يُرِيدُ أَنْ يَجِدَكَ وَيُعِيدَكَ إِلَيْهِ. صَدِيقِي إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَطْلُبُكَ لِيَجِدَكَ لَا لِيَقْبِضَ عَلَيْكَ (وَالْفَارِقُ كَبِيرٌ). أَنْتَ مَطْلُوبٌ.

الْمَسِيحُ يَطْلُبُكَ لِيَجِدَكَ، لَا لِكَيْ يَقْبِضَ عَلَيْكَ.

٣ . مَطْلُوبٌ رَجُل

فِي هَذَا الْجُزْءِ أَتَحَدثُ عَنْ مَطْلَبٍ آخَر طَلَبَهُ اللهُ .. وَطَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا يَبْنِي جِدَارًا وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامِي عَنِ الْأَرْضِ لِكَيْلَا أُخْرِبَهَا؛ فَلَمْ أَجِدْ. فَسَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ غَضَبِي جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ (حَزْقِيَال٢٢: ٣٠، ٣١).

• بَحَثَ اللهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَيْسَ عَنْ رِجَالٍ كَثِيرِينَ بَلْ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ .. رَجُلٌ وَاحِدٌ فَقَطْ .. لَكِنْ بِكُلِّ أَسَفٍ يَقُولُ اللهُ (فَلَمْ أَجِدْ) .. لَمْ يَجِدِ اللهُ رَجُلًا لِلْمَهمَّةِ الَّتِي كَانَ يَبْغِيهَا.

• كَانَتْ مَهمَّةُ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَبْنِي جِدَارًا وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامَ اللهِ .. كَانَتْ مُهمَّتُهُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ اللهِ عَنِ الْأَرْضِ لِكَيْ لَا يُخْرِبُهَا .. رَجُلٌ يَقِفُ عَنِ الْأَرْضِ. نَعَمْ، يَا صَدِيقِي لَمْ يَجِدِ اللهُ بَيْنَهُمْ رَجُلًا .. لَكِنَّ الْخَبَرَ الْمُفَرِّحَ وَالْبِشَارَةَ السَّارَةَ الَّتِي أُرِيدُ أَنْ أُزَفَّهَا إِلَيكَ الْيَوْمَ أَنَّ اللهَ لَا يَفْشَلُ أَبَدًا، فَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ بَيْنَهُمْ وَجَدَهُ عِنْدَهُ .. مَا أَروعَ مَا قَالَهُ أَلِيهُو لِأَيُّوب: «إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلْإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ؛ يَتَرَاءَفُ عَلَيهِ وَيَقُولُ: أَطْلِقْهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ، قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً» (أَيُّوب٣٣: ٢٣، ٢٤). نَعَمْ، لَقَدْ وَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجُلَ .. يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ (أَعْمَال٢: ٢٢).

رَجُلٌ يَحْتَمِلُ (احْتَمَلَ الصَّلِيبَ) .. رَجُلٌ ثَابِتٌ وَلَهُ هَدَفٌ (ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ) .. رَجُلٌ صَاحِبُ فِكْرٍ . دَائِمًا يَقُولُ (أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ) ... رَجُلٌ حَكِيمٌ نَجَّى الْمَدِينَةَ بِحِكْمَتِهِ .. رَجُلٌ مُحِبٌّ وَمُضَحِّي (لِأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي) .. رَجُلٌ لَهُ هَيبَةٌ عِنْدَمَا قَالَ لِلْجُنُودِ " إِنِّي أَنَا هُوَ " رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ .. هُمْ رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ أَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرْجِعْ قَطُّ إِلَى الْوَرَاءِ رَغْمَ قَسْوَةِ الطَّرِيقِ .. رَجُلٌ حَمَى رَأْسِي وَرَأْسَكَ مِنْ نِيرَانِ الْغَضَبِ الْإِلَهِيِّ عِنْدَمَا وَقَفَ فِي الثَّغْرِ عَنِ الْأَرْضِ .. عِنْدَمَا عُلِّقَ عَلَى الصَّلِيبِ وَالرَّبُّ وَضَعَ

عَلَيهِ إِثْمَ جَميعِنَا وَصَبَّ عَلَيهِ غَضَبَهُ .. رَجُلٌ بَنَى لَيْسَ جِدَارًا مِنْ طُوبٍ بَلْ بَنَى كَيَانًا جَدِيدًا جَمِيلًا مِنَ الْمُؤمِنِينَ اسْمُهُ الْكَنِيسة .. مَا أَجْمَلَ الْإِعْلَان الَّذي أَعْلَنَهُ السَّيِّدُ لِبُطْرُس .. عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا .. نَعَمْ، وَجَدَ اللهُ مَطْلَبَهُ عِنْدَهُ .. فَهَلْ فِينَا مَنْ يَتَحَلَّى بِرُوحِ وَصِفَاتِ هَذَا الرَّجُلِ؟

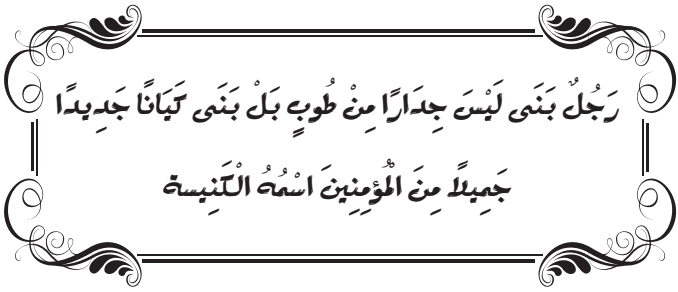

الْعِجْلُ الْمُسَمَّن وَالْمَسِيحُ الْمُثَمَّن

لَفَتَتْ نَظَرِي كَلِمَةُ الْمُسَمَّن الَّتِي وَصَفَ بِهَا الْكِتَابُ الْمُقَدّس الْعِجْلَ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا الْإِصْحَاح الْخَامِس عَشر، وَبِالْبَحث وَالسُّؤَالِ عَرِفْتُ أَنَّ تَسْمِينَ الْعِجُولِ مَشْرُوعٌ يَسْتَغْرِقُ وَقْتًا وَلَيْسَ حَدَثًا يَحْدثُ فِي يَوْم وَلَيلَة. لَمْ يُسَمَّنْ هَذَا الْعِجْل فَجْأَةً يَا صَدِيقِي وَإِنَّمَا عَلَى مَدَى فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ. كَانَ يَأْكُلُ، وَيَوْمٌ بَعْدَ يَوْم كَانَ حَجْمُهُ يَزْدَادُ. وَهُنَا أَرَى صُورَةً مُذْهِلَةً لِشَخْص الرَّبِّ يَسُوع الْمَسِيح مَوضُوعُ الْمَشُورَاتِ الْإِلَهِيَّة الْأَزَلِيَّة (الْمَسِيحُ الْمَعْرُوف سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَم)..صُورَةٌ لِإِعْدَادِ هَذَا الْمَشْرُوع الْعَظِيم لِفِدَاءِ الْبَشَرِيَّة .. أَرَى صُورَةً لِنمُوِّ هَذَا الْمَشْرُوع الْإِلَهِيّ تَدْرِيجِيًّا حَتَّى اكْتِمَاله .. صُورَةٌ لِلتَّجَسُّد، فَالْجَسَدُ يُمْكِنُ أَنْ يَنْمُو. أَمَّا الرُّوحُ لَا تَنْمُو فِي ذَاتِهَا. مَا أَروع قَول الْكِتَاب: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ لَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا» .. يَقُولُ الْكِتَابُ: «لَمَّا جَاءَ مِلءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَة، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوس» .. وَرَأَيْنَاهُ طِفْلًا جَمِيلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ .. وَلَكِنْ لَمْ يَبْقَ طِفْلًا فَمَا أَدَقّ قَول الْكِتَاب: «وَأَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاس» ..لَكِنَّهُ أَيْضًا لَمْ يَبْقَ صَبِيًّا فَنَسْمَعُ الْكِتَاب يَقُولُ: «يَسُوع الْمَسِيح رَجُلٌ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنَ قِبَلِ اللهِ بِقُوَاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ» .. وَمَا إِنْ سَمِنَ الْمَشْرُوعُ وَاكْتَمَل حَتَّى سَمِعنَا الْمَسِيح يَقُولُ: «قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ قُومُوا نَنْطَلِقُ مِنْ هُهُنَا. وَسَمِعنَا الْأَبُ يَقُولُ قَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ .. وَجَلْجَلَ صَوتُ السَّمَاءِ مُخَاطِبًا السَّيف النَّائِم فِي جَنَّة عَدن اسْتَيقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي... اضْرِب الرَّاعِيَ» (زَكَرِيَّا١٣: ٧).

لَفَتَ نَظَرِي أَيْضًا قَولُ الْأَبِ أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الْأُولَى وَأَلْبِسُوهُ .. فَقَدْ كَانَ الْأَبُ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ الْابْنَ سَيَخْجَلُ من أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ وَيَلبَس الْحُلَّةَ مِنْ ذَاتِه؛ لِهَذَا أَمَرَ أَنْ يُلْبِسُوهُ الْحُلَّةَ. فَيَا لرَوعَةِ قَلبِ الْآبِ فِي تَعَامُلِه مَعَ تَفَاصِيلِ نَفْسِيَّتِنَا.

أَخيرًا يَا صَديقي أَقُولُ قَبلَ الْأَبُ الْابْنَ ابْنًا وَلَيْسَ عَبْدًا، وَهَذَا لِأَنَّ الْمَسيحَ أَخَذَ مَكَانَ هَذَا الْابْنِ الضَّالّ (آخذًا صُورَةَ عَبْدٍ) .. وَأَكْبَرُ دَليلٍ عَلَى ذَلكَ أَنَّ الْمَسيحَ خَضَعَ لِعَمَليَّةِ تَثْمينٍ وَهِيَ لَا تُجْرَى إِلَّا لِلْعَبيدِ .. لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ ثُمِّنَ .. حينَئِذٍ تَمَّ مَا قيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: وَأَخَذُوا الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (مَتَّى٢٧: ٩) لِقَدْ ثَمَّنَ الْبَشَرُ الْمَسيحَ بِالْفِضَّةِ .. أَمَّا الْمَسيحُ فَقَدْ رَآنَا لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثيرَةَ الثَّمَنِ .. ثَمَّنَ الْمَخْلُوقُ الْخَالِقَ بِثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ .. فَيَالِغَبَاوتِنَا. أَمَّا الْخَالِقُ فَلَمْ يَضَعْ رَقَمًا مُحَدَدًا، بَلْ قَالَ: كَثيرَةَ الثَّمَنِ. وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا أَغْلَى مِنْ أَيِّ رَقمٍ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ.. فَقَدْ ثَمَّنَهَا بِدَمِهِ (مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا لَهُ لِيَشْتَرِيهَا) .. فَيَالَغَلَاوَتِنَا.

صَديقي، الْآبُ يُحِبُّكَ حُبًّا بِلَا حدُودٍ .. الْآبُ أَعَدَّ لَكَ عِجْلًا مُسَمَّنًا لِيُشْبِعكَ وَلَيْسَ عَصا غَليظَة لِيَضْرِبكَ .. وَإِنْ كُنْتَ تَشُكُّ فِي مَحَبَّتِهِ لَكَ فَارجِعْ إِليهِ وَأَلْمِس بِنَفْسِكَ أَعْمَاقَ قَلبِهِ.

ثَمَّنَ الْمَخْلُوقُ الْخَالِقَ بِثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ،
فَيَالَغَبَاوَتِنَا. وَثَمَّنَ الْخَالِقُ الْمَخْلُوقَ بِدَمِهِ فَيَالَغَلَاوَتِنَا.

دَخَلْتُ غُرْفَتَكَ وَارتَسَمَتْ الْكَآبَةُ عَلَى الْجدرَانِ.

هَواءُ الْغُرفَةِ يُذَكِّرُني بِرَائِحَةِ مَنْ تَرَكَ الْمَكَان.

فَرَاغٌ عَميقٌ سِكُونٌ وَصَمْتٌ لَا تَصِفهُ الْمَعَاني.

فَيَا ابْنِي لِمَاذَا ذَهَبْتَ بَعيدًا، لِمَاذَا تَركْتَ الْمَوانِي،

لِمَاذَا هَربْتَ وَغَادرتَ قَلبًا لَا يَحْتَملُ غِيَابكَ ثَواني.

ذَهَبْتَ لِلْكُورَةِ الْبَعِيدَةِ حَيْثُ أَحْضَان الزَّواني،

فكيفَ تَحْتَملُ الْحِنْطَةُ الْبَقَاءَ فِي حِقْلِ الزَّوانِ.

قد كُنْتَ فِي الْحِضْنِ مَحْمِيًّا .وَفَتَحْتَ عَلَى نَفْسِكَ النِّيرَان،

يَا ابْنِي وَإِنْ حَضَنتَكَ الزَّواني فَلَنْ تَجِدَ مِثْلَ أَحْضاني؛

وَإِنْ قَبّلَتْكَ شِفَاهُ الْأَلوانِ فَقُبُلَاتِي لَهَا طَعْمٌ ثَانِ.

عُدْ إِلَيَّ .. فَأَحْضَانِي لَا تُقَارنُ بِبَاقِي الْأَحْضَانِ؛

عُدْ إِلَيَّ .. فَصَدَى صَوتِكَ يَرنُّ لَا يُفَارِقُ آذَانِي؛

عُدْ إِلَيَّ .. عِيُونِي لَا تَغْمِضُ وَفَلَذَةُ الْكَبِدِ تُعَانِي،

أرجِعْ لِعَقْلِكَ وَعُدْ، حُبِّي لَكَ يُفَتِّتُ الصِّوان.

يَا ابْنِي لَمْ أُشْفِقْ عَلَى ابْنِي فَأَحْتَمَلَ عَارًا وَهوان،

حَمَل صَلِيبًا ثَقِيلًا، وَاسْأَل يَا ابْنِي الْقيرُوانِي،

صَلِيبٌ فَتَحَ الطَّرِيقَ أَمَامَكَ وَجَعَلَ الْبَعِيدُ دَانِي.

هَيا .. فَلِمَا تَقْبَلُ طَعَامَ الْمَواشِي وَلَكَ الْعِجُل السِّمَانِ،

وَلِمَا تَرضَى يَا ابْنِي الْبَوَاقِي وَبَيْت أَبِيكَ مَلَآن؛

وَلِمَا تَرْجُو إِحْسَانَ الرُّعَاةِ بِخُرنُوبِ خِنْزِيرٍ فَاني

وَلِمَا تَقْرَعُ أَبوابَ الْقُسَاةِ وَفِي حُضْنِ الْآبِ مَكَان.

سَأَذْبَحُ لَكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ مَعَ كَونِهِ لَيْسَ الْجَانِي،

عِجْلٌ أَعْدَدْتُهُ طِيلَةَ غِيَابِكَ لِيُصْبِحَ مِنَ السِّمَانِ.

وَكَابنٍ سَأَقْبِلُكَ لِأَنَّ ابْنِي بِيعَ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ.

هَيَّا تَعَالَ .. فَقَدْ اشْتَاقَ لِلْحَدِيثِ مَعَكَ لِسَانِي؛

هَيَّا تَعَالَ .. فَقَدْ أَعْدَدتُ الْغَذَاءَ وَمَلَأْتُ الْأَوانِي؛

هَيَّا تَعَالَ .. مَكَانُكَ عَلَى الْمَائِدَةِ لَنْ يَمْلَأَهُ ثَانٍ.

عُد لِلْبَيْتِ لِيَكْتَمِلَ الْكَيَان. عُد لِلْبَيْتِ فَهُنَا الْعِنوَان.

فِي انْتِظَارِ قدُومِكَ أَعُدُّ الثَّوانِي.

يَا ابْنِي لَا تَنْسَى أَنِّي لَنْ أَنْسَاكَ مَهْمَا طَالَ الزَّمَان.

خَرِبش بِرفقٍ

لَفَتَتْ نَظَرِي تِلْكَ الْجُمْلَةُ الْمَكْتُوبَةُ عَلَى كَارت شَحنِ التِّليفُون الْمَحْمُولِ « خَرْبِشْ بِرفقٍ » وَقَفَزَتْ فِي ذِهنِي تِلْكَ الْفِكرَةُ « إِذَا لَمْ تَقُمْ بِخَربَشَةِ الْكَارت » أَوْ «إِذَا قُمْتَ بِخَربَشَةِ الْكَارت بِعُنْفٍ » فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى الرَّصِيدِ بِالرَّغمِ مِنْ أَنَّكَ تَمْتَلِكُ كَارَتًا، وَتَذَكَّرتُ عَلَى الْفَورِ قِصَّةَ جِدْعَون عِنْدَمَا أَتَاهُ مَلَاكُ الرَّبِّ وَوَجَدَهُ يَخْبِطُ حِنْطَةً وَيَا لَهُ مِنْ فِعْلٍ جَمِيلٍ، كَانَ جِدْعَون يَمْتَلِكُ طَعَامًا، يَمْتَلِكُ حِنْطَةً وَلَكِنَّ هَذَا الطَّعَامَ لَا يُمْكِنُ أَكلُهُ دُوْنَ أَنْ يُخْبَطَ لِأَنَّ الْحِنْطَةَ عَلَيهَا قِشْرَةٌ أَوْ غُلَافٌ خَارِجِيّ لَابُدَّ مِنْ خَبْطِهِ حَتَّى يَسْقُطَ فَتَظْهَرُ الْحِنْطَةُ وَعِنْدَهَا يُمْكِنُ أَكْلَهَا. لِتُعْطِيَ رَصِيدًا مِنَ الطَّاقَةِ .

يَا صَدِيقِي قَدْ تَمْتَلِكُ كِتَابًا مُقَدَّسًا مُنْذُ طُفُولَتِكَ وَلَكِنَّكَ لَمْ تَحْصُلْ عَلَى رَصِيدٍ رُوحِيٍّ فِي أَعْمَاقِكَ يَسْنِدُكَ وَقْتَ الْعَوَاصِفِ، وَلَا تَسْتَمْتِعُ بِرَصِيدٍ رُوحِيٍّ يَكْبَحُ جِمَاحَكَ وَقْتَ الْغَضَبِ، وَلَا تَسْتَمْتِعُ بِرَصِيدٍ رُوحِيٍّ لِتَغْفِرَ لِمَنْ أَهَانَكَ لِأَنَّكَ يَا صَدِيقِي مُتَرَاخِي لَا تُرِيدُ أَنْ تَتْعَبَ وَتَخْبُطَ حَتَّى تَظْهَرَ لَكَ الْحِنْطَةُ فَتَشْبَعُ. قَالَ الْمَسِيحُ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا٥: ٣٩ « فَتِّشُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي». لَقَدْ كَانَ الْيَهُودُ يَظُنُّونَ أَنَّ مُجَرَّدَ الْقِرَاءةِ أَوْ حَتَّى سَمَاعِ قِرَاءةِ الْكُتُبِ فِي الْمَجْمَعِ كُلّ يَوْمِ سَبْتٍ يُعْطِي حَيَاةً، لَكِنَّ الْمَسِيحَ صَحَّحَ هَذَا الْفِكْرِ بِأَنْ أَوضَحَ لَهُمْ أَنَّ الْحَيَاةَ هِيَ فِي الْمَسِيحِ الْمَوجُودِ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ لَمْ تَكْتَشِفُوا الرَّصِيدَ الَّذِي بِدَاخِلِ الْكُتُبِ الَّذِي هُوَ أَنَا حَتَّى تَحْصُلُوا عَلَى الْحَيَاةِ وَتَشْبَعُوا. لَاحِظْ الْقَولَ « وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي »، ثُمَّ قَدَّمَ لَهُمْ الْحَلَّ بِأَنَّ مُجَرَّدَ الْقِرَاءةِ كَطَقسٍ أَوْ كَتَعْوِيذَةٍ لَا تَكْشِفُ لَكَ عَنِ الرَّصِيدِ الْمَوجُودِ فِي الْكُتُبِ. الْأَمرُ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْتِيشٍ هَلْ لَاحظْتَ يَا صَدِيقِي كَلِمَةَ « فَتِّشُوا .»

وَلَكِنِّي يَا صَدِيقِي أَخْشَى مِنْ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يُخَرْبِشُونَ الْكَارت بِعُنْفٍ فَيَضِيعُ الرَّقمَ مِعَ

الْخَرِبَشَةِ وَلَا تَسْتَمْتِعُ بِالرَّصِيدِ فَهُنَاكَ مَنْ يَقرأَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّس مُعْتَمِدًا عَلَى قُدْرَاتِهِ وَذَكَائِهِ الْبَشَرِيِّ وَفَلْسَفَتِهِ الْإِنْسَانِيَّة دُوْنَ الْاعتِمَادِ وَالْانْتِظَارِ لِرُوحِ اللهِ حَتَّى يَكْشِفَ لَهُ فَيُحَمِّلُ الْكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظَ أَكْثَرَ مِمَّا تَحْتَمِلُ فَيَفْقِدُ الْمَعْنَى الْأَصْلِي لِلْكَلَامِ وَلَا يَخْرُجُ بِحَصِيلَةٍ وَيَفْقِدُ الرَّصِيدَ. فَاحْذَرْ يَا صَدِيقِي فَإِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّس هُوَ كَلَامُ اللهِ وَلَنْ يَكْشِفَ لَكَ أَبْعَادَهُ إِلَّا رُوحِ اللهِ. فَهَيَّا يَا صَدِيقِي خَرِبِش بِرِفْقٍ .. اخْبِطْ الْحِنطَةَ .. فَتِّشْ الْكُتُبَ حَتّى تَحْصُلَ عَلَى الرَّصِيدِ .

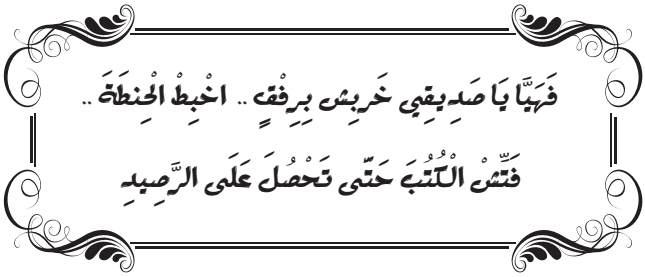

الْمُؤمِنُ بَيْنَ رَغِيفٍ وَرَغِيفٍ

ارْتَبَطَ اسْمُهُ بِالشَّبَعِ وَالْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ .. أَنْقَذَ الْعَالَمَ فِي وقْتِهِ مِنْ مُنْعَطَفٍ شَدِيدِ الْخُطُورَةِ .. مَجَاعَةٌ كَانَتْ كَفِيلَةً بِأَنْ تُنْهِيَ الْعَالَمَ وَتَقْضِي عَلَيهِ ..

إِنَّهُ يُوسُف .. يُوسُف الْمُعْطَى سُلْطَانًا مِنْ فِرْعَوْن .. إِذْ قَالَ فِرْعَون لِيُوسُف (أَنَا فِرْعَونُ. فَبِدُونِكَ لَا يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلَا رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ). كَانَ مُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ بَلْ وَعَلَى كُلِّ الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ مَكَانَةِ مِصْرَ وَقْتَهَا .. لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَخدِمْ سُلْطَانَهُ قَطّ فِي مَنْعِ الْقَمْحِ عَنِ النَّاسِ بَلْ دَائِمًا كَانَ يَمْنَحُ وَيُعْطِي. ذَكَّرَنِي سُلْطَانُ يُوسُف عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ بِشَخْصِ الْمَسِيحِ وَالَّذِي كَانَ يُوسُف رَمْزًا بَاهِتًا لَهُ .. إِذْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ فِي يُوحَنَّا١٧ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الْبَدِيعَةَ (تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ) يَا لَرَوعَةِ الصُّورَةِ. يُوسُفُ مُتَسَلِّطًا عَلَى الأَجْسَادِ يُعْطِي قَمْحًا وَالْمَسِيحُ مُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ يُعْطِي حَيَاةً أَبَدِيَّةً.

أَنْجَبَ يُوسُفُ وَلَدَينِ .. مَنَسَّى وَأَفْرَايم .. وَكُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ عَلَاقَةٌ بِالْخُبْزِ .. فَمِنْ مَنَسَّى خَرَجَ جَبَّارٌ اسْمُهُ جِدْعَون (عَشِيرتُهُ هِيَ الذُّلَّى فِي مَنَسَّى) ذَكَرَ عَنْهُ الْكِتَابُ هَذَا التَّشْبِيهَ: أَنَّهُ رَغِيفُ خُبْزِ شَعِيرٍ يَتَدَحْرَجُ فِي مَحَلَّةِ الْمِدْيَانِيِّينَ وَجَاءَ إِلَى الْخَيْمَةِ وَضَرَبَهَا فَسَقَطَتْ، وَقَلَبَهَا إِلَى فَوْقٍ فَسَقَطَتِ الْخَيْمَةُ .. رَغِيفٌ لَيْسَ مَوضُوعًا عَلَى مَائِدَةٍ سَاكِنًا خَامِلًا، لَكِنَّهُ يَتَدَحْرَجُ فِي الْمَحَلَّةِ مُتَحَرِّكًا فَعَّالًا (جَاءَ إِلَى الْخَيمَةِ.) رَغِيفٌ لَيْسَ عَجِينًا لَيِّنًا لأَنَّ الْعَجِينَ اللَّيِّنَ لَا يَتَدَحْرَجُ، لَكِنَّهُ حَتمًا اخْتَبَرَ نَارَ الْفُرنِ وَحَرَارَةَ الشَّمْسِ وَتَصَلَّبَ لِيَتَدَحْرَجَ .. وَالطَّبِيعِيُّ عِنْدَمَا يَصْطَدِمُ رَغِيفٌ بِخَيْمَةٍ (مَهْمَا كَانَتْ صَلَابتهُ) هُوَ أَنَّ الرَّغِيفَ يَتَوقَّفُ وَالْخَيْمَةُ لَا يَحْدُثُ لَهَا شَيْئًا .. لَكِنَّ الْغَرِيبَ أَنَّ هَذَا الرَّغِيفَ قَلَبَ الْخَيْمَةَ وَأَسْقَطَهَا ..

فَمَا هُوَ سِرُّ هَذِهِ الْقُوَّةِ الرَّهِيبَةِ؟ .. هَلْ هِيَ سُرعَةُ التَّدَحْرُجِ أَمْ حَجْمِ الرَّغِيفِ أَمْ مَاذَا؟ أَقُولُ يَا صَدِيقِي إِنَّهَا لَيْسَتْ فِي سُرعَةِ التَّدَحْرُجِ، فَقَدْ كَانَ جِدْعُونُ خَائِفًا وَمُتَرَدِّدًا، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ فِي حَجْمِ الرَّغِيفِ، فَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ عَشِيرَتِي هِيَ الذُّلَّى فِي مَنَسَّى .. إِنَّهَا قُوَّةٌ مُكْتَسَبَةٌ وَلَيْسَتْ قُوَّةٌ ذَاتِيَّةٌ .. إِنَّهُ إِنَاءٌ خَزَفِيٌّ ضَعِيفٌ لَكِنْ سِرَّ الْقُوَّةِ فِي اللهِ الَّذِي قَالَ لَهُ إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ .. إِنَّهَا قُوَّةٌ جَعَلَتْ الرَّغِيفَ بِمَثَابَةِ قُنْبُلَةٍ قَلَبَتْ الْخَيْمَةَ وَأَسْقَطَتْهَا .. قُوَّةٌ فِي الدَّاخِلِ وَإِنْ جَازَ لِي أَنْ أَقُولَ هَذَا التَّعبِيرَ (قُوَّةُ الرَّغِيفِ فِيمَا دَاخِلِهِ.) قُوَّةٌ فِي الْكَنْزِ الْمَوجُود دَاخِلِ الْخَزَفِ.

أَمَّا الرَّغِيفُ الثَّانِي فَهُوَ أَفْرَايِمُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْكِتَابُ إِنَّهُ صَارَ خُبْزَ مَلَّةٍ لَمْ يُقْلَبْ. أَكَلَ الْغُرَبَاءُ ثَرْوَتَهُ (strength) رَغِيفٌ خَامِلٌ وَسَاكِنٌ غَيْرُ فَعَّالٍ مَوضُوعٌ مَكَانَهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ بَلْ حَتَّى لَمْ يُقْلَبْ .. مَحْرُوقٌ .. مُمِلٌّ .. مُتَكَرِّرٌ فِي كَلَامِهِ وَتَعْلِيقَاتِهِ .. غَيْرُ مُؤَثِّرٍ .. ضَعِيفٌ .. اخْتَلَطَ بِالْغُرَبَاءِ فَأَكَلُوا قُوَّتَهُ .. حَقًّا مَا أَبْعَدَ الْفَارِقَ بَيْنَ رَغِيفٍ ضَرَبَ الْغُرَبَاءَ فَقَلَبَ خَيمَتَهُمْ وَأَسْقَطَهَا وَرَغِيفٍ آخَر اخْتَلَطَ بِالْغُرَبَاءَ فَأَكَلُوا قُوَّتَهُ وَأَضْعَفُوا خَيمَتَهُ (رُشَّ عَلَيهِ الشَّيْبُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ) صَدِيقِي إِنْ لَمْ تُقْلَبْ (كَرَغِيفٍ) فَلَنْ تَقْلِبَ (الْخَيمَةَ).

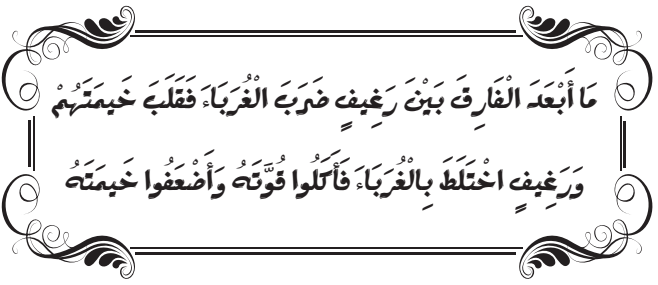

وَأَنَا أُعَلِّمُكَ مَاذَا تَصْنَعُ ١

فِي بِدَايَةِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ أَشْعُرُ أَنَّنَا نَحْتَاجُ بِشِدَّةٍ أَنْ نُصَلِّي أَنْ يُجَدِّدَ اللهُ أَذْهَانَنَا بِكَلِمَتِهِ وَيَغْسِلَ عُقُولَنَا مِنَ الصُّوَرِ الْمَغْلُوطَةِ عَنْهُ .. سَأَكْتُبُهَا فِي صُورَةِ أَسْئِلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ حَسَبَ مَا أَعْطَانِي الرَّبُّ مِنْ نُورٍ .

السُّؤالُ الأَوَّل هَلْ اللهُ يُعْلِنُ مَشِيئَتَهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً أَمْ بِصُورَةٍ جُزْئِيَّةً؟ وَهَلْ الإِرْشَاد الإِلَهِيّ يَسْبُقُ تَحَرُّكَاتِنَا أَمْ يَتَخَلَّلُ تَحَرُّكَاتِنَا أَمْ الاثْنَيْنِ؟

فِي صَمُوئِيل الأَوَّل ١٦ قَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيل أَمْلأْ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أُرْسِلُكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا .. وَهُنَا تَوَقَّفْتُ وَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ أَعْلَنَ اللهُ لِصَمُوئِيل مَنْ هُوَ الْمَلِكُ تَحْدِيدًا، أَي قَالَ لَهُ بِالاسْم أَنَّهُ دَاوُد؟ **الإِجَابَةُ** لا .. هَلْ لَمْ يُعْلِنْ اللهُ رُؤْيَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ لِصَمُوئِيل؟ الإِجَابَةُ أَيْضًا لا .. لأَنَّهُ قَالَ لَهُ إِنَّ الْمَلِكَ مِنْ أَبْنَاءِ يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ .. وَهُنَا أَقُولُ إِنَّ اللهَ أَعْلَنَ جُزْءًا مِنَ الْمَشِيئَةِ أَوْ جُزْءًا مِنْ رُؤْيَتِهِ وَلَمْ يُعْلِنْهَا كُلَّهَا .. أَقُولُ إِنَّ اللهَ أَعْلَنَ الْجُزْءَ الأَوَّل وَالَّذِي يَكْفِي لِكَيْ يَخْطُو صَمُوئِيل الْخُطْوَةَ الأُولَى، وَيَذْهَبُ لِيَسَّى فِي بَيْتِ لَحْم .. وَقَدْ يَكُونُ صَمُوئِيل قَدْ تَخَيَّلَ أَنَّ الْمُهِمَّةَ الآنَ أَصْبَحَتْ بَسِيطَةً بَعْدَ أَنْ عَرِفَ أَنَّ الْمَلِكَ مِنْ أَبْنَاءِ يَسَّى، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَم أَنَّ يَسَّى لَدَيهِ ثَمَانِيَةَ أَبْنَاء.حَدَّدَ لَهُ بَيْتًا، وَلَمْ يُحَدِّدْ لَهُ الشَّخْصَ بَعْد. أَشَارَ لَهُ عَلَى دَائِرَةٍ مَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُشِرْ لَهُ عَلَى نُقْطَةٍ مُحَدَّدة بَعْد.

وَفِي بَيْتِ لَحْم بَدَأَتْ الْمَرْحَلَةُ الأُخْرَى مِنَ الإِرْشَاد .. فَبِمُجَرَّد أَنْ رَأَى صَمُوئِيل أَلِيآبَ انْبَهَرَ وَقَالَ إِنَّ أَمَامَ الرَّبِّ مَسِيحَهُ .. وَهُنَا تَدَخَّل اللهُ وَقَالَ لَهُ لا تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ .. وَهُنَا أَقُولُ إِنَّ اللهَ عَلَّمَ صموئيل مَبْدَأً كَانَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ إِلَّا عِنْدَمَا وُضِعَ فِي الْمَحَكِّ الْعَمَلِيِّ لِيَخْتَارَ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ فِي الْبِدَايَةِ وَأَنَا أُعَلِّمُكَ (أُخْبِرُكَ) مَاذَا تَصْنَع .. وَبَعْدَمَا رَأَى صَمُوئِيل سَبْعَةً مِنْ أَبْنَاءِ يَسَّى وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْتَرْ هَؤُلاءِ بَدَا

وَكَأَنَّ الْمَوقِفُ قَدْ دَخَلَ فِي حَارَةٍ مُظلِمَةٍ مَسدُودَةٍ، أَوْ كَمَا لَوْ أَنَّ هُنَاكَ شَيْءٌ خَطَأ أَوْ شَيْءٌ غَيْر مَفْهُوم .. لَكِنْ إِيمَانُ صَمُوئِيل بِكَلَام اللهِ بِأَنَّ الْمَلِكَ مِنْ أَبْنَاءِ يَسَّى جَعَلَهُ يَسْأَلُ يَسَّى هَلْ كَمِلُوا الْغُلْمَانُ ..إِيمَانُهُ بِكَلَام اللهِ الأَوَّل جَعَلَهُ يَسْتَنْتِجُ بِمَا أَنَّ الْمَلِكَ مِنْ بَيْتِ يَسَّى، إِذًا فَلَابُدَّ أَنَّ هُنَاك ابْنًا آخر لِيسَّى غَيْر الذين رَآهُمْ.

وَهُنَا بَدَأَ الْكَشْفُ وَالإِعْلَانُ عَنِ الْمَشِيئَةِ الْمُخْتَفِيَّةِ وَالْمُخْتَبِئَةِ وَالَّتِي تَبْدُو أَحْيَانًا أَوْهَامًا غَيْر مَوجُودَةٍ (لَمْ يَكُنْ دَاوُد مَوجُودًا فِي الْبَيْتِ) فَأَرْسَلَ يَسَّى وَأَحْضَرَ دَاوُد .. وَعِنْدَمَا رَأى صَمُوئِيلَ دَاوُد قَالَ لَهُ الرَّبُّ قُمْ امْسَحْهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ .. وَهُنَا أَشَارَ لَهُ اللهُ لَيْسَ عَلَى دَائِرةٍ، بَلْ حَدَّدَ لَهُ نُقْطَةً مُحدَّدةً. لَمْ يَسْمَعْ صَمُوئِيلَ عِبَارَةَ «هَذَا هُوَ» فِي الْبِدَايَةِ، فَقَدْ كَانَ لَابُدّ أَنْ يَجْتَازَ هَذِهِ الرِّحْلَةَ الْمُشَوّقَةَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ أَنْ يَخْتَبِرَ الْمَشِيئَةَ لَا أَنْ يَتَلَقَّنَهَا .. اللهُ لَا يَهْدِفُ فَقَطْ أَنْ يُعَرِّفَنَا مَشِيئَتَهُ لَكِنَّهُ يُرِيدُ أَيْضًا أَنْ يُعَلِّمَنَا كَيْفَ نَخْتَار ..

اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُفَعِّلَ إِرَادَتَنَا الْحُرَّةَ وَحَقَّنَا فِي الاخْتِيَارِ الْمَضْبُوطِ بِإِرْشَادِهِ وَقِيَادَتِهِ وَمَبَادِئِهِ .. اللهُ لَنْ يَنْقُلَنَا نَقَلَاتٍ سِحْرِيَّةً لَكِنْ لَابُدَّ أَنْ نَتَحَرَّكَ لِنَكْتَشِفَ ..

كَانَ لَابُدَّ أَنْ يَجْتَازَ هَذِهِ الرِّحلَةَ، حَتَّى يَتَعَلَّمَ أَنْ يَخْتَارَ الْمَشِيئَةَ، لَا أَنْ يُتَلَقَّنَهَا

اللهُ لَا يَهْدِفُ أَنْ يُعَرِّفَنَا مَشِيئَتَهُ فَقَطْ، لَكِنَّهُ يُرِيدُ أيضاً أَنْ يُعَلِّمَنَا كَيْفَ نَخْتَار.

وَأَنَا أُعَلِّمُكَ مَاذَا تَصْنَعُ ٢

مِنْ ضِمْنِ الأُمُورِ الَّتِي يَسْعَى كُلُّ مُؤمِنٍ مُخْلِصٍ إِلَى مَعْرِفَةِ مَشِيئَةِ اللهِ فِيهَا هِيَ أَمْرُ الارْتِبَاطِ .. اخْتِيَارُ شَرِيك أَوْ شَرِيكَة الْحَيَاةِ .. وَإِذَا كُنْتَ تَرَى أَنَّ مَعْرِفَةَ مَشِيئَةِ اللهِ فِي هَذَا

الْأَمْرِ صَعْبَةٌ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ مَخْزُونَ الْأَفْكَارِ الَّتِي دَاخِلَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ يَحْتَاجُ إِلَى تَعْدِيلٍ وَإِحْلَالٍ وَتَجْدِيدٍ وِفْقًا لِمَا أَعْلَنَهُ الْكِتَاب . فَهَلْ الأَمْرُ تَعْيِينٌ أَمْ تَحْدِيد؟ مِنْ أَكْبَرِ الْمُعْضِلَاتِ الْفِكْرِيَّة فِي هذا الصَّدد، والَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَوضِيحٍ مُعْضِلَةٌ أُسَمِّيهَا تَعْيِينٌ أَمْ تَعْيِينٌ مُسَبَّق؟

السُّؤالُ الثَّاني:

مَا الْمَقْصُود بِالتَّعْيِينِ الْإِلَهِيِّ، وَمَا هِيَ أَنْوَاعُهُ، وَمَا مَعْنَى الْكَلِمَة فِي الْأَصْلِ اللُّغَوِيّ؟ فِي الْبِدَايَةِ أَقُولُ إِنَّ هُنَاكَ كَلِمَتَانِ فِي الْأَصْلِ اللُّغَوِيِّ تُتَرجَمُ فِي الْعَرَبِيَّة «التَّعْيِين» فَهُنَاكَ الْكَلِمَةُ الْوَارِدَة فِي تَكْوِين ٢٤ عَيَّنْتَهَا .«appointed» وَهُنَاكَ كَلِمَةٌ أُخْرَى وَرَدَتْ فِي رِسَالَةِ رُومِيَة ٨ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ .«predestinated» وَأَجِدُهُ لَزِامًا أَنْ أُوضَّحَ أَنَّ الْكَلِمَةَ الْأُولَى فِي تَكْوِين ٢٤ تَعْنِي أَنَّ أَلِيعَازَرَ عِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَى الْبِئْرِ فتيات كثيرات وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ مَنْ هِيَ الْفَتَاةُ الْأَنْسَب الَّتِي يَرَاهَا اللهُ مِنْ وَسَطِهِنَّ .. وَهُنَا عَيَّنَهَا اللهُ (أَي حَدَّدَهَا) لَهُ مِنْ وَسَطِهِنَّ بِأَنْ حَقَّقَ لَهُ الْعَلَامَةَ .. هَذَا التَّعْيِينُ لَا يَحْمِلُ الْبُعْدَ الْأَزَلِيّ الْمُسَبَّق، فَأَلِيعَازَر لَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِ (هِيَ الَّتِي سَبَقَ فَعَيَّنْتَهَا، وَلَكِنَّهُ قَالَ هِيَ الَّتِي عَيَّنْتَهَا بِدُوْنِ كَلِمَةِ سَبَق) وَهَذَاالتَّعْيِينُ زَمَنِيٌّ مُتَحَرِّكٌ وَلَيْسَ ثَابِتًا Dynamic not static أَي أَنَّ رِفْقَة هِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي حَدَّدَهَا اللهُ لِإِسْحَق فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي تَحَرَّكَ فِيهِ أَلِيعَازَر أَي أَنَّهُ لَوْ تَحَرَّكَ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ بِخَمْسَةِ سَنَوَات أَوْ بَعْدِهِ بِخَمْسَةِ سَنَوَات فَلا وَلَنْ تَكُونَ رِفْقَة هِيَ الْعَرُوسُ الْمُحَدَّدَة. أَمَّا الْكَلِمَةُ الْأُخْرَى سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ predestinated كَتَعْيِينِ اللهِ لَنَا لِنَكُونَ أَبْنَاءً لَهُ .. هَذَا التَّعْيِينُ أَزَلِيٌّ مُسَبَّقٌ وَثَابِتٌ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ Static not dynamic كَمَا أَنَّهُ وَاجِبُ النَّفَاذِ (أَي لَابُدَّ أَنْ يَتِمَّ). وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَنْطَبِقُ عَلَى الزَّوَاجِ أَوْ أُمُورِ الزَّمَانِ .

أُعْطِي مِثَالًا لِكَيْ أَكُونَ أَكْثَرَ وُضُوحًا .. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ اللهَ عَيَّنَ لِي مُسَبَّقًا مِنَ

الْأَزَلِ أَنْ أَدْخُلَ كُلِّيَّةَ الطِّبِّ .. لَكِنِّي أَسْتَطِيع أَنْ أَقُولَ أَنَّ اللهَ رَأَى لِي ذَلِكَ .. لِأَنِّي لَوْ قُلْتُ إِنَّهَا تَعْيِينٌ أَزَلِيٌّ مُسَبَّقٌ فَلَابُدَّ أَنْ أَدْخُلَهَا حَتَّى وَإِنْ لَمْ أَدْخُلْ امْتِحَانَاتِ الثَّانَوِيَّةِ الْعَامَّةِ، وَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ مَنْطِقِيًّا .. لَكِنَّ اللهَ رَأَى ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُ فِي الْمَشِيئَةِ وَاجْتَهَدْتُ سَأَصِلُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ فَلَنْ أَصِلَ .. أَخِيرًا وَلَيْسَ آخِرًا أَقُولُ إِنَّ التَّعْيِينَ الْأَزَلِيّ الْمُسَبَّق هُوَ فَقَطْ فِي الْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَمْتَدُّ لِلْأَبَدِ وَلَيْسَ لِأُمُورٍ تَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ الزَّمَانِ، وَالزَّوَاجُ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَبَدِيَّة، لَكِنَّهُ قَصْدٌ سَيَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ الزَّمَانِ .. اللهُ لم يُعَيِّنْ مُسَبَّقًا مِنَ الْأَزَلِ أُمُورًا أَقَلّ مِنْ تلك الَّتِي تَمْتَدُّ لِلْأَبَدِ .. الزَّوَاجُ تَعْيِينٌ زَمَنِيّ مُتَحَرِّكٌ. أَمَّا التَّبَنِّي تَعْيِينٌ مُسَبَّقٌ أَزَلِيٌّ ثَابِتٌ .

اللهُ لَمْ يُعَيِّنْ مُسَبَّقًا مِنَ الأَزَلِ أُمُورًا أَقَلّ مِنْ تِلْكَ الَّتِي تَمْتَدُّ لِلأَبَدِ.

وَأَنَا أُعَلِّمُكَ مَاذَا تَصْنَعُ ٣

تَحَدَّثْتُ فِي الْجُزْءِ السَّابِق عَنْ تَعرِيفِ التَّعْيِينِ وَالتَّعْيِينِ الْمُسَبَّق ..وَالْيَوْمُ سَأَسْتَكْمِلُ حَدِيثِي عَنْ ذَاتِ الْقَضِيَّةِ لَكِنْ مِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى، فَيمَا أُسَمِّيهُ قَضِيَّة الْمُعَيَّنَة بَيْنَ الْحَرْفِ وَالرُّوحِ.

السُّؤالُ الثَّالث

لِمَاذَا لَمْ يَذْكُرْ الْكِتَابُ أَنَّ إِسْحَق مُعَيَّنٌ لِرِفْقَة كَمَا ذَكَرَ أَنَّ رِفْقَة مُعَيَّنَةٌ لِإِسْحَق؟وَلِكَيْ أُجِيبَ عَلَى السُّؤَالِ، لَابُدَّ أَنْ أُوضِّحَ بَعْضَ النِّقَاطِ فِي الْبِدَايَةِ:

أَوَّلًا: بَيْتُ رِفْقَة يُثِيرُ الْجَدَلَ، جدُّهَا نَاحُور وَجدَّتُهَا مِلْكَة لَمْ يَخْرُجَا فِي رِحْلَةِ الْإِيمَانِ مَعَ إِبْرَاهِيم عِنْدَمَا خَرَجَ هُوَ وَتَارَح أَبِيه وَلُوط ابْنُ أَخِيه (لُوط خَرَجَ) لَكِنْ نَاحُور بَقِيَ.

ثانيًا: أَخُوهَا لاَبَان عَابِدُ وَثَنٍ (وَيَرْفُضُ التَّخَلِّي عَنِ الْأَوْثَانِ.) وَالْبَيْتُ كَانَ مَمْلُوءًا بِالْأَصْنَامِ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ الْبَيْتَ التَّقِي بِمَفْهُومِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَلَمْ نَسْمَعْ عَنِ الْمَذْبَحِ فِي بَيْتِ نَاحُور كَمَا سَمِعنَا عَنْهُ كَثِيرًا فِي بَيْتِ إِبْرَاهِيم.

ثالثًا: عِنْدَمَا سَأَلَ أَلِيعَازَر إِبْرَاهِيم إِذَا لَمْ تَشَاءُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَتْبَعَنِي إِلَى هَذِهِ الْأَرْض. هَلْ أَرْجِعُ بِابْنِكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا .. فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ بِلَهْجَةٍ شَدِيدَةٍ «احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَرْجِعَ بِابْنِي إِلَى هُنَاكَ».... إِذًا فَلِمَاذَا أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ زَوجَةً مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي يُحَذِّرُ أَلِيعَازَر مِنْ أَنْ يَرْجِعَ بِإِسْحَق إِلَيهَا؟ وَهُنَا أَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَهَا بُعْدٌ آخَر رُوحِيّ رَمْزِيّ .. فَقَطْ إِذَا عَرِفْنَاهُ سَيُفَكُّ غُمُوضَ هَذِهِ الْأَسْئِلَة .. إِنَّ رِفْقَة هُنَا تَرْمُزُ لِلْكَنِيسَة، وَإِسْحَق يَرْمُزُ لِلْمَسِيحِ.. رِفْقَة الَّتِي سَمِعْنَا خَبَرَ مِيلَادِهَا فِي نِهَايَةِ تَكْوِين ٢٢ وَالَّذِي يُحَدِّثُنَا عَنِ الصَّلِيبِ فِي صُورَةٍ رَمْزِيَّةٍ (إِبرَاهِيمُ يُقَدِّمُ إِسْحَقَ عَلَى الْمَذْبَحِ) وَالْكَنِيسَةُ الْمُنْتَقَاة مِنَ الْعَالَمِ الْوَثَنِيِّ أَغْلَى ثِمَارِ الصَّلِيبِ .. الْكَنِيسَةُ الَّتِي قَبِلَتْ الدَّعْوَةَ وَقَبِلَتْ الْانْفِصَالَ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ الْوَثَنِيِّ وَخَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ الْأَصْنَامِ وَقَالَتْ أَذْهَبُ .. الْكَنِيسَةُ الَّتِي بَدَأَتْ رِحْلَةَ التَّحَرُّكِ نَحْوَ الْعَرِيسِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تَرَهُ عَيَانًا مِنْ قَبْل .. وَكَمَا لَنْ يَعُودَ الْمَسِيحُ إِلَى الْأَرْضِ لِيَأْخُذَ الْكَنِيسَةَ وَلَكِنَّهُ سَيَلْتَقِيهَا فَوْقَ السَّحَابِ، هَكَذَا بِصُورَةٍ رَمْزِيَّةٍ رَسَمَ الرُّوحُ الْقُدُس هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْبَدِيعَةَ بِأَنْ حَذَّرَ إِبْرَاهِيمُ أَلِيعَازَر مِنْ أَنْ يَرْجِعَ بِإِسْحَق إِلَى الْأَرْضِ .. وَفِي خُرُوجِ إِسْحَق إِلَى الْحَقْلِ فَورَ وصُولِ مَوكِبِ الْعَرُوسِ أَرَى نُزُولَ الْمَسِيحِ لِلسَّحَابِ لِاسْتِقْبَالِ الْكَنِيسَة .. لَمَسَ قَلْبِي أَنَّ مَوكِبَ الْعَرُوسِ مُتَحَرِّكٌ وَلَيْسَ ثَابِتًا .. قَدْ تَقُولُ لِي مَاذَا تَقْصِدُ، فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ بِأَجْسَادِنَا لِنَذْهَبَ إِلَيهِ .. أَقُولُ لَكَ أَنْتَ مُحِقٌّ لَكِنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطِيرَ إِلَيْهِ بِأَشْوَاقِنَا.

إِذًا مِنَ النَّاحِيَةِ الرَّمْزِيَّة لَا يُوجَدُ نَصٌّ يُفِيدُ أَنَّ الْمَسِيحَ مُعَيَّنٌ لِلْكَنِيسَة، لَكِنَّ الْكَنِيسَةَ -كَأَفْرَادٍ وَأَبْنَاءٍ لِلّٰهِ- مُعَيَّنَة فِي فِكْرِ اللّٰهِ وَقَصْدِهِ مِنَ الْأَزَل ..

وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْحَرْفِيَّة فَإِنَّ تَعْيِينَ الْفَتَاة لَيْسَ أَزَلِيًّا لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَزَلِيًّا لَكَانَ الْكِتَابُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ تَعْيِينٌ أَزَلِيٌّ أَيْضًا لِلشَّابِّ .. لَكِنَّهُ تَعْيِينٌ زَمَنِيٌّ. فَاللهُ يُحَدِّدُ لِلشَّابِّ (يُسَلِطُ الضُّوءَ عَلَى) شَخْصِيَّةً مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ اسْتِجَابَةً لِصَلَوَاتِ الشَّابِّ وَلِمَاذَا لِلشَّابِّ؟ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يبدأ بِالْخُطْوَةِ الْأُولَى .. مَعَ الْاحْتِفَاظِ بِحَقِّ الْفَتَاةِ فِي أَنْ تُقَرِّرَ تَذْهَب أَمْ لَا.

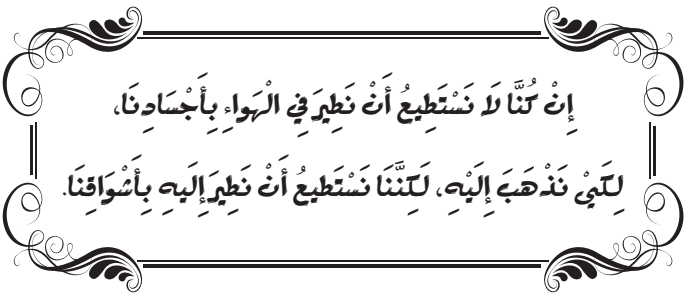

وَأَنَا أُعَلِّمُكَ مَاذَا تَصْنَعُ ٤

تَحَدَّثْتُ فِي الْأَجْزَاءِ السَّابِقَة عَنْ تَعرِيف التَّعْيِين وَالتَّعْيِين الْمُسَبَّق وَعَنْ قَضِيَّةِ الْمُعَيَّنَة بَيْنَ الْحَرْف وَالرُّوح .. وَالْيَوْمُ سَأَستَكْمِلُ حَدِيثِي (مِنْ خِلَالِ مَثَلَيْنِ كِتَابِيِّين) فِي نُقْطَةٍ هَامَّةٍ أَضَعُ لَهَا عِنْوَانًا هُوَ الْمَشِيئَةُ بَيْنَ نَصِّ الْكَلَامِ وَالْقَصْدِ مِنْهُ.. أَوِ الصَّوْت الْإِلَهِيّ بَيْنَ فَهْمِي لَهُ وَقَصْدِ اللهِ مِنْهُ.

السّؤالُ الرَّابِع

هَلْ مُشْكِلَتنَا فِي مَعْرِفَةِ مَشِيئَةِ اللهِ هِيَ أَنَّنَا لَا نُجِيدُ سَمَاعَ صَوْتِ اللهِ، أَمْ أَنَّنَا نَسْمَعُ وَلَا نَفْهَمُ الْأَبْعَادَ الَّتِي يَقْصُدُهَا اللهُ مِنَ الْكَلَامِ؟ وَكَيْفَ يَسْتَثْمِرُ اللهُ عَلَامَات الْاسْتِفْهَامِ الَّتِي دَاخِلَنَا؟

الْمَثَال الْأَوَّل : قَالَ الرَّبُّ لِبُطْرُس فِي يُوحَنَّا٢١: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ (يُوحَنَّا) يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ . اتْبَعْنِي أَنْتَ.» .. هُنَا تَكَلَّمَ الْمَسِيحُ بِصُورَةٍ مَادِيَّةٍ مَسْمُوعَةٍ .. وَالتَّلَامِيذُ

سَمِعُوا .. لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا سَمِعُوهُ .. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْظُرُوا لِلنَّصِّ الْمَنْطُوق بِشَيْءٍ مِنَ الدِّقَّة (سَقَطَتْ مِنْهُمْ سَهْوًا عِبَارَةُ إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ) وَقَفَزُوا بِعُقُولِهِمْ إِلَى الْقَصْدِ الْغَيْرِ مُعْلَن (أَلَا وَهُوَ هَلْ يُوحَنَّا سَيَبْقَى حَتَّى يَجِيءَ الْمَسِيحُ أَمْ لَا) وَتَرَكُوا الْمَعْنَى الصَّرِيح الْمُعْلَنِ (أَلَا وَهُوَ مَاذَا لَكَ. اتْبَعْنِي أَنْتَ) فَعَاشُوا وَهْمًا وَفَهْمًا خَاطِئًا لِلنَّصِّ فَذَاعَ هَذَا الْقَولُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ أَنَّ ذَلِكَ التِّلْمِيذَ " يُوحَنَّا " لَا يَمُوتُ .. لَكِنْ رُقَادُ يُوحَنَّا وَعَدَم بَقَائِه كَانَا أَكْبَرَ دَلِيلٍ عَلَى خَطَأ فَهْمِهِمْ .. صَدِيقِي إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ هُوَ اللهُ، وَعَلَيْهِ فَكُلُّ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا لَهَا مَعْنَى وَإِلَّا فَلَنْ يَنْطِقَ بِهَا فَلَا تَغُوصُ فِي أَغْوَارِ الْقَصْدِ غَيْرِ الْمُعْلَنِ عَلَى حِسَابِ دِقَّةِ النَّصِّ.

المثال الثَّاني: قَال اللهُ يَوْمًا لِإِبْرَاهِيم خُذْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَقَ.. وَأَصْعِدْهُ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ .. وَهُنَا أَرَى صَوْتًا إِلَهِيًّا فِي صُورَةِ نَصٍّ وَاضِحٍ مُحَدَّدِ الْمَعَالِم .. وَلَكِنَّهُ مُحَيِّرٌ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي خَزَانَةِ قَلْبٍ وَعَقْلٍ وَآذَانِ إِبْرَاهِيم أَصْوَاتٌ إِلَهِيَّةٌ أُخْرَى تَنُصُّ عَلَى أَنَّ إِسْحَق ابْنُ الْمَوعِدِ .. فَكَيْفَ يَمُوت؟ .. لَكِنْ حَيرَةُ إِبْرَاهِيم لَمْ تَجْعَلْهُ يَهْرُبُ مِنَ النَّصِّ بِأَنْ يُحَاولَ بِعَقْلِه أَنْ يَسْتَنْبِطَ مَعْنَى أَوْ قَصْدًا يَفِكُّ حِيرَتَهُ .. لَكِنَّهُ أَطَاعَ النَّصَّ كَمَا هُوَ .. وَعِنْدَمَا أَطَاعَ كَشَفَ لَهُ اللهُ الْقَصْدَ مِنَ النَّصِّ .. لَقَدْ سَمِعَ إِبْرَاهِيمُ النَّصَّ فِي خَيْمَتِه لَكِنَّ الْقَصْدَ مِنَ النَّصِّ كُشِفَ عَلَى جَبَلِ الْمُرَيَّا .. لَقَدْ فَهِمَ الْقَصْدَ مِنَ النَّصِّ عِنْدَمَا نَطَقَ اللهُ بِنَصٍّ آخَرٍ، وَقَالَ لَا تَمدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَام ..

لَمْ يَكُنْ النَّصُّ الْأَوَّل كُلَّ الرِّسَالَة، وَلِهَذَا كَانَ الْقَصْدُ غَامِضًا .. صَدِيقِي بَيْنَ الصَّوْتِ الْغَامِضِ وَفَهْمِ الْقَصْدِ مِنْهُ رِحْلَةٌ قَدْ تَكُونُ مُحَيِّرَةً .. لَكِنْ لَا تُحَاول أَنْ تَسْتَخْدِمَ ذَكَائَكَ لِكَيْ تُقَصِّرَهَا فَتَنْحَرِفُ عَنِ الْقَصْدِ الَّذِي يَبْغِيه اللهُ مِنَ الْكَلَام .. أَطِعْ النَّصَّ وَسَتَكْتَشِفُ أَنَّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ الْمُحَيِّرَة قَادَتْكَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْيَقِين .. فَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ يَقِينَ إِبْرَاهِيم فِي أَنَّ إِسْحَق هُوَ ابْنُ الْمَوعِدِ تَضَاعَفَ عَشَرَات الْمَرَّاتِ عِنْدَمَا سَمِعَ الصَّوْتَ الثَّاني لَا تَمدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَام .. بَلْ أَقُولُ فِي نِهَايَةِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْمُحَيِّرَة رَأَى إِبْرَاهِيمُ أَعْظَمَ الْإِعْلَانَات .. رَأَى الْفِدَاءَ

فِي الْكَبْشِ الْمُمْسَك بِقَرْنَيْه فِي الْغَابَة .

صَدِيقِي قَدْ يَخْلقُ اللّٰهُ حَالَةً مُؤَقَّتَة مِنَ الْحيرَة دَاخِلَ ذِهْنِكَ أَوْ يُنْشِىء فِيكَ صِرَاعًا، وَهُوَ بِهَذَا لَا يَقْصدُ تَعْذِيبَكَ بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَكْشِفَ لَكَ أُمُورًا مَجِيدَةً .. وَمِنْ خِلَالِ حَالَة الْحَيرَة هَذِه وَعَلَامَات الْاسْتِفْهَام الَّتِي تَتَضخَّم دَاخِلكَ مَعَ الْأَيَّام وَجُوعكَ لِلْفَهْم يُهَيئُ اللّٰهُ ذِهْنَكَ وَيُعِدُّهُ لِاسْتِقْبَالِ الْإِجَابَات الْإِلَهِيَّة وَاسْتِقْبَال أَعْظَم الْإِعْلَانَات الْمَجِيدَة الَّتِي سَيَكْشِفُهَا لَكَ .. فَإِنْ كُنْتَ فِي حيرَةٍ فَأَرْجُوكَ أَنْ لَا تُخَاصِمَ اللّٰهَ فَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ بَعْدُ مِقْدَارَ الْمَجْدِ الَّذِي يَحْمِلُهُ لَكَ فِي قَلْبِه.

بَيْنَ الصَّوتِ الْغَامِضِ وَفَهْمِ الْقَصْدِ مِنْهُ رِحْلَةٌ مُحَيِّرَة..
أَسْمَعُ الصَّوتَ وَأُطِيعُ النصَّ، وَسَتَكْتَشِفُ أَنَّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ
الْمُحَيِّرَةَ قَادَتكَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ اليقين.

حَبَبتَني أَمْ حَسَبْتَني؟

الْحُبُّ مِنْهُ الْكُلُّ اشْتَكَى .. بَلْ وَمِنْهُ الْبَعْضُ بَكَى .. الْحُبُّ فِيهِ وَعَنْهُ حَكَى كُلُّ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَفَتَى .. الْحُبُّ صَدَى .. الْحُبُّ مَدَى.. الْحُبُّ وَإِنْ مَضَى تَرَاهُ فِي لَحْظَةٍ قَدْ آتَى .. الْحُبُّ شُعُورٌ لِلْقَلْبِ سَقَى، وَإِنْ تَحَوَّلَ لِحِسابٍ تَرَاهُ قَدْ قَسَى.

الْحُبُّ يَقْبَلُ الْخَسَارَةَ لِأَجْلِ الْآخَرِ، وَالْحِسَابُ يَبْحَثُ عَنْ مَكْسَبٍ مِنَ الْآخَرِ .. الْحُبُّ يُضَحِّي وَيُعْطِي، أَمَّا الْحِسَابُ فَيَأْخُذُ وَيَأْخُذُ، وَإِنْ أَعْطَى فلِكَيْ يَأْخُذَ أَيْضًا .. الْحُبُّ يُفَكِّرُ فِي الْآخَرِ وَالْحِسَابُ يُفَكِّرُ فِي الذَّاتِ .. الْحُبُّ يَتَحَمَّلُ الْإِسَاءَةَ، أَمَّا الْحِسَابُ فَلَا .

حَبَبتَني أَمْ حَسَبْتَني١

طَلَبَتْ أُمُّ ابْنَيْ زَبَدِي (يَعْقُوب وَيُوحَنَّا) مِنَ الْمَسِيحِ طَلَبًا غَرِيبًا «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ» (مَتَّ٢٠: ٢٠). وَإِنْجِيلُ مَرْقُس يُوضِّحُ أَنَّهُ لَيْسَتْ الْأُمّ فَقَطْ هِيَ الَّتِي طَلَبَتْ هَذَا الطَّلَب، بَلْ أَيْضًا الْابْنَانِ «فَقَالَا لَهُ: أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ» (مَرْ١٠: ٣٧). بِكُلِّ تَأْكِيدٍ كَانَ ابْنَا زَبَدِي يُحِبُّونَ الْمَسِيحَ، لَكِنْ فِي هَذَا الْمَوقِفِ سَادَ الْحِسَابُ عَلَى الْحُبِّ .. الْحِسَابُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ مَصْلَحَةً شَخْصِيَّةً (أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ). الْحِسَابُ الَّذِي يَسْتَخْدِمُ إِمْكَانِيَّات الْآخَرِ لِمَصْلَحَتِه (قُلْ أَنْ يَجْلِسَا) وَكَأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَتَكَ لَهَا سُلْطَانٌ تَنْفِيذِيٌّ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَفِيدَ مِنْ هَذَا السُّلْطَانِ لِكَيْ أُعْطِيَ يَعْقُوب وَيُوحَنَّا مَزِيدًا مِنَ الْعَظَمَةِ .. وَفِي غَمْرَةِ الْحِسَابِ نَسِيَتْ أَنَّ الْعَظَمَةَ لِلْمَسِيحِ فَقَطْ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْكِتَابُ فِي مَولِدِه «هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا»، وَنَسِيَا أَيْضًا التِّلْمِيذَانِ مَا رَأَيَاهُ فَوْقَ جَبَلِ التَّجَلِّي، عِنْدَمَا غَارَ اللهُ عَلَى مَجْدِ ابْنِهِ وَأَخْفَى مُوسَى وَإِيلِيَّا مِنَ الْمَشْهَدِ وَسُمِعَ الصَّوت مِنَ السَّحَابَةِ «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، لَهُ اسْمَعُوا»، فَفِي مَجْدِهِ يَخْتَفِي الْجَمِيعُ لِيَظْهَرَ هُوَ وَحْدُهُ .. وَكَمَا قَالَ الْكِتَابُ عَنْ بُطْرُس

أَنَّهُ «لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ» عِنْدَمَا اقْتَرَحَ اقْتِرَاحَ الثَّلَاثِ مَظَالٍّ عَلَى الْجَبَلِ .. هكَذَا قَالَ الْمَسِيحُ أَيْضًا لِيَعْقُوب وَيُوحَنَّا «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ». وَالْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَنِي أُصْدَمُ هُوَ الْمَوعِدُ الَّذِي طَلَبَا فِيهِ هَذَا الطَّلَبَ مِنَ الْمَسِيحِ. لِقَدْ كَانَ يُخْبِرهُمْ عَنْ قَتْلِهِ وَالتَّقْلِ عَلَى وَجْهِهِ وَمَوتِهِ فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى يَدِ الْيَهُودِ، فَهَلْ هَذَا التَّوقِيتُ مُنَاسِبٌ لِطَلَبٍ كَهَذَا؟ هَلْ الْحَالَة النَّفْسِيَّة وَالْمَوقِف يَسْمَحَانِ بِطَلَبٍ كَهَذَا؟ أَيْنَ الْإِحْسَاس؟ أَيْنَ الْحُبّ؟ أَمْ أَنَّ الْحِسَابَ طَغَى عَلَى الْحُبِّ، فَجَفَّفَ الْمَشَاعِرَ وَأَمَاتَ الْإِحْسَاسَ؟ ...

لَكِنْ رُبَّ قَائِلٍ هُنَاكَ عَشَرَةَ تَلَامِيذٍ آخَرِين مَازَالَ الْحُبُّ سَائِدًا عَلَى الْحِسَابِ فِي عَلَاقَتِهِمْ بِالْمَسِيحِ حَتَّى أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا يَعْقُوب وَيُوحَنَّا اغْتَاظُوا «وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا»، وَهُنَا سَأَلْتُ نَفْسِي لِمَاذَا اغْتَاظَ الْعَشَرَةُ تَلَامِيذ؟؟ هَلْ لِأَنَّهُمْ رَافِضِينَ أَنْ يَكُونَ الْحِسَابُ هُوَ السَّائِدُ عَلَى الْحُبِّ فِي عَلَاقَتِهِمْ بِالْمَسِيحِ؟؟ لِلْأَسَفِ كَلَّا لَقَدْ اغْتَاظُوا مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَلَيْسَ مِنْ يَعْقُوب وَيُوحَنَّا .. اغْتَاظُوا لِأَنَّ يَعْقُوب وَيُوحَنَّا أَسْقَطَاهُمْ مِنَ الْحِسَابَاتِ، وَلَمْ يُبْقِيَا لَهُمْ كَرَاسِيّ خَالِيَة، فَوَاحِدٌ أَخَذَ الْيَمِينَ وَالْآخَرُ أَخَذَ الْيَسَارَ وَلَمْ يَعْمَلَا حِسَابًا لِلْعَشَرَة .. وَهَذَا مَا يُؤَكِّدهُ رَدُّ الْمَسِيحِ الْفَاحِص لِلْقُلُوبِ عِنْدَمَا قَالَ مُوجِّهًا حَدِيثَهُ لِلْكُلِّ وَلَيْسَ لِيَعْقُوب وَيُوحَنَّا فَقَطْ «فَلَا يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ، بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا، يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا» (مَرْ١٠: ٣٤). لَاحِظْ فِيكُمْ وَلَيْسَ فِيكُمَا، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِلْعَشَرَةِ أَرَى فِي قُلُوبِكُمْ ذَاتَ الطَّرِيقَةِ الْحِسَابِيَّةِ بِالرَّغم مِنْ كَونِكُمْ صَامِتِينَ .. غَيظَكُمْ أَعْلَنَ عَنْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ .. جَمِيعُكُمْ تُرِيدُونَ مَنْصِبًا، جَمِيعُكُمْ تُرِيدُونَ مَكْسَبًا .. لِلْأَسَفِ قَدْ تَحَوَّلَتْ الْعَلَاقَةُ الْحُبِّيَّةُ إِلَى عَلَاقَةٍ حِسَابِيَّةٍ. وَالْيَوْمُ أَرَى الْمَسِيحَ يَسْأَلُنِي وَيَسْأَلُكَ حَبَبْتَنِي أَمْ حَسَبْتَنِي؟

حَبَبْتَنِي أَمْ حَسَبْتَنِي٢

جَاءَتْ الْمَرْيَمَاتُ وَأَخْبَرنَ التَّلَامِيذَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَجِدنَ جَسَدَ يَسُوع فِي الْقَبْرِ وَأَنَّهُنَّ رَأَينَ مَنْظَرَ مَلَائِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ .. وَأَثَارَ كَلَامُ الْمَرْيَمَاتِ بُطْرُس وَيُوحَنَّا، فَرَكَضَا إِلَى الْقَبْرِ لِيُشَاهِدَا بِأَنْفُسِهِمَا مَا قَالَتْهُ الْمَرْيَمَاتُ، وَعَادَا وَأَكَّدَا صِحَّةَ مَا قَالَتْهُ النِّسْوَةُ .. وَلَكِنْ أَمَامَ كَلَامِ وَشَهَادَةِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، رَأَيتُ رَدَّ فِعْلٍ غَرِيبٍ جِدًّا مِنْ تِلْمِيذَيْنِ مِنْهُمْ إِذْ انْطَلَقَا إِلَى قَرِيَةٍ اسْمُهَا عِمْوَاسُ تَبْعُدُ عَنْ أُورُشَلِيمَ ٦٠ غَلْوَةً، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْطَلِقَا لِلْقَبْرِ لِيَتَحَقَّقَا مِمَّا سَمِعَاهُ .. تَارِكِينَ التَّلَامِيذ وَالنِّسَاء وَالْأَحْدَاثَ وَالْمَسِيحَ خَلْفَهُمَا دُونَ أَيِّ شعُورٍ بِالْمَوقِفِ وهنا وَسَأَلْتُ نَفْسِي أَسْئِلَةً كَثِيرَةً.

لِمَاذَا لَمْ يَذْهَبَا لِلْقَبْرِ لِيَتَحَقَّقَا بِأَنْفُسِهِمَا نَظِيرَ بُطْرُس وَيُوحَنَّا؟ .. لِمَاذَا لَمْ يَبْقَيَا مَعَ بَاقِي التَّلَامِيذِ فِي أُورُشَلِيمَ فِي هَذَا الْمَوقِفِ الْعَصِيبِ؟ .. مَا هُوَ السَّبَبُ وَرَاء رَدِّ الْفِعْلِ الْمُتَبَلِّدِ وَالْغَرِيبِ هَذَا؟.. وَلِمَاذَا كَانَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟.. هَلْ لِأَنَّهُمَا فَقَدُوا حَبِيبًا وَغَالِيًّا عَلَى قُلُوبِهِمَا فَجُرِحَتْ مَشَاعِرُهُمَا؟ .. لِلْأَسَفِ كَلَّا لَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الْأَكْبَرُ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الْأَكْبَرُ لَكَانَا قَدْ اعْتَبَرَا كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ لِلْمَرْيَمَاتِ مِنْ عَدَمِ وجُودِ جَسَدِ يَسُوع بِالْقَبْرِ وَأَنَّهُ حَيٌّ بَارِقَةَ أَمَلٍ بِعَودَةِ الْحَبِيبِ الْغَالِي، وَذَهَبَا بِلَهفَةٍ لِلْقَبْرِ لِيَتَحَقَّقَا الْكَلَامَ وَظَلَّا فِي أُورُشَلِيمَ لِيُتَابِعَا الْأَخْبَارَ .. لَكِنَّ سَبَبَ هَذِهِ الْعبُوسَةَ لَيْسَ لِأَنَّ مَشَاعِرُهُمْ جُرِحَتْ لِفَقْدِهِ بِقَدرِ مَا أَنَّ حِسَابَاتِهِمْ اخْتَلَّتْ بِغِيَابِهِ .. وَهَذَا مَا يَتَّضِحُ جَلِيًّا مِنْ كَلَامِ أَحَدِهِمَا وَاسْمُهُ كِلْيُوبَاسُ أَثْنَاء حِوَارِهِ مَعَ الْمَسِيحِ .. فَمِنْ كَلَامِهِ نَسْتَنْتِجَ أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ فِي نَظَرِهِمَا إِنْسَانًا مُبْهِرًا وَمَصْدَرًا لِلْقُوَّةِ «كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ» (لُو١٩:٢٤). كَانَ الْمَسِيحُ فِي نَظَرِهِمَا الْمُحَرِّرُ مِنْ ظُلْمِ الرُّومَانِ «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» . (لُو٢٤: ٢١). كَانَا فِي عَلَاقَةٍ مَعَهُ لِأَنَّهُ الْمُقْتَدِرُ فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ وَلِأَنَّهُ الْمُحَرِّرُ (كَانَ مَكْسَبًا بِالنِّسْبَةِ لَهُمَا.) لَكِنْ الْآنَ مَا الْفَائِدة مِنَ الْوجُودِ فِي أُورُشَلِيمَ أَوْ الْوجُودِ مَعَهُ وَهُوَ سَاكِنٌ لَا

يَفْعَلُ وَسَاكِتٌ لَا يَقُولُ .. لَمْ يَعُدْ الْبَقَاءُ فِي أُورُشَلِيمَ ذُو قِيمَةٍ .. فَمَا قِيمَةُ الْوجُودِ مَعَ مَسِيحٍ مَيِّتٍ مَدْفُونٍ فِي قَبْرٍ أَوْ مَسِيحٍ مَيِّتٍ غَيْر مَوجُودٍ فِي الْقَبْرِ وَغَيْر مَعْلُومٍ مَكَانَهُ. لِلْأَسَفِ طَغَى الْحِسَابُ عَلَى الْحُبِّ .. فمَاذَا عَنَّا؟

حَبَبْتَنِي أَمْ حَسَبْتَنِي٣

١. ذَهَبَتْ لِلْقَبْرِ بَاكِرًا وَالظَّلَامُ بَاقٍ (يُو٢٠: ١). ذَهَبَتْ إِلَى الْقَبْرِ وَلَيْسَ كَتِلْمِيذِيِّ عِمْوَاس الَّذَين ذَهَبَا بَعِيدًا عَنِ الْقَبْرِ .. ذَهَبَتْ وَهَدَفُهَا رُؤيَة السَّيِّدِ وَتَكْرِيم جَسَدِهِ وَدَهنهُ بِالحَنُوطِ وَالْأَطْيَابِ فِي قَبْرِهِ، وَلَيْسَتْ كَيَعْقُوب وَيُوحَنَّا اللَّذَانِ كَانَا يَبْحَثَانِ عَنْ مَكَانَةٍ مَعَ السَّيِّدِ فِي مَجْدِهِ .. لِقَدْ صَبَرَتْ السَّبْتَ كَعَادَةِ الْيَهُودِ، وَلَكِنْ كَانَ فِي قَلْبِهَا أَشْوَاقٌ مُسْتَعِرَةٌ لِرُؤيَتِهِ حَتّى إِنَّهَا مَا إِنْ مَضَى السَّبْتُ، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَمْسِكَ نَفْسَهَا حَتَّى بِزُوغِ النُّورِ؛ فَذَهَبَتْ لِلْقَبْرِ بَاكِرًا وَالظَّلَامُ بَاقٍ. وَهُنَا أَرَى لَهْفَةَ الْحُبِّ. كَمَا أَتَخَيَّلُهَا وَكَأَنَّهَا تَعِدُّ الدَّقَائِقَ وَالثَّوَانِي (لَمْ يَعُوقهَاالظَّلَامُ وَلَا الْحَجَرُ وَلَا الْحُرَّاسُ وَلَا النُّعَاسُ -إِنْ كَانَتْ قَدْ نَامَتْ- وَلَا الْإِرْهَاقُ -إِنْ كَانَتْ لَمْ تَنَمْ- فَقَدْ غَلَبَتْ أَشْوَاقُهَا الْمُعَوِّقَاتِ).

٢. ذَهَبَتْ لِتُكَرِّمَ الْجَسَدَ بِالْأَطْيَابِ وَالْحَنُوطِ وَيُخْبِرُنَا مَرْقُس الْبَشِير كَيْفَ أَتَتْ بِتِلْكَ الْأَطْيَابِ إِذْ يَقُولُ: «وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ...» (مَرْ١٦: ١). وَهُنَا أَرَى الْحُبَّ الَّذِي يَدْفَعُ، الْحُبَّ الَّذِي يُعْطِي وَلَا يَأْخُذُ، الْحُبَّ الَّذِي لَا يَحْسِبُ (يَنْفِقُ لِأَجْلِ تَكْرِيمِ شَخْصٍ مَيْتٍ «كما كانت تظن وقتها» رَغمَ غِلوِ ثَمَنِ الْأَطْيَابِ.)

٣. بِالتَّأْكِيدِ فَرِحَتْ الْمَجْدَلِيَّةُ إِذْ وَجَدَتْ الْحَجَرَ مُدَحْرَجٌ عَنِ الْقَبْرِ وَلَكِنَّهَا أَيْضًا صُدِمَتْ إِذْ لَمْ تَجِدْ الْحَبِيبَ، فَرَكَضَتْ رَاجِعَةً مَعَ بَاقِي النِّسْوَةِ إِلَى التَّلَامِيذِ لِيَسْتَغِثْنَ بِهِمْ قَائِلَات «أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ» (يُو٢٠: ٢). فَرَكَضَا بُطْرس وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى الْقَبْرِ لِيَتَحَقَّقَا مِنَ الْأَمْرِ .. لَكِنْ مَا لَفَتَ نَظَرِي أَنَّهَا عَادَتْ مَرَّةً أُخرَى مَعهُمَا إِلَى

الْقَبْرِ .. وَهُنَا سَأَلْتُ نَفْسِي لِمَاذَا عَادَتْ مَعهُمَا لِلْقَبْرِ مَرَّةً أُخرَى بِالرَّغمِ مِنْ عِلْمِهَا أَنَّهُ غَيْرُ مَوجُودٍ بِالْقَبْرِ؟؟ .. لِمَاذَا لَمْ تَبْقَ فِي مَكَانِهَا حَتَّى يَعُودَا وَيُخْبِرَانِهَا بِمَا تَوصَّلَا إِلَيهِ؟.. نَعَمْ، إِنَّ الرَّغْبَةَ الْعَارِمَةَ الْمُتَأَجِّجَةَ بِدَاخِلِهَا لِمَعْرِفَةِ مَكَانِهِ وَلِرُؤيَتِهِ جَعَلَتْهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ هَادِئَةً فِي مَكَانِهَا، فَعَادَتْ مَعهُمَا أَمَلاً فِي أَنْ تَكْتَشِفَ أَيْنَ هُوَ وَلِأَيْنَ أَخَذُوهُ.

٤. تَحَقَّقَ بُطْرُس وَيُوحَنَّا مِنْ عَدَمِ وجُودِ الْجَسَدِ بِالْقَبْرِ، وَيَقُولُ الْكِتَابُ «فَمَضَى التِّلْمِيذَانِ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِهِمَا» (يُو٢٠: ١٠). لَكِنْ يَذْكُرُ مُسْتَأْنِفًا «وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي» (يُو٢٠: ١١). وَهُنَا سَأَلْتُ نَفْسِي مَرَّةً أُخرَى لِمَاذَا ظَلَّتْ بَاقِيَةً وَاقِفَةً بَاكِيَةً عِنْدَ الْقَبْرِ وَلَمْ تَعُدْ مَعَ التِّلْمِيذَيْنِ إِلَى مَوْضِعِهِمَا بِالرَّغمِ مِنْ تَأَكُّدِهَا مِنْ عَدَمِ وجُودِهِ بِالْقَبْرِ؟؟ .. وَلَمْ أَجِدْ إِلَّا ذَات الإجابة أَنَّ الْأَشْوَاقَ الْمُتَأَجِّجَةَ لِرُؤيَةِ السَّيِّدِ وَمَعْرِفَةِ مَكَانِهِ سَمَّرَتْهَا فِي مَكَانِهَا بِجِوَارِ الْقَبْرِ وَمَنَعَتْهَا مِنَ الْعَودَةِ مَعهمَا.. بَقِيتْ بَاكِيَةً. فِي الْبُكَاءِ أَرَى حُزْنًا وَانْعِدَامَ حِيلَةٍ خَاصَّةً بَعْدَمَا اسْتَغَاثَتْ بِالرِّجَالِ فَمَا أَفَادُوهَا بَلْ عَادَا وَتَرَكَاهَا، وَفِي الْبَقَاءِ أَرَى إِصْرَارًا يُعَبِّرُ عَنْ قَلْبٍ بِهِ شَوقٌ حَارٌ.

٥ . وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ (يُو٢٠: ١١). وَسَأَلْتُ نَفْسِي أَيْضًا لِمَاذَا فَكَّرتْ فِي أَنْ تَدْخُلَ الْقَبْرَ مَعَ عِلْمِهَا أَنَّهُ فَارِغٌ وَأَنَّ الْمَسِيحَ غَيْرُ مَوجُودٍ بِالدَّاخِلِ؟؟ .. وَلَا تُوجَدُ إِلَّا إِجَابَةٌ وَاحِدَةٌ. إِنَّهَا انْحَنَتْ لِتَنْظُرَ الْأَكْفَانَ، لِتَنْظُرَ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ، وَهُنَا أَرَى لَيْسَ فَقَطْ حُبًّا لَكِنِّي أَرَى دَرَجَةً مِنْ دَرَجَاتِ الْعِشْقِ.. الْعِشْقُ الَّذِي يَبْحَثُ عن أَيِّ أَثَرٍ يُذَكِّرُ الْعَاشِقَ بِحَبِيبِهِ، أَيُّ أَثَرٍ يَسْتَجْلِبُ لِلذَّاكِرَةِ وَالْخَيَالِ مَنْظَرَهُ. أَيُّ أَثَرٍ فِيهِ رَائِحَةُ الْحَبِيبِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْأَكْفَانُ.

٦ . جَاءَ إِلَيهَا يَسُوعُ بِنَفْسِهِ وَقَالَ لَهَا يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟ (يُو٢٠: ١٥). فَالْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَظَنَّتْهُ الْبُسْتَانِيّ وَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ» (يُو٢٠: ١٦). وَفِي إِجَابَتِهَا أَرَى أَيْضًا دَرَجَةً عَالِيَّةً جِدًّا مِنْ دَرَجَاتِ

الْعِشْق .. فأَوَّلاً هِيَ تَتَكَلَّمُ عَنِ الرَّبِّ يَسُوع بِلُغَةِ الْإِشَارَةِ «ضَمِيرُ الْغَائِبِ» (حَمَلْتَهُ . وَضَعْتَهُ . آخُذُهُ)دُوْنَ أَنْ تُوضِّحَ لِمَنْ ظَنَّتْهُ الْبُسْتَانِيّ عَنْ مَنْ تَتَكَلَّمُ .. وَهُنَا أَرَى أَنَّ عِشْقَهَا لِلْمَسِيحِ جَعَلَهَا تَتَخَيَّلُ أَنَّ كُلَّ مَنْ حَولهَا يُفَكِّرُ فِي ذَاتِ الشَّخْصِ الَّذِي تُفَكِّرُ هِيَ فِيهِ .. كُلُّ مَنْ حَولهَا يَعْرِفُ مَنْ تَطْلُبُ وَفِيمَنْ تُفَكِّرُ دُوْنَ احْتِيَاجٍ لِأَنْ تُوضِّحَ لَهُمْ .. ثَانِيًا لَمْ تَقُلْ لِمَنْ ظَنَّتْهُ الْبُسْتَانِيّ قُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا أَذْهَبُ لِأَرَاهُ أَوْ أَذْهَبُ لِأَدْهُنَهُ بِالْأَطْيَابِ لَكِنَّهَا قَالَتْ وَأَنَا آخُذُهُ .. وَهُنَا سَأَلْتُ نَفْسِي مُتَعَجِّبًا كَيْفَ سَتَأْخُذُهُ ؟ كَيْفَ سَتَحْمِلهُ؟ وَأَيْنَ سَتَضَعهُ عِنْدَمَاتَأْخُذهُ؟ وَمَا الْفَائِدَة مِنْ أَنْ تَأْخُذَ جَسَدَ الْمَسِيحِ مَيِّتًا؟ .. يَا لَهَا مِنْ حَالَةِ عِشْقٍ عَمِيقٍ، فَهِيَ لَا تَبْحَثُ عَنْ فَائِدَةٍ أَوْ مَكْسَبٍ، هِيَ تَبْحَثُ عَنْهُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، تُرِيدُ أَنْ تَمْتَلِكَهُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا فَلَنْ تَكْفِيهَا مُجَرَّد نَظْرَةٍ ثُمَّ تَتْرُكهُ لَكِنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَهُ مَعَهَا حَتَّى لَوْ كَانَ مَيِّتًا.. تُرِيدُ أَنْ تُكْرِمَهُ أَقْصَى إِكْرَامٍ حَيًّا كَانَ أَمْ مَيِّتًا.

٧. أَمَامَ حُبٍّ كَهَذَا وَإِصْرَارٍ كَهَذَا أَظْهَرَ الْمَسِيحُ ذَاتَهُ لَهَا عِنْدَمَا نَادَاهَا بِاسْمِهَا (يَا مَرْيَمُ). وَمَا أَنْ عَرفتهُ حَتَّى قَامَتْ بِعَفَوِيَّةٍ وَتلْقَائِيَّة جَمِيلَةٍ مُحَاوِلَةً أَنْ تُمْسِكَ الْمَسِيحَ أَوْ أَنْ تَلْمَسَهُ .. وَهُنَا أَرَى الْعِشْقَ الطَّاهِرَ التِّلْقَائِيَّ الَّذِي لَا يَكْتَفِي فَقَطْ بِالنَّظَرَاتِ أَوْ بِالْكَلِمَاتِ، لَكِنْ الْعِشْق الَّذِي يُحَاوِلُ أَنْ يَلْمِسَ الْحَبِيبَ .. نَعَمْ، مَنَعَهَا الْمَسِيحُ مِنْ أَنْ تَلْمِسَهُ لَيْسَ لِعَدَمِ طَهَارَةِ رَغْبَتِهَا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ عِشْقِهَا لَهُ كَمَا يَظِنُّ الْبَعْضُ وَلَكِنْ لِأَنَّهُ لَمْ يَصْعَدْ بَعْدُ لِلْآبِ وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسِيحُ لَهُ الْمَجْدُ سَبَبَ مَنْعِهِ لَهَا حَتَّى لَا تَنْحَرِفُ عقُولُ الْبَشَرِ فِي التَّفْسِيرِ .. كَمَا أَرَى فَرْقًا شَاسِعًا بَيْنَ مُحَاوَلَةِ لَمْسِ الْمَجْدَلِيَّةِ لِلْمَسِيحِ وَمُحَاوَلَةِ لَمْسِ الْمَرْأَةِ نَازِفَةِ الدَّمِ لِلْمَسِيحِ .. فالنَّازِفَةُ حَاوَلَتْ أَنْ تَلْمِسَهُ لِتَحْصُلَ عَلَى قُوَّةٍ شَافِيَةٍ لِأَنَّهَا مَرِيضَةٌ جَسَدِيًّا.. أَمَّا الْمَجْدَلِيَّةُ حَاوَلَتْ أَنْ تَلْمِسَهُ لِتَحْصُلَ عَلَى جُرْعَةِ حُبٍّ كَافِيَةٍ لِأَنَّهَا مَرِيضَةٌ حُبًّا ..

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ النَّازِفَةَ إِيمَانُهَا عَظِيمٌ .. لَكِنَّ الْمَجْدَلِيَّةَ حُبّهَا عَظِيمٌ. امْرَأَةٌ ضَرَبَتْ مِثَالًا وَفَاقَتْ رِجَال فِي حُبِّهَا لِلْمَسِيحِ.

حَبَبْتَنِي أَمْ حَسَبْتَنِي ٤

فِي هَذَا الْجُزْءِ أَتَحَدَّثُ عَنْ قِمَّةِ الْمَحَبَّةِ .. مَحَبَّةُ الْمَسِيحِ ... الْمَسِيحُ الَّذِي هُوَ الْمَحَبَّةُ الظَّاهِرَةُ الْمُتَجَسِّدَةُ الْمُجَسَّمَةُ .. وَقَدْ ظَهَرتْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ بِأَقْصَى دَرَجَاتِهَا فِي الصَّلِيبِ وَأَشْعُرُ أَنِّي لَا أَمْلُكُ الْقُدْرَةَ الْكَافِيَةَ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَوصفِهَا فِي عُمْقِهَا وَعلُوهَا وَعَرضِهَا فَهِيَ فَائِقَةُ الْمَعْرِفَةِ ... وَلَكِنِّي سَأَتَحَدَّثُ عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ تِّجَاه تِلْمِيذِيٍّ عِمْوَاس .

أَمَامَ تَصَرُّفٍ حِسَابِيٍّ جَافٍ وَجَارِحٍ مِنْ تِلْمِيذِيٍّ عِمْوَاس عِنْدَمَا تَرَكَا الْقَبْرَ وَالْمَسِيحَ بَعْدَ أَحْدَاثِ الدَّفْنِ وَانْطَلَقَا مُبْتَعِدَينَ عَنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى قَرِيَةٍ اسْمُهَا عِمْوَاس (تَبْعُدُ عَنْ أُورُشَلِيمَ ٦٠ غَلْوَةً أَيّ حَوالِي ١٢ كم) رَأَيتُ رَدَّ فِعْلٍ رَاقٍ وَمُحِبٍّ مِنَ الْمَسِيحِ إِذْ يَقُولُ الْكِتَابُ (اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ) .. اقْتَرَبَ لِمَنْ ابْتَعَدَ عَنْهُ .. اقْتَرَبَ لِيَسْتَرجِعَ مَنْ تَرَكَهُ .. وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: وَإِنْ فِي عَدَمِ فَهْمٍ تَرَكْتُمَانِي فَأَنَا لَنْ أَتْرُكَكُمَا أَبَدًا، وَإِنْ ابْتَعَدْتما عَنِّي سَأَقْتَرِبُ إِلَيكمَا لِأَسْتَرْجِعكُمَا. اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ.. وَمَعْرُوفٌ أَنَّ ذَوِي الْمَنَاصِبِ الْعَالِيَةِ لَا يَتَحَرَّكُونَ بِأَنْفُسِهِمْ لِقَضَاءِ الْمَصَالِحِ أَوْ لِخِدْمَةِ أَحَدٍ .. فَالنَّاسُ هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَيهِمْ أَوْ يَكُونُ لَهُمْ عُمَلَاء مُنَفِّذِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .. لَكِنَّ السَّيِّدَ الْعَظِيمَ لَمْ يُرْسِلْ لَهُمْ مَلَاكًا بِرِسَالَةٍ أَوْ تِلْمِيذًا بِرِسَالَةٍ كَمَا أَرْسَلَ حَنَانِيًّا لِبُولُس لَكِنَّهُ رَأَى فِي عُمْقِ مَحَبَّتِهِ لَهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْمُهِمَّةَ تَقْتَضِي أَنْ يُنَفِّذَهَا بِنَفْسِهِ .. فَيَا لَهُ مِنْ اهْتِمَامٍ بَالِغٍ يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةٍ عَمِيقَةٍ. وَكَانَ يَمْشِي مَعهمَا .. الْمَسَافَةُ إِلَى عِمْوَاس لَمْ تَكُنْ صَغِيرَةً، حَوالِي ١٢ كم، وَالْجَدْوَلُ الزَّمَنِيّ لِلْمَسِيحِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ كَانَ ضَيقًا لِأَنَّهُ كَانَ لَابُدَّ أَنْ يَصْعَدَ لِلْآبِ قَبْلَ مُضِيِّ خَمْسُون يَوْمًا لِكَيْ يُرْسِلَ الرُّوحَ الْقُدُس يَوْمَ الْخَمْسِين طِبْقًا لِلنُّبُوَّات. هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ فَهْمَ التِّلْمِيذَيْنِ كان بَطِيئًا .. لَكِنِّي أَرَى مَسِيحًا مُحِبًّا لَمْ يُعْطِهِمَا ظُهُورًا لَحْظِيًّا سَرِيعًا لَكِنَّهُ مَشَى مَعهمَا .. ضَبَطَ خُطُوَاتِهِ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ عَلَى خُطُوَاتِ ذِهنِهِمَا الْغَبِيِّ وَقَلْبِهِمَا الْبَطِيءِ وَبِكُلِّ طُولِ أَنَاةٍ وَحُبٍّ احْتَمَلَ غَبَائِهِمَا وَكَانَ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْكُتُبَ .. نَعَمْ الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ .. كَانَ لَهُمَا فِي وَقْتِهِ وَجَدْوَلِهِ الزَّمَنِيّ

مَسَاحَةً لِأَنَّهُ كَانَ لَهُمَا فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةً

(أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا) عِبَارَةٌ بَدِيعَةٌ نَطَقَ لِهَا التِّلْمِيذَانِ وَمِنْهَا أَرَى الْمَسِيحَ وَهُوَ يُحَوِّلُ الْعَلَاقَةَ مِنْ عَقْلِيَّةٍ حِسَابِيَّةٍ إِلَى قَلْبِيَّةٍ حُبِّيَّةٍ .. لَقَدْ أَعَادَ التِهَابَ الْقَلْبِ بِالْحُبِّ بَعْدَ أَنْ جَفَّتْ الْعَلَاقَةُ بِحِسَابَاتِ الْعَقْلِ، فَعَادَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أُورُشَلِيمَ .. دَعُونَا نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ أَحَبَّ دَعُونَا نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ يُحَبُّ.

كَانَ لَهُمَا فِي وَقْتِهِ وَجُدْوِلِهِ الزَّمَنِيِّ مَسَاحَةً لِأَنَّهُ كَانَ لَهُمَا فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةً

غَرِيبٌ أَمْ غُرَاب؟ مَقَالَةٌ شِعْرِيَّة

تَسْبَحُ فِي كَونٍ فَسِيحٍ فِي هُدُوءٍ بِلَا اضطِرَاب

أَعْمَرَهَا الْمَولَى قَدِيمًا ملأَ الْخَلَاءَ وَالْخَرَاب

وَقَالَ لِآدَمَ أَعْمَلَهَا وَتَسَلَّط عَلَى كُلِّ الدَّوَاب

لَكِنَّ شَيْطَانًا لَحُوحًا مِثْلُهُ مِثَلَ الذُّبَاب

كُلَّمَا ذُبَّ آب وَفَرَّقَ قُلُوبَ الْأَحْبَاب

خَدَعَ حَوَّاءَ بِمَكرٍ وَدَسَّ سُمَّهُ فِي الشَّرَاب

فَكَسرَ أَبَوَيْنَا الْوَصِيَّةَ إِذْ صَدَّقَا الْكَذَّاب

وَالْأَرْضُ مِنْ يَوْمِهَا تُعانِي كُلَّ أَلوانِ الْعَذَاب

بَرَاكِين تَحْرِقُ بُنْيَتَهَا وَحِمَمٌ تَزْدَادُ الْتِهَاب

نَقْتِلُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَالسَّيفُ قَطّعَ الرِّقَاب

كُلٌّ يُرِيدُ نَصِيبًا يَخْطُفُهُ مِثَلَ الْغُرَاب

وَنَسِينَا أَنَّنَا ضِيُوفٌ وَأَنَّنَا عَلَى الْأَرْضَ أَغْرَاب

أَحْتَارُ فِي عقُولٍ كَهَذِهِ وَأَتَعَجَّبُ الْعَجَبَ الْعُجَاب

تَلْبِسُ الشِّعَارَ الْجَمِيلَ مِثْلَمَا تَلْبِسُ الشَّرَاب

وَبَعْدَ الْعَرضِ تَخْلَعُهُ فَيَظْهَرُ خَواءَ الْجِرَاب

وَتَظْهَرُ الْأَقْدَامَ حَافِيَةً وَيَظْهَرُ فَرَاغُ الْأَكْوَاب

تَفْعَلُ الْجُرْمَ الصَّرِيحَ وَتَنْتَظِرُ مِنَ الْمَولَى الثَّوَاب

وَكَأَنَّ دَم الْقَتْلَى لَا يَطْلُبُ مِنَ الْمَولَى الْعِقَاب

وَلَمْ يَعُدْ الضَّمِيرُ يَلومُ وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ عِتَاب

وَلُغَةُ الْحِوَارِ الْجَمِيل اسْتُبْدِلَتْ بِكَلَامِ السِّبَاب

وَالنَّسِيجُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ طُعِنَ بِأَقْوى الْحِرَاب

وَانْقَلَبَ الْوَضَعُ الْقَدِيمُ وَتَسَلَّط فِي الْأَرْضِ الدَّوَاب

إِذْ رُكِنَ الْعَقْلَ الْجَمِيلَ وَوُضِعَ فَوْقَ الدُّولَاب

فعَبَاقِرَةُ الْفِكْرِ مُسَجَّلِينَ فِي دَفَاتِرِ الْحُضُورِ غِيَاب

وَإِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلَا يَفْهَمُ يُشْبِهُ حَيَوان الْغَاب

تَدْفَعُهُ الْعَاطِفَةُ فَيَجْرِي دُوْنَ أَيِّ اسْتِيعَاب

فَهَلْ لَنَا بِلَحَظَاتِ هدُوءٍ نُعِيدُ فِيهَا الْحِسَاب

نُعْمِلُ الْعَقْلَ وَنَسْأَلُ وَنُحَاولُ أَنْ نَجِدَ الْجَوَاب

نَطْلُبُ الْمَولَى ليَأْتِي وَنَفْتَحُ الْقَلْبَ وَالْبَاب

بِإِيمَانٍ نَلْمَسُ ثِيَابَهُ وَنَثِقُ فِي وعُودِ الْكِتَاب

الرُّوحُ مَازَالَ يُجَدِّدُ وَيَرِفُّ عَلَى وَجْهِ التُّرَاب

وَرَبُّ الْجُنُودِ يُخَلِّصُ وَيُغَيِّرُ طِبَاع الذِّئَاب

نُورُهُ شَمْسٌ سَاطِعَةٌ .. تُزِيلُ كَثِيفَ الضَّبَاب

لِلسَّمَاءِ فَتَحَ طريقًا بِصَلِيبٍ شَقَّ الْحِجَاب

وَفِي زِفَافٍ فَرِيدٍ قَرِيبٍ سَيُدْخِلُنَا بَيْتَ الْآب

وَيَصْنَعُ سَمَاءً جَدِيدَةً لَيْسَ فِيهَا أَتْعَاب

وَأَرْضًا يَسْكُنُ فِيهَا الْحِمْلَانُ مَعَ الذِّئَاب

فَانْهَضْ يَا رَبُّ الْعَرُوسِ وَجَدِّد فَيهَا الشَّبَاب

وَأَجْذِبْ يَا رَبُّ النُّفُوسَ وَزِدْهَا مِنْكَ اقْتِرَاب

وَإِلَى أَنْ تُتَمَّ الْوعُودَ وَنَلْقَاكَ فَوْقَ السَّحَاب

سَنَحيَا فِي حِمَايَةِ مَسِيحٍ عَشَقَتْ حُبَّهُ الْأَلْبَاب

سَنَحيَا فِي حِمَايَةِ مَسِيحٍ دَمُهُ عَلَى الْأَعْتَاب